ميامر
مار إسحق السرياني
الجزء الأول

ونسكيات
القديس باسيليوس
الجزء الأول

أعدَّه للنشر

القمص تادرس السرياني

ميامـر

مار إسـحق السـرياني

أســقف نينـوى

الجـزء الأول

عن المخطوط رقم ١٥٣ نسكيات

مكتبة دير السيدة العذراء مريم (السريان)

ونسكيات القديس باسيليوس

أسقف قيصرية الكبادوك

الجـزء الأول

إصدار دير السريان ١٩٦٠

راجعه وصحَّحه ونقَّحه

وأعدَّه للنشر

القمص تادرس السرياني

✠

ِباسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد، آمين.

مقدمـــة

في أثناء مراجعتنا لبروفة كتاب ميامر مار إسحق السرياني، نبهنا بعض الآباء المـوقرين أن اللغة العربية المكتوب بها الكتاب ركيكة، وبها الكثير من العبارات غير المفهومة، ويحتاج الكتاب إلى إعادة صياغته بلغة عصرية حديثة بدلاً من لغة القرون الوسطى هذه. ولكننا شرحنا لهم أن غايتنا في هذا الكتاب هي إثبات المخطوط كما جاء في الأصل ـ كما هو ـ بألفاظه وحروفه، مع شيء مـن التوضيح بين الأقواس في حالة الضرورة.

عزيزي القارئ .. إن كتابات الآباء كما جاء في التقليد: هي أنفاسهم، ونحن ننقلها كما خرجت من أفواههم بعيداً عن كل روح فلسفي، ولا تنميق الكلمات، لأن جميعهم أخذوا من نبع واحد: ألا وهو الروح القدس.

لا تستغرب إذا استوقفتك بعض الكلمات أو المعان الغامضة لدى قراءتك هذا الكتاب، ويجـب أن يكون موقفك من هذا الكتاب، أو من أي كتاب آبائي آخر موقف مـن يطلـب المعرفـة والفهـم الروحيين، لا موقف من يحكم عليه وينقده، بدون روية.

إن هذه المخطوطات كأثر تاريخي ينبغي لنا أن نصونها من العبث والتغيير، وأن نعمل بكـل جهدنا لبقائها على حالها، ذلك وإن خالفت في أسلوبها وعباراتها وكتاباتها أسلوبنا اليـوم، وقواعـد الإعراب والرسم ونطق الكلمات، فهى من هذه الناحية تُحفة تاريخية، ومن نواح أُخـرى مـستندات رسمية ووثائق لا شك فيها، حتى ولو عارضها نص آخر مكتوب بطريقة عصرية وترجمة حديثة.

هذا وبالإطلاع على عدة نسخ مطبوعة ومخطوطات نسخها آباء مـوقرين، لاحظنـا أن كـل النسخ أخذت عن مخطوطات دير السيدة العذراء مريم (الشهير بدير السريان) بـوادي النطـرون،

ومن هذه النسخ :

١ - كتاب مطبوع، نسخه الأنبا مينا مطران جرجا.

٢ - كتاب مطبوع، إصدار أبناء البابا كيرلس السادس.

٣ - مخطوط للأب الراهب القمص اسطفانوس المقاري، عن نسخة لـلأب موسـى المقـاري والأب متى المسكين، مأخوذة عن نسخة دير السريان.

٤ – مخطوط للأب القمص يوحنا إبراهيم السرياني، عن نسخة بدير الأنبا بيشوى، مأخوذة عن نسخة دير السريان.

٥ - أما نسخة الأب إسحق عطا لله، فهى كتاب مترجم ترجمة عصرية، ويشمل الجزئين الثاني والثالث فقط.

هذا وإذا صادفك عبارة لم تفهمها، فاتركه وانتقل لغيرها، فالكتاب ملآن بالدرر والجواهر، ولك الحق أن تنتقي ما ينفعك، فالكتاب صدر لجميع المستويات، مثل لقط الطيور: الكبير منها يأكل الكبير، والصغير منها يأكل الصغير، وفي النهاية الكل يأكل ويشبع من خيرات الله.

أما إذا قابلتك جملة أو عبارة ترغب في أن تفهمها أو ترغب في الاستفسار عنهـا، فيمكنـك كتابتها في ورقة وسؤال أحد الآباء الرهبان الشيوخ المحنكين، وهو يعطيك الإجابة المطلوبة.

هذا وقد ألحقنا بكتب نسكيات مار إسحق السرياني، نسكيات القديس باسيليوس أسقف قيصرية الكبادوك، والذي كان قد أصدره دير السريان العامر سنة ١٩٦٠، إعمالاً للفائدة، حيـث أن الكتـاب الأصلي صدر من قسمين: الأول نسكيات باسيليوس، والقسم الثاني قوانين القديس باسيليوس، ونظراً لأن تلك القوانين ليس لها مجال في وقتنا الحالي هذا، فقد اكتفينا بأخذ النسكيات وسوف نصدره مـع ثلاثة أجزاء من نسكيات مار إسحق وهى: الجزء الأول والثاني والرابع، أما الجـزء الثالـث مـن نسكيات مار إسحق السرياني، فنظراً لكبر حجمه فلم نلحق به شيئاً.

نحن نطلب من الله أن تكون هذه الكتب سبب بركة لكل من يقرأ فيها لكي يستفيد ويفيد غيره، كما نطلب من الله أن يبارك الذين تعبوا في طبع هذه الكتب بالبركات السمائية، ويعوض كل من لـه

تعب في ملكوت السموات.

ببركة صلوات حضرة صاحب القداسة والغبطة البابا المعظم

الأنبـا شـنوده الثالـث

بابا وبطريرك الإسكندرية وسائر الكرازة المرقسية

وشريكه في الخدمة الرسولية أُسقفنا المبجل جزيل الاحترام

الأنبـا متـاؤس

أسقف ورئيس دير السيدة العذراء مريم " السريان "

ولربنا المجد دائماً أبدياً، آمين.

عيد النيروز المبارك ١٧٢٠ شهداء

١٢ سبتمبر ٢٠٠٣ ميلادية

الراهب القمص تادرس السرياني

ميامر
مار إسحق السرياني
أسقف نينوى
المتوحد ببرية شيهيت
المقدسة

الجزء الأول

ِباسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد، آمين.

.....

نبتدئ بمعونة اللـه وحسن توفيقه، بنسخ كُتب القديس العظيم في العارفين: مار إسحق، وهم أربعة أجزاء، الرب يعين على العلم والعمل بهم كل قارئ ومشتاق إلى سيرة الرهبنة بشفاعة ستنا السيدة العذراء مريم والدة الإله، وصلاة هذا القديس العظيم. آمين.

❖ ❖ ❖

خبر عن هذا القديس العظيم مار إسحق ..

كان مولده في بلاد الشرق من جنس السريان، وكان له أخ جسداني، وكان قد ترهب هو وإياه في دير القديس مار متى المجمع الكبير، ولكثرة علمهما ونجاحهما في الرهبنة اُختير أخوه لرياسة الدير وتدبير الرهبان.

وأما القديس مار إسحق من بعد أن أكمل قوانين المجمع، انفرد في قلاية بعيدة عن الدير أميال ولزم الصمت والوحدة والانقطاع من كل أحد بالكلية، وكان أخيه كل وقت يراسله أن يحضر إليه إلى المجمع، فما كان يجيبه إلى ذلك.

ومن بعد ما اشتهر علمه وقداسته اُختير لأسقفية المدينة العظمى نينوى، وفي أول يوم من جلوسه في قلاية الأسقفية حضر إليه اثنين يتحاكما عنده، فادعى أحدهما على الآخر أن له عنده مال ويريد أن يوفيه، فقر الآخر بذلك وسأله أن يمهله قليل ليكتسب ويوفيه، فأبا ذاك الشقي الغني وقال اُريد أن يعطيني مالي وإلا أسلمته إلى الحاكم، فأجاب القديس مار إسحق وقال إن الإنجيل المقدس يأمر أن الذي يأخذ شيئك لا تطلبه، فلا أقل أن تصبر عليه، فأجاب ذاك الشقي وقال: دع عنك كلام الإنجيل. **قال مار إسحق:** " **فإن كان ما بنسمع من الإنجيل فإيش جيت أنا أعمل** ".

وعندما نظر القديس أن تدبير الأسقفية يفسد عليه عمل الوحدة، ترك الأسقفية ورفض كل شيء وهرب إلى برية الإسقيط المقدسة في مصر وكمل جميع أيام حياته فيها وبلغ إلى أعلى ما يكون من القداسة، وكان معلم ومرشد لجميع طائفة الرهبان وميناء خلاص لكل أحد.

ووضع هذه الأربع كُتب في غاية البلاغة من تعليم الرهبنة.

وكان هذا القديس في أول الألف السابع من سني العالم.

بركة صلاته تحفظنا، آمين.

الميمر الأول :

في الإفراز الطبيعي

صورة الآدمية: فيها حركات وإفرازات ومشيئات وأنواع مختلفة من أعضاء وأفكار وترتيب الجسد والنفس والحواس.

الجسد فيه العين والأذن والفم واليدين، والإنسان الجواني فيه حواس وأفكار كالأعضاء في الجسد، وفيه ضمير وفكر وتمييز وفهم وعقل وذهن وفيه إرادة وحرية، وكل واحد من هؤلاء معروفة أعماله، وكل واحد يتسلم من الآخر، وجميعهم لشيء واحد.

أول جميعهم الضمير، الثاني الفكر، التمييز، الفهم، العقل، الذهن.

عمل الضمير: أن يضمر بما يكون.

عمل الفكر: هو إن كان ينبغي أن يكون الشيء أم لا.

عمل التمييز: أن الذي ينعمل لا يفسد.

عمل الفهم: أن يكمل العمل حسناً.

عمل المشيئة: إن وافقت كان الشيء أم لا يكون، معروفة قواتهم ومفروزة أفعالهم.

شيء آخر هو أن يضمر الإنسان ولا يفكر، ونوع آخر هو أن يفكر ولا يفهم، وثمة من يريد ولا يميز، وثمة من يميز وما يريد، وثمة من ينظر شيئاً حسناً وما يريد أن يقتنيه، وثمة من فيه حكمة وليس معه تمييز، وثمة من هو فهيم وما له تدبير، ثمة من يضمر وما يفكر، وثمة من يفكر وما يريد.

فعل الإفراز: هو أن يميز الجيد من الرديء، وبين الشيء للشيء.

فعل الحرية: موضوع بين الحياة للموت وبين البر إلى الإثم.

الإنسان ما دام هو جسداني أو نفساني هو مفتقر إلى الحـواس، فـإذا بلـغ إلـى الروحانية بطل احتياجه إلى الحواس.

لأن حيث تكون روح الرب الحرية موجودة.

إذا أراد الضمير أن يبني بيت .. هذا فعل الضمير، وتأخذ منه الفكرة إن كان ينبغي أن يكون أو لم ينبغي، فإن جزمت وقطعت هذا يقال بالإرادة وماذا يكون وكيـف؟ هـذا يدعى معرفة، وفي أي وقت يعمل هذا أيضاً سياسة، والتميز يعطي مقدار الـشيء كيـف يكون ولئلا يصير فيه عيب هذا يصنعه الفهم.

فكر الله في خلائقه لا يبدأ ولا ينهى، الملائكة والأنفس والـشياطين بـدءوا ومـا يكملون. أجساد الناس والعالم المحسوس بدءوا وينهوا، الله المـسجود لـه لا بـدء لـه ولا منتهى. هذه الأربعة تُعرف بالمبدأ والمنتهى.

جعل الله الغضبية في الطبع إناء للغيرة، ليس أن نصنع بهـا الـسخط ونـؤذي وننتقم لأنفسنا، بل لكي نُقيم بها الحق.

ووضع لنا الفم لكي نُبارك ونُسبح وليس أن نلعن ونجدف. ووضع فينا العين لكـي ننظر الأشياء ونشكر الله الخالق، وليس لكي نشتهي ردياً.

إن قال أحد لماذا لم يجعل الله كل إنسان حكيم فيميز!! نقول: أنه ما ينبغي أن تكون الأرض كلها ينابيع.

لأجل أنه عار للراهب أن يكتفي بفضائل العلمانيين الأبرار :

عار عظيم للمتوحد الذي يوعد بكمال السيرة، وعنف عظيم ومحقرة في حقـه: أن يوجد تدبيره مساوٍ لتدبير من هو خائف الله وبار ومهتم بعمل البر وهو علماني متـزوج، **لأنه إن لم يكن الراهب مرتفع عن جميع البشريات ويشخص في كل وقت بالله بالتدبير في السكون وإلا ما يعرف أنه أفضل من العلماني البار،** لأن العلمانيين الفضلاء يعملـون الفضائل الظاهرة بأجسادهم وبالصدقة ولم يحسوا بالتدبير الخفي الكامل الذي للمتوحدين.

وينبغي لهم أن يعرفوا أن: كما أن النفس أفضل من الجسد بطبيعتها، كذلك التدبير الخفي بالسكون هو أفضل من تدبير العلمانيين الظاهر.

وكما أن تدبير الملائكة أفضل من عمل الناس، فكذلك تدبير العقل بالسكون أفضل من تدبير الرهبان بالمجمع، وفضائلهم التي تشبه العلمانيين الأبرار.

وكما أن حب الله ارفع وأشرف من حب الناس، فكذلك عمل المتوحدين أفضل من العلمانيين الصديقين، لأن العلمانيين بمحبة الناس يرضوه، والمتوحدين ما يشتاقون لشيء مما في السماء أو على الأرض إلا له وحده، لأن بإرادتهم اتعروا من كل شيء وألبسوا ضميرهم نظرة الله وحبه، فلهذا هو **عال وأفضل من جميع الفضائل هو عمل السكون**. وقصدنا (غرضنا) بحفظ السكون ليس هو لأجل تكميل القوانين، بل قصدنا بالسكون إنما هو لأجل عمل القلب. لأن عمل تكميل القوانين يتخلف لأجل ضعف الجسد وأما عمل القلب ينشأ ويزيد بالجلوس في الوحدة.

عمل الوحدة :

ينقسم إلى أربعة أنواع :

١ ـ حزن القلب وتواضعه وهمه لأجل خطاياه المتقدمة، وخوفه من الزلل والسقطات الحادثة عليه، لأن بهذا تتربى صلاة القلب بالحزن والاتضاع، والهذيذ بالفضائل، ونوع الهذيذ بالفضائل هو تحريك حسن تدبير القديسين، لأن منه تتيقظ النفس أن تتزين بفضائلهم ويأخذ شبههم في ذاته وصبرهم والفرح بالضوائق، والتجلد في الوحدة وعفة الأعضاء، والازدراء بشهوة الجسد والاهتمام دائماً بالطهارة وأن يكون غير محسوب بالكلية. لأن من هذه يتولد فيه عدم الغضب الغير حري، الذي هو دلايل العظمة الكامنة في داخل النفس، وكمثل ما بتصور فضائلهم في ذاته وبغير عناء يسير بتذكار صبرهم، لأن بهذا تنقى صلاتنا من الانحلال والملل ومن الطياشة في الأفكار بغيرة فضائلهم.

كم من وقت يقبل الله صلواتنا. وهذا هو القصد بعمل السكون، لأن به يتقوم العقل ويتشجع ويطهر ويطرد الكسل ليكون بمفاوضة الحسنات يشتهي كل أوقاته، وبعدم تذكار العالم تملك فيه حرارة دائمة بذكر الفضائل، وإلى نقاوة عمل العقل يتدرج، التي هى العمل الفاضل.

ومن هذين الأمرين يقتنى النوعين الفاضلين: التي هى التفرس فـي خلائـق اللـه والتعجب بالسياسة الإلهية فينا من الأول إلى الأخير.

٢ ـ والنوع الثاني: الهم الفاضل بالله وحده:

هذا الذي يجذب للدهش في طبيعته على الدوام، وضمير عـال مـتحكم بـالروح ومعرفة فاضلة وإيمان سري متضاعف باهتمام عالم الجديد.

والهذيذ بالمزمعات وانتقال دائم إليه بسفر الضمير، وظهور أسرار تتغير في الذهن للمنازل العلوية، ويرتشد من واحد إلى واحد، ليس بإرادته، وينتهي أمره أنه يتحد بالأزلية الإلهية، وإلى العِلة الأولى يرجع العقل في كمال تدبيره ويتفرس بترتيب حـب الخـالق، وبإرادته الصالحة للناطقين، وتبطل هاهنا كل الشكوك والخوف.

لهذا الكمال ينتهي قصد تدبير الوحدة والعمل في القلايـة، لأن الجـسد يـضعف، والضمير يتشبب، والحواس تبطل، والمعرفة ترتفع، والأفكار تشرق بالنقـاوة، والـذهن يطير ويرتفع إلى الله بتصوره.

والضمير ينقبض من العالم ويطيش بالله بهذيذه مشترك مع الجـسد، ولـيس مـع الجسد يثبت الفكر، بل مفاوضته في العلاء بما هو أفضل.

الجسم انحط وكف ... والقلب بالفرح يسر ... ولكن من دون المعرفـة لـم يرتفـع القلب.

صـلاة: أيها المسيح إلهنا ... أخرجني من الظلمة إلى النور، لكي أُسبحك تسابيح القلب لا الفم.

٣ ـ والنوع الثالث: في الثاؤريا:

الذي قد بلغ إلى تدبير الثاؤريا ومعرفة الروح، ينبغي له جداً الوحدة والسكون في موضع سكنه ويكون منقطع من كل أحد لكي يقتني سكون بسكون، وبالأكثر في الليـل، كمثل ما أورنا سيدنا أنه في الليالي كان ينطلق إلى موضع قفر لتعليم أبناء النور المزمعين أن يسيروا في أثره بهذا التدبير الجديد.

لأن المفاوضة الفردية مع الله هى عمل الرتب السمائية، وظهرت للناس بابن الله الذي نزل لعالمهم وأوراهم عمل الغير منظورين، لأنهم بتمجيد الله يتحركون بـلا فتـور وبتصور الثاؤريا يرتفعون إلى طبع الثالوث المسجود له، ويثبتون في الدهش بنظرة عظم ذلك المجد الذي لا ينطق به لأن بهذا التدبير عتيد أن جميع طبع البشر أن يكونوا في قيامة العامة.

في ثاؤرية الإنسان الجواني:

كلما يدنو الإنسان لمعرفة الحق ينقص من فعل الحواس ويزيد في صمت الإفـراز دائماً، وبقدر ما يقرب من تدبير العالم بعمله تتلاذذ حواسه ويقظتهم تكثر فيه.

تقلب هذه الحياة لخدمة الأحواس عطي، وتدبير المزمع لفعل الروح حتى ولا فـي هذا العالم تحتمل الحواس أن تصادف ذلك السر، بل يتخلفوا من عملهم كمثل بالنوم، وليس هم الذين يصادفوا ذلك السر الذي يعطى عربون بل الإنسان الجواني.

يعطيك الله أن تعرف قوة العالم المزمع وبهذا تتخاف من جميع هذا العالم.

٤ ـ النوع الرابع: في الصلاة:

قصد هذه المقالات أنه ينبغي لنا أن لا نبطل من الأنواع الجسدانية اللائق بالصلاة برأي فاسد، ولو أننا نرتفع إلى علو الأعلى (أعلى العلو) بتدبيرنا، وأعني بهذا عن القيام بالخدمة، والسجود وضرب الميطانيات. **لأن خدمة المزامير تخلصنا من شرور عظيمـة**

وبها نبلغ إلى موهبة طهارة الصلاة وإلى نظرة العقل التي هى الأفهام بالروح لأن هـذا هو كمال الخدمة وكمال ترتيب القوانين.

في ما هو حب الله وكيف يقتنى ومتى:

حب الله هو شيئاً يختلج غير معروف وبغير إفراز، ولا من معرفة الكتب يستطاع أن يتحرك في الإنسان، ولا هو الإنسان إذا أراد يقدر أن يحب الله من معرفـة القـراءة وسيرة الكتب، وأما أن يقبل العقل استحياء من تذكار عظمة الله ويخاف منه بإفراز خوف العبيد أو مخافة البنين، وليتيقظ لعمل الفضيلة ولحرارة الصلاح والاحتراس من الأشـياء المحذر عليها في الناموس، وليغصب الإنسان ويقصر ذاته بالجهاد والعناء ليتصور فـي نفسه حب الله، أو من العوائد والتخيلات البشرية حتى ولا من النواميس والوصايا التـي على الحب يستطاع أن يحب الله.

لأن من الناموس الخوف يتولد وليس المحبـة، بـل إذا مـا قبـل الإنـسان روح الاستعلانات وتتجدد نفسه بحركاتها بحكمة الله التي تفوق العالم ويحس بالله عظيماً جـداً في ذاته بدون هذا لا يمكن أن يدنى إلى مذاقه المحبة الممجدة، لأن الذي ما يشرب الخمر ما يسكر من الخبر على صفته، والذي ما أوهل في ذاته لمعرفة عظائم الله ما يقـدر أن يسكر بمحبته.

الميمر الثاني :

✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦

في ســـيرة الســكون

✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦

قبل كل شيء ينبغي أن نعلم أن تدابير المسيحية تنقسم إلى إفرازات كثيرة، لمعرفة السيد المسيح سيدنا بعجز وضعف طبع بني البشر وكثرة اختلاف آراء النصارى، أنه ليس جميعهم يريدوا أو يستطيعوا أن يسلكوا في طريق الكمال التعبة العسرة، لكي يدركوا بعمل الجسد وعرق النفس ذاك الشيء الذي من أجله أدركهم المسيح، أعني أن يحبوه بالكمـال بعمل وصاياه المحيية حتى إلى الموت كمثل ما أحببنا هو بالتمام، وأظهر حبه لهم بالفعل، بكل تعب وتجربة احتملها من أجلهم حتى إلى الموت موت الصليب.

فلهذا **استعمل معهم الرحمة، ووضع قدامهم طُرق كثيرة وسبل مختلفة لكي الـذي ما يقدر يسير في الطريق التعبة لأجل صعوبتها، يسير في الأخرى لأجل سهولتها،** لكي لا أحد من النصارى يخيب من ميراث تنعم ملكوت السماء التي أنعم بها سـيدنا علـيهم بسفك دمه من أجلهم.

لأن كل إنسان حسب محبته لسيدنا، وبمقدار عمل وصاياه فكذلك يكـون مكافأتـه وتنعمه.

قال سيدنا: كثيرة هى المنازل في بيت أبي، وكوكب أشرف من كوكـب بالمجـد، وهكذا أيضاً قيامة الأموات (١ كو ١٥ : ٤١). قال رسوله. فلهذا قلنا اختلاف كثير فـي سيرة المسيحيين، وكل واحد أفضل من رفيقه وأكمل.

شيء آخر هو تدبير العلمانيين النصارى المحقـين، وشـيء آخـر هـو تـدبير المتورعين، وآخر هو تدبير الرهبان، هؤلاء لم يتخذوا نساء ولا يأكلوا لحم وهم أقل مـن المتوحدين وأفضل من المتورعين، هؤلاء الرهبان يزرعوا ويحـصدوا ويخـدموا مـن

يطرقهم لأن أديرتهم مبنية على قوارع الطرق، وآخر هو أيضاً تدبير المتوحدين المبتدئين، هؤلاء هم سكان في مجامع كنوبيون، وآخر هو تدبير المتوحدين المنفردين فـي القلالـي ويحفظون السكوت، وآخر هو تدبير المتوحدين الذين يحفظون سكوت الأسابيع مع صـوم سيدنا وصوم الرسل وصوم الأنبياء، وآخر هو قانون وتدبير المتوحدين الـذين يجلـسون متفردين خارج عن المجامع وفي البراري والمغاير، وآخر هو تدبير سـنن المتوحـدين المتنقلين كمثل ما كتب الأب إشعياء وكالسبعة الذين مضوا إلى الأب شيشوي، وآخر هـو التدبير العالي الكامل الذي لآبائنا السواح.

ويقصر بنا الوقت أن نتكلم على إفرازات وتدبير هؤلاء الرتب المختلفة، لأن كـل صنف منهم يريد ميمر ليظهر ما هو تدبيره وما هى كيفية عمله.

في تدبير المتوحد الذي يمسك سكون الأسابيع :

والآن نتكلم في تدبير المتوحد الذي يحفظ سكون الأسابيع وأنه لأي سبب الآباء كل واحد في زمانه يأمروا الإخوة على الجلوس في السكون ونُظهر بعد ذلك ما هـى منفعـة السكون:

تكون تعلم أن في أيام القديس مكاريوس ما كان مثل زماننا نحن، ولـو أن تكـون أيامنا مثل ذلك الزمان الذي تكون فيه القديسين، ما كان ضرورة للإخوة المبتدئين علـى الحبس في أسابيع محدودة، لأننا نعلم من الكتاب الـذي صـنع القـديس مكـاريوس أن بالكلية لا يخرج الأخ المبتدئ من قلايته في وسط الأسـبوع، ولا أحـداً يـزور أخيـه أيضاً، بل في يوم السبت يخرجون من قلاليهم وقت العشاء ويأتون إلـى المجمـع وهـم صيام.

لأن طول السنة صيفاً وشتاء كانوا يتقربون عشية السبت، ولما كـانوا يخرجـون الآباء والإخوة ويأتون إلى المجمع ليسمعوا القراءة، الذي كان يتهاون وما يحضر كـانوا يقطعون عليه بحكم صعب.

ومن بعد أن يتقربوا يدخلون إلى المائدة، ومن بعد الأكل يقفون في الـصلاة ليلـة الأحد ساهرين بلا نوم من العشية إلى بكرة بخدمة المزامير والتـسابيح وقـراءة الكتـب وتفاسيرها ومسائل الإخوة وأجوبة المشايخ ويترتبون منهم بالمواعظ، وما كانوا يعطـون فسحة لا للشيطان ولا لأحد من الإخوة المنحلين أن يتكلم كلمة تجلـب خـسارة لأحـد، ولا لأحد أن يثلب رفيقه ولا يحرك خصومة أو يجلب أحد ذكر شيئاً من العـالم أو مـن سيرته الباطلة لكي لا يتأذى أحداً من الإخوة المحترصين، حتى وإن كان أحداً يتأذى فـي قلايته إما من ضجر أو من قتال، عندما يأتي إلى المجمع كان ينتفع بمنظر الآباء، ويحتر بالغيرة كمثل بالنار عندما ينظر أعمال الآباء ويسمع كلامهم ويشاهد فـضائلهم فيتـزود منفعة عظيمة ومعونة في العمل والجهاد في حبسه من ما سمع ونظر، وإذا كانـت هـذه المنفعة كلها تكون من اجتماعهم يوم الأحد، ومع هذا ما كانوا يفسحوا للإخوة أن يخرجوا في وسط الأسبوع.

وأما في زماننا هذا العادم من الاستقامة الذي برد فيه الحب والحرارة اتخلفت وعدم التحفظ، كل وقت نخرج للمجمع نوسق خسارة ليس بقليلة بسبب كلامنا الباطـل، ولـيس يكون في صلاتنا وخدمتنا قوة.

وإن كان فينا إخوة محترصين يتشتت حرصهم جميع الأسبوع بسبب الكلام الرديء الذي سمعوه من المعتادين على الانحلال، فالضرورة تلجئ الذين يهتمون بخلاص أنفسهم ويتشوقوا لمحبة ربنا، ولتكميل وصاياه المقدسة ليداوموا الثبات في السكون كـل واحـد حسب رتبته.

أولاً : يبعد الإنسان ذاته ويحد لنفسه قانوناً: أن في مدة الأسبوع بالكلية لا يخرج من قلايته، ولا يفسح لأحد من الناس أن يعبر إليه، وإن أمكن ولا من الطاقة يتكلم مع أحد حتى يأخذ لنفسه تجربة في جميع الضوائق التي تحدث عليه من الآلام ومـن الـشياطين اللاصقين بعمل السكون الأسبوعي، وليتميز الأفهام الروحانية والعزاوات الإلهيـة التـي

تعطى له بنعمة الله حسب ما يليق بطقس عمل الـسكون الـصغير الـذي هـو حـبس الأسابيع.

وبعد ذلك يتدرج إلى سكون أعلا من هذا: الذي هو كل الأيام، وإن استطاع وأراد أن يكمل حياته بالسكون الكلي والانقطاع الدائم حسب إرادة ربنا. فإن كان أحـداً يحفـظ سكون الأسابيع ويعمل داخل سكونه بحفظ الحواس وقمع الأفكار كمقدار قوتـه وحـسب رتبته، لأن الله ما يطلب من الإنسان أكثر من قوته.

وعندما يخرج إلى المجمع يوم الأحد، إن نظر أنه ما يأتي إلـى قـدام ولا يـنجح بالحفظ وبالأعمال وبمحبة الثبات في السكون في القلاية، بل كم من وقت يخسر من النظر والسمع وما يقدر يثبت في الحرص وتكثر عليه المجاذبات والخبايط لأجل الأمور النافعة والغير نافعة وينحط إلى الانحلال والكلام البطال، وبغض الثبات في القلاية، وتوسوس له الرخاوة لكي يدخل ويخرج ويأكل ويشرب ويتحدث ... فليسرع إلى السكون الكلي العادم من الدخول والخروج.

وأما التي قالها الأب وغرى في أمر الوحدة: جيدة هى الوحدة والانفراد ... مع بقية كلامه، ولكن فليحذر الأخ، لئلا ما يقدر يثبت قبال التجارب الحادثة عليه فـي الـسكون فيتأذى في عقله، فليخرج إلى المجمع ... هذه الوحدة التي قال عنها لـيس هـى سـكون الأسابيع، ولا لذاك الكامل الذي يكون بالانفراد، بل السكن في البراري والجبـال، وهـى لا تناسب كل أحد بل هى لأناس عارفين قد نجحت فيهم المعرفة، وتزايدت محبة المسيح في قلوبهم واقتنوا صبر واحتمال كثير.

لأن ثلاثة حروب صعبة تلصق بالتدبير الانفرادي في القفر:

١ - الخوف المرعب في الليل.

٢ - الضجر المحزن في النهار.

٣ - ضلالة الشياطين وطغيانهم.

هذه الثلاثة حروب تأتي على الإنسان في البراري، فإن كان أبله غير درب، ومـا فيه حب لربنا، وصبره قليل، إذا لم يكن له مرشد، فسرعان ما يتأذى في عقله.

لأن صعوبة هذه الثلاثة حروب ما تحصل للإخوة الذين فـي المجـامع يحفظـون سكون الأسابيع، ولا لذلك الوسطاني، حتى ولا الكامل.

وإن حدث لأحد منهم ... يقدر المرشد مع معونة الله أن يبطلها، فلهذا قال القديس أنبا وغرى: إن لم ينتفع الأخ من الوحدة فليرجع إلى سكون الأسابيع في المجمع، **وإنمـا يفعل ذلك برأي المعلم وإذن المدبر وبمشورة الآباء وبصلوات إخوته ينتفع.**

وإن لم يقبلوا منه في الأول يداوم الطِلبة إلى الله بحزن ودموع ليحرك في قلـوبهم ما يليق بمنفعته، ولا ينبغي للإنسان إذا طلب شيء من ربنا أو شفاعة القديسين، أن سريعاً ينال مسألته، بل يثبت في الطلبة مدة، وبعد ذلك تعطى له، ولا يظـن إذا تعوقـت عنـه الموهبة أن ليس هى إرادة الله مسألته.

وقبل كل شيء يحتاج الذي يجلس في السكون لهذه الثلاثة التي هى:

١ - الغرض المستقيم.

٢ - تكميل خدمة الأوقات.

٣ - المرشد.

... هؤلاء الثلاثة لابد منهم.

وإن كان على الدوام ما يقدر أن يكمل قانونه في الصلاة لأجـل ضـعف جـسده، أو من أجل ضجر نفسه **فليكن يحترس بغرضه وبوجود المرشد**.

لأنه إذا وجد هذين الأمرين، لا ضعف الجسد ولا ضجر النفس يضرون ويعوقون كما قال مار افرآم: ليس تنجح طريقنا من دون المرشد الذي قد وضِع مـن اللـه للـذين يريدون أن يسيروا إليه، لأن تعويقات كثيرة تولد الضلالة، وتحير الذي يريد أن يمشي في طريق الفضيلة.

الميمر الثالث :

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

في الصـــلاة والـهذيــذ باللــه

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

ليس تدبير يقبض (يجمع) العقل من العالم وينجيه من الخطايا كمثل الهذيذ بالله..

وعسراً هو جداً وصعب هذا العمل، ولكن خفيف ولذيذ ... وأنت أيها الأخ الحبيب إن كنت تريد أن تكون بالهذيذ الدائم بالله الذي هو حجاب الباب قدام الأفكار الفاسدة، ابدأ بكثرة الصلوات على الدوام، والهذيذ الدائم بالله هو يجعلنا مداومين الـصلاة، والـصلاة تحرك القلب للهذيذ بغير فتور بالله وتجعل العقل سماوي بالحركـات الفاضـلة للتعلـيم الإلهي، وبالكلام الموافق لمخافة الله بالصلاة يوجد، حسب ما تعلمنا من سيدنا.

وبالوصايا التي قال فيها عن الصلاة أنه كيف ينبغي أن تكون حيـاة النـصراني، وأيما هم الذي ينبغي أن نطلب في الصلاة، لأنه بالضرورة كمثل مـا نريـد أن تكـون تدابيرنا هكذا ينبغي أن تكون صلاتنا وأن تكون مسألتنا بحكمة كما علمنا، ومطيبة بالرجاء السماوي وبمفاوضة ومعرفة أسراره.

فلهذا **كل صلاة تكون تعبيراً عن الحياة كما قال المفسر. بكل نوع يصلي العـارف فهم ما يأخذ الـذهن**، حسب ترتيب العلم الإلهي لكي يبعد من الجسدانيات ويـرتبط بهـم الحياة والتقلب وتذكار الأمور المزمعة لكي بنوع الصلاة بتعاليم عالية ومعرفة فاضلة على الحياة الغير مائتة ربوات إفهام تختلج في ضميرنا، وكيف نحن من الأرض بطبيعتنا وبيد من ارتفعنا وتجنسنا به، وبأي أسرار تحكمنا بالفعل نكون فيهم. **فالصلاة تليـق بالكمـال وهى استقامة الضمير ووعظ بالأنواع الحسنة، والحرية إلى الأمور المرتفعـة وهذيـذ الروح وتذكار السمائيات والهم بالخفيات. الصلاة تشجع الضمير، وتعطي العقل قوة تلك التي من الحب تكون.**

لأن الرجاء يلهب ضميرهم ليتجلدوا بالشيء الذي هم فيه، ويصبرون على الضوائق وشرور الأرض، وإذا قايسوهم بالخيرات الموعودين بها فيكونوا عندهم لا شيء، ولـ ذلك الشبه ينقلبون بمرآة ضميرهم وقت وقت، بنعمة ومعونة الروح والتشوق الإرادي.

الصلاة الكاملة توري **الطريق، الصعود** بما يفوق العالم وتنشوا النفس بالـ سمائيات وترذل هذا العالم بمحبة الله وتتشجع على الحروب التي قبالها.

وبالصلاة تجني (تنال) النعمة تلك التي تسمى الملكوت لكي بالحسس بها ننـ سى الأرض ونكون بسلامة العقل بتلك الأسرار.

وتعلمنا أن نوعين نعلم أن من عنده هى القوة ونتغير ونثبت بالأمور الفاضلة، وإذ نحن في الأرض يكون تقلبنا في السمائيات بأن نحس أن لنا قوة ومعـ ين غيـ ر منظـ ور سمائي كل وقت يعاضد لما يرفع الطبع.

وكمثل ما قال **القديس مـ رقس** أن الذي يصلي بفهم ينبغي أن يصبر على جميع ما يأتي عليه لأن هكذا هى حياة الصلاة، لكي بالأفهام المختلفة المدهشة تجعل عقلنا شـ جيع وغير قابل الآلام حسب قول **مار أوغريس**: إن كل من يصلي بفهم هذه الفـ ضيلة تعـ ده للجهاد مع الشياطين بواسطة فهم كلام الصلاة وتشعله بمحبة المزمعات والمعرفـ ة التـ ي فيهن بإفرازات الطبع تفصل العقل عن الجسد بالتخلص من الطبع الأرضي.

أظهروا هؤلاء القديسين الرواميز التي تتحرك والتجارب التي تقوم على الذي فـ ي هذا الطريق يسلك: إن كان من الطبع، أو من الشياطين، أو من الناس.

قال مار أوغريس: المعونة التي يأخذها العقل بالصلاة تنمو بلذة الرجاء، وليس فقط تكون الحروب عنده كلا شيء، بل ويزدري أيضاً بالجسد الذي هو سبب القتالات.

هذا هو تدبير الصلاة، وهذا هو منفعة الهذيذ الإلهي الذي فيها، وهذا هـ و العمـ ل الكامل الذي بالمصعد الإلهي بواسطة الذهن يفعل.

وهذا إنما يكون بالجلوس الفريدي، والوحدة والبعد من جميع هموم العـالم، لأن هنا يولد الهدوء وسكون القلب لكي بمداومة الهدوء بالله وسكون مـن الأفكـار يـستطيع الضمير أن يتفرس بكل أنواع الصلاة ويقتبس معرفة على الله، وبواسطة ألفاظ الـصلاة يمكننا الدخول إلى الأسرار.

والصلاة تقرب العقل إلى الله بواسطة هذيذها كل وقت وتـشجع العقـل وتنقيـه بغياراتها (تجديداتها) وتناوله القدس بهذيذها ..

هذا هو الهذيذ الموصل إلى كل الهذيذات، لأنه بالضرورة يربط العقـل ليستـضئ بالخفيات الداخلة، ومعرفة الله منهم تتخذ، ومن هاهنا نحس بالفعل أننا بنين الآب السماوي، وورثة وبني ميراث يسوع المسيح، وهنا نقول منْ يقدر يفرزني من حب المسيح .. سيف أو نار .. وما تبقى **(رو ٨ : ٣٥)** وإني مصلوب للعالم والعالم لي **(غل ٦ : ١٤).**

كل التماجيد يستحقها طبع المسيح الذي بتدبيره بالجسد رفعنا من النظر بالأرضيات وأرشد عقولنا للمصاعد الإلهية التي تفوق العالم، وبمفاوضة الصلاة قدمنا لنظرة ملكـوت السماء، والهذيذ الدائم بها، الموضع الذي نحن مزمعين أن نقدم فيه دائماً السجود بالروح، الغير محدود بالجسد ولا بأقطار العالم ولا بالانحناء الظاهر، بل بعقل ينحـل بحركاتـه الدهشة عليه بلا انقضاء، وبغير انقطاع في بلاد الغير متجسدين، بذلك التـدبير المرتفـع عن طقس الصلاة، لأن الدهش يكون عوض الصلاة، وعوض الأمانة التي هـى أجنحـة الصلاة.

وتكون النظرة الحقيقية التي هى لمملكتنا ومجدنا حيث هناك يظهر لنا أن الله ليس هو محتاج إلى تمجيد المخلوقين، بل بالتحقيق تنازل لهؤلاء جميعهم.

لأن هناك نقبل حقيقة كل شيء عن الله، ليس عن طبعه، بل على ترتيب عظمتـه ومجده الإلهي وحبه لنا، حيث ترتفع كل الحجب والأنواع وأشكال جميع السياسة والتدبير من قدام العقل.

ويبان لنا أنه ليس لأجل طلبتنا نعطى مواهبه ولا إنعامه بكيل ومقدار، بل إنما جعل طلبتنا وساطة، وزي كلام يوصل العقل إلى الطياشة بأزليته ومعرفة اهتمامه بنا، وذلـك عندما نقبل تلك العظمة التي منذ قط ما أدركها طقس الصلاة ولا الطلب لأجلها تصور في العقل.

لأن الشيء الذي يقبلوه الناطقين لم يصعد على قلب إنسان، لأن ليس فـي طـبعهم معرفته ليطلبوه بل بالحب نفهم أنه يعطى لنا إن كان هنا أو هناك وجعل الـسبب نحـن. ولحسن سيرتنا قطع أن تكون مواهبه من أجل إنعامه الغزيرة وعندما نأخذ معرفـة هـذه كلها، عند ذلك نعرف الأبوية الحقيقية، والحب والصلاح الأزلي وأنه غير محتاج للعـالم ولا للتجديد المزمع ولا لملكوت السماء.

لأن الملكوت والتنعم والنور هم طبيعته، من أجل جوده أتى بهؤلاء للتكوين وخلقنا ومن أجلنا برأ هؤلاء جميعهم ليعطينا ملكوته ومجده وعظمته وكرامته وكل سلطان أزليته ويجعلنا أزليين بلا انقضاء مثله ولابسين نور حياتهم بغير انقطاع وليس لأزليته انقـضاء ولا لمملكتهم.

المجد للذي بيده الجميع لهذه الأشياء قدمنا، ودعينا نحن ذو الطبع المائت للآب السماوي بنين وعرفنا ذاك الذي هو منذ الأزل، آمين.

الميمر السادس :

دلائـل توضـح أمـور أمـور

إذا كنت في سكون مع عمل الاتضاع الجيد، إذا ما دنت نفسك أن تخرج من الظلام هذه علامتك:

إنه يحترق قلبك، ويشتعل كمثل بالنار ليلاً ونهار، وجميع الأمور الأرضانية تكون عندك كمثل الزبل، ولا يحلو لك أن تدنو بلذة (أي من أجل شهوة البطن)، مـن أجـل الأفكار الجيدة الحارة المتحركة في نفسك على الدوام.

ويعطى لك من السكون ينبوع دموع بلا غصبية مختلطة بجميع أعمالك، أعني مع قراءاتك ومع صلاتك ومع خدمتك ومع هذيذك وأكلك وشربك، ومع جميـع مـا تـصنع تمتزج الدموع، وإذا نظرت هؤلاء في نفسك ثق وتشجع.

في طريق الوحدة ومداومة الجلوس في القلاية :

المتوحد بتكميل قوانين الوحدة يمكنه أن يحفظ طريق الوحدة بحـلاوة، وإذا مـا رفض المتوحد قوانين الوحدة وتهاون بها، أفكار العلمانيين تحدث لـه بـسياسته فـي القلاية بغير أن يشاء، وليس أعني بقولي هذا عن الضعفاء أنه يؤذى في السكون من دون عمل قوانينه، بل الذي جسده صحيح وقوي ويتهاون من تكميل قوانين الطريق، ولا أيضاً يقدر أن يثبت في القلاية على الدوام، ومن الملاقاة الشهوانية والقتالات التي يصادفهم على الدوام .. قليل قليل ينسى لأجل مداومة نظر العلمانيين وأشكالهم المنحلة، وينـسى أيـضاً الموعد المقدس وإن كنت مشتغل بعمل صنعة ما وتتعطل عن الدوران والطياشـة ومـا تحفظ مع هذه قوانين الوحدة، أفكار الحيوان تكون لك وتتحرك فيك.

وفي الحبس إذا نسيت أنها قلاية بل حانوت ومن ههنا حركات العلمانيين تتحـرك وليس البتوليين والمتجردين وحافظين العقل بالصلاة، فاعلم أنه ليس القلايـة هـى التـي تحرس العفيف بتحفظ، بل قوانين العفة، وبالأكثر الجسد الغير مروض، والمزاج الـشغب الذي على الدوام يوثب وراء الشهوة.

في إيضاح القوانين التي توجب على السكان في الهدوء :

++

قوانين الوحدة التي تحفظ طريق السكون باحتراس وصيانة، هم:

١ - تكميل خدمة الأوقات.

٢ - قانون القراءة المفترزة.

٣ - ضرب الميطانيات متواتراً.

٤ - الصوم إلى العشاء خارج عن وقت مرض لازم.

٥ - تصرف حسن محترس يتدبر به الإنسان مع نفسه داخل قلايته في ترتيب أعضاؤه.

٦ - ولا يكون له خروج ودخول على الدوام بانحلال خارج عن أمر ضروري.

٧ - ولا تكون قلايته مزار لكثيرين.

هذه القوانين المحدودة بقياس التي للوحدة، وليس هم تعبين كثير، وهم يحفظون المتوحد من العثرات والسقوط بمعونة الله.

وكما أن الله يقدر أن يحفظنا بهذه الحياة من دون الأكل والشرب كمثل ما في العالم المزمع (حياة الدهر الآتي) لكن ما رأى أن يفعل ذلك في هذا العـالم الحاضـر لأجـل تعليمنا وتخريجنا، بل بمواد كثيرة يمنح لنا الحياة.

هكذا هو أيضاً قادر أن يقيمنا من دون تعبنا وهمتنا فـوق كـل حركـات فاسـدة وبضمير روحاني لا يفكر بشيء خارج عن الله.

القلاية هى كنز الأفهام وبلد الثاؤريا، ومأوى المعرفـة، ومكـان الفـرح وكـور التجارب ورجوع النفس ونوم الخطية ومذكرة الموت على الدوام، وبهـا تتـيقظ فـي

العقل جميع الثاؤريات حسب مقـدار منزلـة الإنـسان وسـريعاً تمتـد إلـى الأمـور العظيمة.

بنوعين يصنع الجسد نياحه بحماقة ويسبب للنفس أتعاب ومشقة وروامیز للفكر وهما:

١ - عدم ضبط البطن الغير منخضعة لتجلد الصيام.

٢ – عدم ترتيب الأعضاء التي تعطي دالة للنظر، والمجسة الغير متعففة التي منهم يحدث فساد هيكل الله بتوسط الأفكار الطائشة في الأباطيل.

لأن بتوسط الجلوس المتعفف وحسن ترتيب الأعضاء ينبغي أن يتيقظ بذاته بتصرفه في الوحدة داخل قلايته بحياء وترتيب، وإن أمكن لباسك الجواني لا تخلع أبداً ولو أنك شيخ، كلما عبرت من هذا القتال، ولا تكشف رجليك من الثياب إن أمكن من غير ضرورة أكيدة.

وتظهر علامة ودلائل الشغب بذاتك أن تنخدع لأجل نياح قليل لجسدك لئلا يوثـب عليك نياح ثان الذي هو نجاس الأعضاء.

ولو أنك شيخ .. لا تثق وتتهاون في حفظ الأعضاء كمثل أن لا فائدة فيهـا، لأن سبب الانحلال الثاني يكون من الانحلال الأول والثالث من الثاني.

الذي يتضيق في قلبه من أجل الخوف ومحبة العفة، ويفرح بالصبر على الـصوم ويأكل بقانون، ما ينخدع لانحلال الحواس ولا يهمل ترتيب نظام الصوم، ومن هذه يضبط ذاته من أن يصنع دالة جاهلة مع نفسه.

الذي يحترس في ما يخصه ويقتني عوائد جيدة في جـسده وجميـع أعـضاؤه باحتراس متعفف ويكرم الله بنفسه وجسده، معروف أيضاً أنه إذا اتفق وكان خارج عن قلايته، ذاك التحفظ يتردا على جميع أعضاؤه بحياء نظره إلى أي عارض يصادفه.

ولتاك الصيانة يقتني بسائر حواسه، لأجل تأسس العادة التي اقتناها بالخفى مع نفسه داخل قلايته.

لأن من الكلام المنحل والدالة مع آخرين التي يصنع داخل قلايته وانحلالـه مـع نفسه، إذ كان وحده معروفاً أيضاً أن خارج عن قلايته تلك العوائد يقتني وبهم ينفعل.

لأن حسن نظام عوايده داخل الفلاية تعلمه الحفظ خارجها.

لأن الذي يتدبر في فلايته حسناً لا يمكن أن لا يكون خارج منهـا تلـك الأنـواع الحسنة، وتظهر فيه بأن خارج الإنسان هو مرآة ودليل على خفاياه.

في الأعمال التي يتدبر فيها إذا كان في السكون :

الصمت الدائم هو زينة وبهاء المتوحد، لأنه نقص في حق المتوحد أن يكون مفتقر إلى الاحتراس، وكيف ينبغي له أن يكون في السكون والاتضاع على الدوام بأن انحـلال تصرفه البراني هو دليل على انحلال القلب الخفي.

المنحل بحواسه هو أيضاً منحل بقلبه، والمنحل بقلبه منحل أيضاً بحواسه، والـذي هو هكذا منحل من داخل وخارج لا يمكن أن يكون له بالكلية اهتمام بالله، وهذيذ بتـدبير السيرة النقية المتقنة، لأن التدبير البراني هو يصون الجواني وتـدبير الجـواني صـيانة للبراني.

العمل الأول في الفضيلة هو السكون، والعمل الأول في السكون هو الصوم، لأنـه كثير يصلح الصوم لعمل الله، السكون هو نقص حواسنا من العالم، الصوم هـو دليـل العمل مع الله، ودليل الاستعداد للقتال والجحود بالعالم.

والعمل الثاني بالسكون هو الصلاة، لأنه إذا كفر بالعـالم الإنـسان يحـصل فـي المفاوضة النقية مع الله التي هى الصلاة.

الصلاة هى طيران عقلنا إلى الله حسب قول باسيليوس: " نـداوم علـى الـصلاة بإفراز ليقتني عقلنا حياء وتعففاً من النظر الدائم في الله والكلام الهادئ معه ".

الحواس التي تداوم الطياشة في أشياء كثيرة وفي كثيرين ما يقدروا أن يقتنوا قلـب متعفف.

السكون يصلح جداً لعمل الله، ولأجل هذا القديسين قبضوا حواسهم أولاً من العالم وبعد ذلك اهتموا باستعداد القلب بعمل الله الخفي، لأنه إن لم يرتبط الجـسد أولاً بعمـل

الفضيلة لم يتفاوض الفكر بفلاحة الفضيلة. لأن الجسد المتفـرد يـصلح كثيـراً لعمـل الفضيلة، لأن منه يقتنى ذهن مجموع وضمير هادئ وأفكار غير مضطربة بمناظر العالم.

نحب النوم الهادئ في السكون لأن خيالات أحلامها أنفع من أفكار اليقظـة التـي تكون خارج عن السكون.

نحب الوحدة لكي نقتني منها ضمير نقي متوحد متحد بالسر الوحيد الـذي مـن حضن الآب.

نحب الأمراض التي من العدم لكي بهم نؤهل للعزاء الحلو الـذي يـصنع معنـا من الله.

شيء آخر هم أعمال الوحدة التعبين الذين ينبغي للجسد القوي الصحيح وشـجاعة نفس، وبالجسد الضعيف المنحط ما يكملون، وشيئاً آخر الذين هم محتاجين إلـى يقظـة واهتمام فقط وليس يريدون قوة جسد في تكميلهم بل استعداد الإرادة.

إذا لم نقدر نسهر الليل جميعه مثل كثيرين الذين يقومون على أقدامهم من العـشاء إلى بكرة بلا نوم، مراميت [1] كثيرة في كل وقت من النهار وصلوات متواترة بـضرب ميطانيات كثيرة وصوم وطي أيام، **بل يمكن ضعيف الجسد أن لا ينام مـن العـشاء وأن يخدم قليل مزامير وقت الستار وينام. ويغصب نفسه في الليل إذا لم يكن مريض ويكمل قليل من الخدمة**، وإن لم يمكنه بالقيام، **ولو أنه جالس يستطيع**، وإذا لم يقدر أن يخدم سبع مراميت في كل وقت من النهار كمثل الأقوياء بل على كل حال يقدر ولو أنه مرميـت أو **مزمور واحد يخدم في كل وقت ولا يعبرها بإهمال ويبطل شيئاً من السبع أوقـات. وأن يصوم إلى العشاء كمثل الضعفاء أو التاسعة أو لنصف النهار يمكنه، ولا يأكل من باكر.**

وهذا الحفظ والاحتراس ليس يحتاج إلى قوة الجسد.

---

[1] مرميت أعني ثلاثة مزامير.

وإذا لم يقدر على الحبس الضيق مثـل الأقويـاء، ولا الأسـبوع جميعـه مثـل المتوسطين، بل أن **لا يفتح بابه كل يوم ويمضي إلى أخيه، ويركب له أسباب، أو يطيش خارج عن قلايته.**

هذا جميعه يقدر يعمله ضعيف الجسم وأن يتصرف في قلايته بحسن نظام ولا يلقي عنه ثيابه ويتعرى ويبعد عنه الحياء والعفة بل بخوف واستحياء من الله يتقلب، ولا يهـتم بغسل وتنظيف جسده ويديه ورجليه ويسرح شعر ذقنه ويربيه وينظف ثيابه كمثـل مـن يعتني أن يدخل على ذاته قتال على قتال، وكالزانية التي تداوي الشهوة بشهوة.

ويقدر الضعيف أن يقتني يقظة الفكر، لأنه حيث توجد مخافة اللـه هنـاك توجـد الصلاة الطاهرة التي بغير طياشة، وهى تشجع الإنسان وتقوده للصوم الكثير الذي فـوق الطبيعة، مع مخافة الله.

ولو يسكن في النواويس والمغاير الضيقة جميع أيام حياته .. ما يتضجر، لأن حيث لا توجد المخافة ولا أيضاً التوبة توجد، بل كل شيء سمج يكون هناك، وحيـث تكـون مخافة الله ليس هو مضطر ذاك الإنسان للوعظ واحتراس كثير.

بل كل صلاح في النفس وإشراق الفضيلة تظهر فيه إما من الإرادة وإما من الطبع، والذي من الإرادة هو من غصبية خوف الله وإفراز الفضيلة، وأما الذي من الطبع هو من الطبيعة خاصيته، وحيث لا يوجد هذين الأمرين أو أحدهما، أعني إما يكون الإنسان معان من طبيعته أو أن يكون فيه خوف الله يحرك إفرازات الإرادة، لم يكن خالي بشيء مـن الشرور، لأن كل صلاح يتحرك بالعقل في الطبع الناطق. أولاه من الله يتحرك القلب به، ومنه يتقوى على الثبات في الصلاح بالفكر الذي بحرارة ينتبه في القلب وبعد ذلك يعـين حركة الصلاح في الطبيعة.

اهتمام الإرادة ذو الحرية :

تحكم قبال أسباب الآلام وتهدي عنك الآلام من ذواتهم ..

أفكار النهار تكون لك مرآة الحركات في نومك. أكثر من مفاوضة نفسانية تصلح المزامير والصلوات في وقت النوم، وينفعون أكثر من التذكارات التي من الكتب في هذا الوقت، لأنهم يضطروا الأفكار للشخوص في الله متواتراً ويمسكون الـنفس بـتلاوتهم جميع الليل إلى أن ينتبه.

وإن كان من القراءة ينجمع الفكر بل ما يقتني عفة وحياء أو ينقى إلا من الصلاة.

القراءة تجعل الإنسان الداخلي جبلة جديدة، وبالـصلاة يـنفخ فيـه روح الحيـاة وحرارة إلهية تلهب العقل كل الوقت ليطير من الأرضيات وليحل في مسكن الحياة.

من القراءة ينجمع العقل، ومن الصلاة يتردا (يتوشح) بالحزن، ويقتني شـعاعاً سماوياً، لأن الحياء يلبس جميع حركاته إذا ما تكلم مع الله. من مداومة الصلاة ينمو فيـه ويتوفر هذا الغرض الذي هو الحياء والحشمة من الله، ومن دوام الشخوص ولقاء الله في الصلاة تخاف الآلام من الدنو إليه كيفما اتفق.

الهذيذ في الكتب الإلهية يكثر نمو النطقية في النفس إلى الله ويغير ويقلب غـرض الفكر حسب نوع القراءات.

ينبغي لك قراءة الكتب التي تكثر في الاحتراس والتحريض لتقويم الـسيرة والتـي فيها ثاؤرية الحلاوة بالله وأفكار الدهش به.

تغيير الكلام في معنى الفضيلة يجدد كل ساعة في النفس شهوة في الفضيلة.

ثمة قراءة تعلمك ماذا تصنع، وثمة قراءة تشعل النفس بذكر حلاوة الفضيلة وتوضع مذاقة تنعمها بالكلام الحلو في مذاقة الإنسان المعقولة.

كُن مداوماً الهذيذ في الكتب وسير القديسين، لأن من التذكار والنظر الـدائم فـي الكتب وطرق سيرة الآباء، تكثر فيك أفكار حارة وعدم ضجر وتجعل قدام عينيك أعمـال

خوف الله سهلة والضوائق والوحدة هينة، لأنه إذا أهمل الهذيذ بالصلاح تبطل الـشهوة إليه، لأنه بمقدار غذاء النفس إن كان صالحاً أو رديئاً، كذلك يتغير ويكون حسن مزاجها، إما للصحة أو للحرص يتقوى جداً الضمير بسماع الأقوال النافعة، وبنظر الفكر في أعمال القديسين وتغير طرقهم وقفر مساكنهم ومواضعهم الهادئة. وكما أن اختلاف تذكار المـدن يكدر النفس هكذا أيضاً وذكر مواضع القديسين يثير فيها حرارة ويمنحها فرح ويملؤهـا أفكاراً نافعة.

كما أنه من القدح الكثير يخرج شرار النار، هكذا أيضاً مـن الهذيـذ الـدائم فـي الإلهيات تكثر الحرارة.

قال بولس الرسول: **" لا تُطْفِئوا الرُّوحَ "** (١ تس ٥ : ١٩)، وبماذا تنطفـئ إلا بالاهتمام الزائد بالجسدانيات والإهمال من الهذيذ في أمور الله وبالسماعات الدائمة للكلام الفارغ من الروحانيات، إذ نترك مفاوضة سير الكاملين وكلامهم الصحيح الـذي يغـذي النفس ويحرضها على تدبير السيرة ويجالس أُناس محاولين متكلمين بأشياء بطالة فارغـة تطفئ الحرارة وليس فيها شيء ينفع النفس.

ضع هذه في ضميرك دائماً، وتدرك السبب كل وقت، أن تنظر الحرارة قد نقصت من قلبك.

إذا ما قرأت الكتب المقدسة تجمع ذهنك من الطياشة. ثم ارجع إلى الـصلاة لأن بها يطهر العقل بالأكثر لأنه ليس شيء ينقي الضمير مثل مداومة الصلاة، وليس شـيئاً يمنحه حياء وحشمة كمثل المفاوضة بالكلام مع الله.

ولو يكون الإنسان مرحاً جداً، إذا ما قام في الصلاة بحياء وحشمة فإنه ينظر الله.

إذا مل الضمير من كثرة الهذيذ في المزامير والصلوات، يعرض له هـذا بكثـرة ويتحيل أسباب لكي يطمح في الطياشة، فتصطاده بحيلة حكيمة كمثل الحمامة الوديعـة بلقط لذيذ، إذا ما نظرته قد ملَّ بهؤلاء وتريد أن تربطه بمفاوضة ما مخفي فيهـا نـوع

الصلاة وبالأكثر وقت النوم، **اشغله بألحان ذات معاني وقوانين حلـوة ولحـن محـزن ويحركون ندامة النفس.**

ومنهم يجد فيه الضمير كلام تشجيع وتعزية وفرح وإفهام في سياسة الله، وبهـذه الألحان يسكب الجسد دموعاً مشاركة للنفس، ويأخذك النوم وذهنك غاطس في مثل هـذه الأشياء ويكون نومك حلواً خالص من كل حركة جسد.

وفي الخدمة أيضاً إذا ما قام اضطراب الأفكار على الإنـسان بقـوة فيهـا كفايـة ليبطلوهم ويجمعون الفكر إلى داخل بلدته بغير تعب.

بحريتك اصنع هذه إذا ما تجربت من سجس الأفكار: اتـرك المزاميـر واشـتغل بالألحان، وليس أقول لك أن تفعل هذا كل وقت أن تترك المفاوضـة النافعـة وتـشرح ضميرك بالألحان، بل وقت الضرورة لا تخجل من أن تريح بأشياء حقيرة معونة نافعـة في وقت الحاجة.

اعلم يا ابني أن السكون والوحدة وكل تدبير حسب المدة والمفاوضة بهم يعطـون أثمارهم، السكون وعمل القلاية على قدر المداومة وحفظ العقل، وإن كنـت خاليـاً مـن المداومة ومساوتها بالعمل، لا تنظر أن يحصل لك عزاء حقيقي منهم.

كل تدبير بغير قيام ولا دوام مدة، تجده أيضاً بغير أثمار وكمثل أنك قد بديت بـه بداية فقط، **وأما العمل الدائم ولو أنه قليل لأجل دوامه كنوز عظيمة يربى.**

وأنا أدلك أيضاً في هذا المعنى على شيء يليق بالضعفاء ويتقدم فيه الإنسان بسهولة والحلاوة المتولدة منه بعد قليل فيها كفء أن تجذب الضمير إلى المداومة وهو هذا:

إذا مل الضعيف من القيام على قدميه ومن تكميل ميطانيات العادة ويتعطل كم من وقت أيضاً من الصلوات الدائمة التي بالجسد تكمل أولئك الذي منهن يتولدن الصلوات.

الصلوات القلبية دفعات كثير خُر على وجهك وأنت جالس والكتاب بيدك واثبت في التضرع لكي تمتزج مفاوضة القراءة مع الصلاة وتحلي لـك الـصلاة لأجـل القـراءة وتستضيء أيضاً في القراءة بمفتاح الصلاة.

هذا القانون يكون لك كل أيام حياتك في كل موضع، وفي كل مكان تنجمع فيه إلى ذاتك، وليس في حقارتي كفوء إن أنعت لك ما يتولد من هؤلاء بربوات أسطر.

عن الاحتراس :

نحن نصنع الأعمال والاحتراس مع أنفسنا لأجل الخوف، لأننا نعرف أن الراحات الجسدانية تبعدنا من الله، ومن الهم به تخيب ضمائرنا ونتهاون أيـضاً بالمفاوضـة مـع إخوتنا ليس لاستخفاف وازدرائهم ولا أنهم ليس أفضل منا لأن كل وقت نستعين بصلواتهم بل لأجل المداومة مع الناس نعدم التنعم مع سيدنا.

لأن الوحدة مع الله تتحدنا، الوحدة للعقل الإلهي تشركنا ولنقاوة الضمير في زمان قليل بغير تعويق توصلنا.

كل موضع تكون فيه صير متوحد متفرد بضميرك وغريباً وكخـاطئ لا تظـن أن يوازن كل التدبير والعمل فيه مع أن يكون الإنسان غير معروف ولا محسوب، والبعد من كل أمر وشيء، لأن البعد إنما يكون حدوثه ويتربى وينحفظ من أن يكون الإنسان غيـر معروف.

تاه عن كثيرين وما يفهمون إن نحن المتوحدين ليس لأجل عمل الفضائل نحـبس أنفسنا داخل الباب، بل وحتى من الفضائل نكون موتى. لأن الفضائل إنما تصنعها الأحياء الذي في وسط كثيرين ينعملون، فإن كنا نحن نطلب عمل الفضائل وإخوتنا الـذين فـي المجمع أيضاً لها يطلبون بعينها .. ما لنا بالهرب وقبر القلاية!

بل إنه نحن نترجى أن نقتني من السكون الشيء الذي إذا ما تعلقنا بجفون أعيننا ما نناله بين كثيرين ولا يستطاع اقتنائه.

بالحقيقة عمل مائة أخ في السجس والمفاوضة يصومون ويصلون، مـا يـوازن عمل متوحد واحد جالس في السكون ولو كان ضعيفاً، ما خلا أن يكون عادم من الخلطة ومفاوضة الناس **ومتجلد داخل الباب بغير انقطاع وليس من يدخل ويخرج عنده.**

لأن الذي هو في الحبس والسكون وما يقطع نفسه من كل تذكار واهتمام ويبتعد من كل مفاوضة ويداوم على السكون باستقامة ومحبة الأعمال، هذا لا لخطاياه القديمة يـذكر ولا لزلاته في كل يوم ينظر ولا لآلامه يعاين، ولا لمجاذبات الشياطين يفهم ولا للجهاد مع الآلام والشياطين يستعد، ولا لتقاوة القلب يصل ولا الـصلاة الروحانيـة يقتنـي. حتـى ولا الصلاة الطاهرة يستحق، ولا لنور مجد المسيح الإلهي يشرق باستعلان روح القـدس داخل نفسه.

هذه المواهب والعطايا جميعها خارج عن الحبس والسكون أبداً ما تعطي، والـذين يحبون السكون ويحتملون جميع ضوائقه ويصبرون ينالوها بلا نقص.

وإن كان فيهم من يخرج من هذا العالم وما ينال هـذه المواهـب لـئلا يتكبـرون ويخسرون، أو لأجل أمور مخفية عن معرفتنا، بل من العطايا الأولى ما يخيبـون وفـي العالم الجديد بهذه العطايا يتنعمون في ملكوت السماء.

ولهذا قلت أن السكون يكون مكرم عندنا أكثر من كل شيء كمثل ما قال العظـيم في العارفين يوحنا التبايسي النبي: " إنه ليس ينبغي أن نتدبر في السكون بصوم وسـهر بغير قياس، وبضيقة كثيرة بغير ترتيب، بل نعتني بعمل العقل وهو السكون الـدائم مـع تدبير العقل، فليس يبطئ كثيراً من أن يبلغ الإنسان ويوصله لميناء الحياة والفرح ".

فضيلتان تحبس جميع الفضائل ومنهن وبهن ينقام تدبير العقل جميعه، ومنهن يقتني الإنسان طهارة القلب وهم الذي يفتقر إليهما طقس سيرة السكون:

١ - الصلاة التي بغير طياشة ولا فتور.

٢ – هدم لمح أفكار الآلام ومجاذبات الشياطين في حال ما يظهروا ويحـس بهـم ويتحركوا في القلب.

هاتان الفضيلتان وهذين العملين بهن يقام وينجمع كل أعمال الذهن وكـل فـضائل النفس، وهن يولدن ويمنحن مواهب إلهية، وفيهن محبوس جميع مواهـب الـروح التـي

يسميها الأب إشعياء أنها تفوق جميع الفضائل لأجل ارتفاعها عن الفضائل، لأنهـا لـيس تنعمل بالجسد ولا تنفلح بالنفس، بل إنما يجود بها إنعاماً بقوة الروح القدس مـن قبـل أن يهتم بما يفوق الفضائل.

والموهبتان هما:

١ - حركة روحانية تحرك بلا فتور لحركات النفس بغلوة روح القدس بحب الله الكامل.

٢ - ونظرة مجد نور المسيح له المجد.

مكرم جداً ومحبوب تدبير السكون، وليس عند الآباء المتوحدين فقط، بل وعنـد معلمي البيعة الكبار. ويعرف هذا بما قاله القديس باسيليوس ويوحنا فم الذهب: إنه لـيس متوحدين وصديقين كاملين يسموا الإخوة الحبساء فقط، بل شهداء عظام. ولما أراد القديس غريغوريوس أن يعرف أخيه قال: إن من دون الصمت والسكون والحـبس لا يمكـن أن تكال.

وقد قال أيضاً: إذا شئت أن يكون سياج بستانك هو عنا الروح وموضع المـصاف الذي منه تضفر الأكاليل، هكذا أيضاً يمكنك أن تجمع أزهار الفضائل وتضفر منهم أكاليل البر، إذا سكنت في الهدوء وحوطت عليك سياج خارج قلايتك وداومت الأعمال المرضية لله. هذا هو معنى قوله إن شئت سياجك هو منافع الروح.

وآخر من الآباء قال: **إني ما وجدت غبطة في الفضائل كمثل أن يهدئ الإنسان ذاته من جميع الأعمال ويصمت عن كل مفاوضة وحديث، وكمالها هو مخفي عن معرفة الناطقين.**

وفيلسوفاً آخر قال: ليس فقط ينبغي للإنسان محب السكون أن يصمت ويهـدأ بـل وليصنع جهاداً مع أفكاره ويقمع آلامه، وهكذا سريعاً يبلغ إلى نقاوة القلب ويكون مـسكناً للحكمة.

احتراس الجسد وإفراز الأفكار يقنوا للفكر عفة نقية.

حفظ الحواس وترتيب الأعضاء حسناً، يولدون حياء واستحياء الأفكار وضـمير نقي من غير جهاد.

عدم الاحتراس والقرب من الناس والأمور ولد للشيوخ العمـالين أفكـار الـشبان وأقامهم في قتال الصبوة.

الطياشة وعدم الانقباض يعطوا للإنسان سقوطاً على الدوام، وإن لم ينهمـل فـي الشيء لعدم توافر سبب السقطة، يقنوه عقل مضطرب في كل وقت ويبعدون عنـه قلبـاً هادئاً ساكن.

ينبغي للمتوحد أن يكون له احتراس ليس الأفكار فقط، بـل وبالأفعـال بـالأكثر، ويحترس من الدنو لجسد إنسان بأمر من الأمور بالكلية، وأن لا ينظر سرير علماني لئلا نضيع هذا الزمان الذي عطي لنا لفلاحة الحياة ونوجد وقت موتنا نطلب زمان للتوبة.

الذي يحب السكون ينبغي له أن يهرب من كل محادثة، لأنه ليس شـيئاً يرخـي نشاط الضمير ويكثر البرودة في الفكر إلى الله كمثل المحادثات الباطلـة ودوام الكـلام الفارغ والسير الخرفة، هؤلاء بالكمال يبطلوا من النفس الشهوة بالله ومحبـة سـيرة الوحدة المقدسة.

اعتفِ من هؤلاء بكل قوتك، وامضي نم في البطالة، أو طوف باطل فـي الجبـل وأنت وحدك ولا تذكر سماع شيء من هؤلاء، ولا تعود ذاتك من القـرب والـدنو مـن المعتادين بهم، وعند ذلك تعرف **كم تنفع البطالة مع الوحدة أكثر من السماعات الباطلة، لأن الإنسان إذا انقبض من مفاوضة الناس رجع إلى ذاته وإلى تقويم تدبير سيرته حسناً قدام الله.**

متوحد هادئ متواضع معترف بعجزه مع التخلف من تكميل قوانين السيرة، أفضل من تكميلهم بحياة محلولة وطلق اللسان وتسيب الحواس.

اهرب يا أخي من جميع أهوية قلبك الذين يقيمون عليك القتال.

قال الأب إشعياء: معونة ربنا تقهر جميع أعداءك، أعني بهذا إنك إذا ما جلست في السكون فلعدم طياشتك في الأفعال، وانقباضك عن مفاوضة الناس، ودوامك مـع سـيدك

بعمل وصاياه .. تغير منك الشياطين ويجذبوك للتنازك في دغدغات الشهوة لكي يخيبوك من حب ربنا ومن العزاء الروحاني ومن الأجر المحفوظ لك لأجل سكونك وأعمالك.

اصنع هكذا مثلما أقول لك: كل وقت تحرك الشياطين في قلبك فكـر شـهواني أو غضب أو مجد فارغ أو شيء من الآلام، لا توافقه ولا تتنازل معهم، ولا تتركهم يدخلون إلى قلبك ويلذذوه، واذكر سريعاً تلك اللذة المعدة لك من سيدنا، وانهر تلك اللذة الألميـة، وغمض عيني فكرك من النظر في الفكر الشيطاني، واغصب نفسك كلمـا تجـذبك لـذة الخطية للهرب منها، وانتقل بشهوتك لحب الله واطلب أن يأتيك منه عـون ويعطيـك أن تغلب.

فإذا نظر الله إرادتك أنك حتى ولا بالفكر تريد أن تتلذذ بالخطية من أجـل التـنعم بمحبته .. يشير إلى الملاك الملازم لك، فيطرد الشياطين المقاتلين معك بمجاذباتهم كالغبار قدام الريح العاصف.

وبعد مدة من سنين معلومة كثير أم قليل، إذا ما اختبر إرادتك الـصالحة وحبـك الصادق لسيدك بالصبر في جهادك ومصافك قبال الأعداء، عند ذلك ليس فقط كل وقـت تقاتلك الشياطين يمدك بالمعونة لتغلب، بل إذا ما انقضى زمان مجاهدتك بالكلية يطرد منك الشياطين ويمحق انجذابهم من قلبك.

وعوض تلك الأفكار الكثيرة الرديئة المتحركة فيك وقت القتال، كثرة إفهام روحانية يملي نفسك حتى كل وقت بالأفكار الإلهية ويبتهج ضميرك بالاهتمام بعظمة الطبع الإلهي:

- الهذيذ بالثالوث المقدس.
- تذكار لا ينقطع على الدوام بالاشتياق لحب سيدنا المسيح ونور مجـده الإلهـي الساكن فيه في السماء.
- الهذيذ بالطغمات الممجدة الملائكية.
- ذكر الفردوس وأرواح الأبرار الذين كملوا.
- استعلان مجد المسيح.
- صعود القديسين إلى السماء وتنعمهم مع سيدنا .. وأشياء أُخرى مثل هؤلاء ..

الميمر السابع :

++++++++++++++++

في معنى القتـال
الـذي تصنعـه الشياطين بالأفكـار

++

أما الجهاد مع الأفكار الرديئة الذي يكون في السكون بهذا المعنى يكون:

متى الإنسان يسكن في الهدوء والحبس إلى الموت، كل واحد حسب عمله وبمقدار اجتهاده وحرصه يوم بعد يوم، وقت بعد وقت.

كلما يتقدم إلى قدام هكذا تتصعب عليه الحـروب وتـشتد قبالـه إلـى أن يبلـغ لنقاوة القلب، وقبل وصوله إليها بقليل تحدث عليه قتالات صعبة أكثر من العـادة وتـشتد عليه جداً.

فإن تجاد المتوحد وثبت في الحبس وما يرتخي من الجهاد يبدأ أن يجـد الراحـة قليلاً قليلاً، ويعان على الدوام من النعمة وكل وقت تدنو الشياطين إليـه ليقـاتلوا معـه بانجذباتهم النجسة في حال ما يدعو لسيدنا سريعاً يعان. وتطرد الشياطين من عنده بفعـل روح القدس اللاصق به بالغمر الإلهي.

وبعد زمان قليل ما يسمح للشياطين أن يعودوا يقاتلوه بانجـذابهم بـل بالمجـسة والنظر فقط من أجل نقاوة القلب وعدم التألم الذي قد اقتناه، لأن عـدم التـألم مـا يقبـل حروب.

قال الأب إشعياء:

لأنه أخذ إكليله وابتعد من الهم والحزن، وهذا هو عدم التألم الذي قالوا عنه الآباء، ما هو ذاك عدم التألم الذي يكون بعد القيامة بل إنما يعنوا بعدم التألم عن صـحة الـنفس وعافيتها من مرض وسقم الآلام الذي كانت فيه.

أولاً: في معنى الأفكار الردية التي تقاتل معنا بقلوبنا :

ليس يمكن الآلام أن تدخل الضمير الذي فيه الهم بالله، لأن به فقط يكون محـق الآلام واضمحلالها، بل من البطالة والنياحات يتولد طياشة الأفكار ومن الطياشـة تكـون سلطة الأفكار على القلب، وبالأكثر إذا اشتركت معهم الحرارة المتحركة من الجسم بـألم الدغدغات الصعبة والتنازك.

أما فضيلة العقل التامة هى مداومة تذكار الله، وأيما هى مداومة ذكـر اللـه فـي الصديقين هى طاعتهم له بحفظ وصاياه وإذا كان هذا الرأي والعزم للإنسان، كـان اللـه موجود في الضمير العمال بهمة.

وإذا ملك في النفس الهذيذ بالله والهم به، اعلم أنك قد قربت أن تستريح من الجهاد التعب والحرب مع الآلام لأن المفاوضة بالله هى كمال الضمير.

ثانياً: في حركات أفكار الزنا :

كل أفكار تجذبك إلى السكون اعلم أنهم يدعوك إلى العفة، وكل أفكار تجذبك إلـى المفاوضة اعلم أنهم يدعوك إلى النجاسة، كمثل الطير إلى اللقط (حب القمح) على الفخ. وهكذا هى أسباب الآلام.

المبتعد من العالم هو الذي يبغض المفاوضة مع الأفكار واهتمامات هذا العالم، لأن الذي يحب الأفكار معلوم أيضاً أنه يحب العمل بهم، لأن من يبغض شيء ما يتقابـل بـه بضميره، وليس هو مفتقر لشيئاً من الأنواع أن يغضب نفسه لكي يبتعد منـه، لأن مـن يبغض إنسان ما يحب أيضاً أن يلاقيه.

فإن كل شيء من الأمور ينغصنا ويتعب فكرنا ويقاتل معنا معلوم أننا ليس له نحب ولا لأسبابه، وإن كان ما نحب أسبابه فهو فكر ساذج ليس له قوة أن يقاتلنا.

في المجد الفارغ وأفكار الزنا :

إذا ما أراد الشيطان أن يدنس العقل النقي بأفكار الزنا:

أولاً: يمتحنه بالمجد الفارغ، لأن هذا الفكر ما يظن به أوله أنه ألم. وبهذا المعنى يخضع الضمير المتحفظ بأنه ما يقدر أن يلقي فيه من الأول فكراً ساذجاً عادي، بل إذا أخرجه من حصنه بمعنى خضوع ضميره لهذه الأفكار.

ثانياً: بعد ذلك يلاقيه بأفكار ومادة الزنا، ويعبر العقل على أمور كثيرة من السماجة والشغب، وأوله ينزعج بملاقاتهم من أجل عفته واستحياءه من الأشياء التي هو متنسك عنها ويصادفها، ولو أنه ما يتنجس ضميره بل أنه أسقطه من علوه، فإن رجع وأدرك الأفكار الأولى ويهدمها، وإلا بملاقاته هذه الأشياء دفعات، تعمي العادة إفراز النفس لأجل الدوام.

وإذا ما خرجت الآلام من بلادهم واظهروا أنفسهم في القتال عند ذلك الصور والأشكال ترتسم في الضمير، وهذا مثال مقتني قوة عظيمة على العقل، ويسجس الضمير ويكدره جداً.

❖ **فتكون حالته هكذا ..**

ثمة أفكار جيدة وإرادة صالحة، وثمة أفكار سمجة، وأما الأولين فهم أقل من الثانيين، والجزاء عنها قليل، أما أولئك - الأفكار السمجة - هى حركات تجوز في البحر وترتفع أمواجه، وأما هؤلاء - **الأفكار الجيدة - هى أصول وحسب ضبط الألم والأساس تكون المكافأة، إن كان جيداً ورديء وليس بحسب حركة الأفكار، لأن النفس ما تهدأ من حركة الأفكار المختلفة**، وإن كان ليس لهم أساس وأصل وعمق، ما أقربك كل يوم ألف دفعة أن تغير صالحك ورديئك.

إذا ما الأحلام الرديئة بطياشة الشهوات يظهروا لك في النوم، أعتن أن تنقي ضميرك بالدموع وامنع جسدك من كثرة الغذاء لكي ينمقت ويتضع.

قال القديس أوغريس: إن شيطان الزنا يهرب من قمع الجسد وتوضيعه بالصوم وبالأعمال الأخرى.

الإنسان الصائم بطبع الروحانيين يغصب نفسه أن يتشبه: من سكوته، ومن صيامه.

الإنسان المداوم في عمل الله ينفرز بخفاياه، لأن بهذه الأسرار أيضاً تكمـل مـن القوات الغير منظورة خدمة تقديس الأزلية سيدة العالم.

كما أن من عرق الصوم ينمو سنبل العفة، هكذا والـشبع يتولـد الفـسق ومـن الامتلاء النجاسة.

البطن الجائعة ما تقوى عليها أفكار السماجة.

اعترف بعجزك واستعن بالبساطة لتحيا قدام الله حسناً.

لا يمكن بعد شبع البطن ما يدنو إلينا تجارب الأفكار وحركة الأعضاء، يا للعجـب من الذين يشتهون الشبع من المواكيل كيف يمكنهم أن يحفظوا العفة ولا تتنجس نقاوتهـا، خلا أن يمنحوا حركات الإلهية للعقل.

لأن الشيطان إذا نظر المتوحد أعد نفسه للجهاد مقابله، عند ذلك وبكل سبب يتحايل أن يربط عقله بالعلمانيين، لأنه ما يعرف فخ أقوى من هذا أن يعد له، ومن هاهنـا كـل وقت يشاء بسهولة يخضعه بالسقوط في ثلاث آلام كبار هى: الحسد، الغضب، الزنى.

كل أمرٍ يكون الإنسان متفكراً به واهتمامه متحركة فيه بالضرورة ينفعل بقوة ذاك الشيء وإليه يميل وأشكال تشبهه تتصاعد كل ساعة في قلبه.

كما أن أفعال النهار وأنواع تصرفه، أحلام تناسب لها يتخيل الفكر في النوم.

إن كنت متفاوضاً بالله، فإنه يحرك ضميرك، وإن التفـت إلـى الـشهوة ارتـسم تصورها فيك.

إذا أخفيت في ثيابك روائح ذكية .. من غير أن تشاء يفوح رائحتها بمـشمك، وأن تحمل حوت نتن في ردائك، رائحة نتنه تفوح منك.

كما أنه إذا دخل إنسان إلى بيت الطيب، ولو لم يشتري منه يلصق الرائحـة فـي ثيابه، وخذ هذا الدليل في معنى الفكر وجنسه، إن كان في عقلك قوة للهذيذ في الروحانيات

لتحفظ بها ضميرك من السماجات، وإلا احضر على بالك انحلال هذا العالم وزمان أموره والحزن الذي يدرك في منتهاه وحل تركيب أعضائك.

وأنا أتضرع إليك أيها الأخ لا تمل من أعمال النسك ولا تتهاون عن السكون، **لأن سكون الجسد يولد سكون القلب، وضوائق السكون يعدوا لك نياحات إلهية، الـضوائق الحادثة عليك سر بهم جداً لأنهم ميناء العفة لجسدك ومقدسين لضميرك.**

كما أنه لا يستطيع أن يضبط الإنسان هذه النار المنظورة ويستعملها بالفعل من دون الأجسام التي هى أنواع الوقيد، هكذا أيضاً لا يستطيع من دون العمل المحسوس بالجـسد أن يؤهل الإنسان لنار النعمة الإلهية في قلبه، وليقتن حرارة وقيد الحب ومعرفة الله.

إن كنا نهتم بطهارة الضمير ونبطل الجسد من عمل فلاحة الفضيلة والاهتمام بها، شوك وقرطب ينبتوا في حقل ضميرنا عوض الزرع الجيد.

بالنار تنظف الأرض، وبحرارة الأعمال ينقـى القلـب ويقبـل الـزرع الطـاهر الروحاني.

الأعمال التي لأجل الله هم أواني القدس التي فيهم موضوع النياحة الإلهية، وبهـم نتقبل الإنعام الإلهية الروحانية والمواهب المقدسة والقوات السماوية.

الذي قد استحق أن يكون بهم الله الدائم هو الذي يؤهل للدهش الدائم بالله، والـذي يشقى ذاته من أجل الله ولأجل الخوف من الخطية، هو الذي يستحق أن ينظر في نفـسه أعاجيب الله.

المتضيق بإرادته على راحات يديه يحمله الله، وفي كل مكان ليس يدنى منه شر، ولكن على نوع التجارب، وهذا لأجل أن يعرفك الله بعنايته بك، كما كتـب: **" مُكْتَئِبِينَ في كلِّ شيءٍ، لكِنْ غَيْرَ مُتَضايقِينَ. مُتَحَيِّرِينَ لكِنْ غَيْرَ يَائِسِينَ "** (٢ كو ٤ : ٨).

ينبغي أن نعلم يا إخوتي أنه بضغط الضوائق نقدر أن ندخل إلـى ملكـوت اللـه. (أع ١٤ : ٢٢)، والنفس محتاجة إلى التضييق بإرادتها لكي تـستطيع أن تقهـر عوائـد

الانحلال ولنؤهل للنعمة حسب قول القديس باسيليوس معلم الحق: " من هو الذي نال روح الله بالاتساع والتنفخ من كثرة المواكيل ".

ليست تطلب طريق الله أشياء غير مستطاعة، بل هو مستطاع أن يكون، وما يمكن الوقت نعملهم. لأن الذين هربوا من الضوائق وتهاونوا من الأتعاب سقطوا بيـد شـيطان الزنا بالكمال.

ولهم أشار أوغريس في قوله: عذب أفكارك بقلة الأكل ليكون هدسهن في الجـوع لا في الزنا.

والأب بيمن قال: " إن الجوع والسهر ما تركوني أن التفت إلى السماجات ". أظهر بقوله هذا أن بعمل الجوع وعدم راحة النوم تصمت الأفكار من الـنفس، لأن مـن شـدة الضيقة ما يتفرغ أن ينظر في شيئاً آخر.

العفة في وسط النياحات ما تثبت بغير فساد. كما أن الجوهرة إن كانت في وسـط النار ما ينحفظ شعاعاها بغير فساد.

أساس دلائل وعلامة الوحدة هى عفة الجسد بالطهارة، وصيانة الحواس بحيـاء العفة، ومن هاهنا يتولد حفظ القلب كمثل التاج الذي هو كمال الوحدة.

السكون هو ميناء العفة الذي بالصلاة نتكلم به مع الله، كمثل لباس القدس بنقاوة الحركات من أجل دالة الأفكار النظيفة من كل وسخ، وكمثل حلة العرس نتزين كل وقت أن ندخل قدامه بعفة ونقدسه، النفس والجسد جميعاً.

نوعين من الطهارة نعرف أن البيعة المقدسة تسلمتهم من تعليم تدبير السيرة الجديدة بالمسيح، النوع الواحد طهارة الطبع، والنوع الآخر الطهارة التي فوق الطبيعة، بتقـديس الجسد، بما ينظر العقل إلى الجسد بترتيب ناموس الطبع لأن العفة مفروشة كالرداء على وجهه لئلا تنظر الأفكار إلى تذكارات الجسد.

بأربعة أشياء تُحفظ الطهارة بعفة عندما يشاء أن يحفظها في نفسه ويكـون فـوق القتال، حتى والشيوخ وكل رتب المتوحدين لا يمكنهم أن ينقوا الفكـر مـن دون هـؤلاء

وهى: الاحتراس بالأعضاء من الدالة والانحلال مع ذاته، هذا النوع يمنع عـن المتوحـد قتال عظيم، ونظر حيي متعفف حتى في زمان الشيخوخة فإن أي تهاون يرمي الإنـسان المتوحد في خطر عظيم على الدوام وتجعله متوسخ.

وهذه هى التي تحفظ المتوحد من قتالات صعبة، أعني حفظ النظر والمجسة، وأن لا يجسر أن يتطلع في وجه امرأة، ولو أنهن عجائز رديات، وليحفظ مسمعه من كل سيرة تقال عنهن.

هذا النوع أكثر من النظر يثير على النفس راموزا، أعني سماع الأخبـار عـنهن، حتى والأطهار يتسجسوا بهذه التذكارات.

وينبغي أن نحترس بالعقل أن لا يصعد فيه فكر شيء من هذا حتى ولا على عفـة وطهارة امرأة في تصرفها وأشكالها تميل بسمعك إن كنت تريد أن تكون عفيفاً.

لأن طبيعة النفس تشبه النار، وكما أن النار تحتاج إلى مواد الهيولي لكي تقيد بهـا ويثبت عندنا زيادة وقيدها دائماً، هكذا والنفس في كل وقت مفتقرة لكي نحرك فيها مـواد التذكارات الجيدة لكي تسخن حركاتها وتسير بخفة في الروحانيـات، وإن نقـصت هـذه التذكارات قليل قليل تنطفئ حركاتها من الحرارة في الإلهيات.

خمسة أسباب أعني فضائل من دونهن كل رتب الناس لا يمكنهم أن يكونوا بلا لوم، إن كانوا رهباناً أو علمانيين، وإذا ما حفظهم الإنسان تخلص من كل مضرة وكان محبوباً من الله والناس وهى: جسد عفيف، ولسان محترس، وزهد عن الرغبة والشره، وكتمـان السر في سائر الأشياء بغرض مستقيم إلهي. وليكرم كل مقادير ومنازل الناس فـوق مـا يستحق ذلك الوجه.

لأن الذي يكرم الناس يكرم هو أيضاً منهم ويأخذ المجازاة من الله، لأن الكرامـة توجب كرامة، والازدراء يجلب ازدراء، والذي يكرم الله يكرم هو أيضاً منه.

أربعة آلام رديئة سمجة يسقط من هو مستعبد لهم وهى: جسد شـغب، والرغبـة بأشياء جسدانية، ولسان قاس، ونقل الكلام من واحد إلى آخر بنوع المثلبة، هـذا العمـل ينبغض من كل أحد، لأن الله يبغضه وفي كل خطية سمجة يقع.

والذي يتخلى الله عنه لأجل تعظمه يسقط في واحد من ثلاثة أنواع: إما في فـسق سمج، وإما في ضلالة شيطانية، أو في أذية عقلية.

الذي هو عفيف على الحقيقة، ولا نظر عينيه يتركه مكشوفاً بلا غطاء، وينبغـي أن يستحي حتى ومن ذاته.

كما أنه ليس ينحفظ الكرم من المفسدين من دون السياج هكـذا والعفـة مـن دون الحياء ما تحفظ الفكر والقلب بغير لوم، لأنه إن كانت الأعضاء بلا حيـاء، كـان الفكـر والقلب أيضاً بغير حياء.

قلب بلا حياء فيه يترك حواسه بلا حفظ وفي كل وقت يتنجس من الحواس.

خاف الله أيها الأخ ولا تترك عنك مخافته، وبغير تدبير نظام عقلي تترك بيتـك، أعني جسدك الذي هو هيكل الله.

خاف من الزلل أيها العفيف وأقتن لجسدك حيـاء واسـتحياء وقـبض لأحواسـك وبالأكثر في موضع ينبغي فيه الخوف.

كُن مداوماً هذيذ الكتب وسير الآباء، لأن من تذكار ونظر دائم في الكتب والطرق التي بها سلكوا الآباء تكثر فيك أفكار حارة وعدم تضجر، ويجعلونها في عيوننـا خفيفـة وسهلة جميع أعمال مخافة الله.

العفة هى ميناء القداسة، القداسة هى قلب نقي من كل رذيلة، وبحق هذا هو قديس الله الفاضل الذي ليس يتبكت من نيته على أنه لا يوافق الشرور بخفاياه.

الفضيلة ليس هى عمل تعب أو فعل عسر، بل قلباً بغير لوم يرضي الله، ولأجـل هذا ما يعرف ويفرز للعين الجسدانية، بل لتلك العين الخفية الفاحصة مخازن القلب.

الذي يريد أن يحفظ قدوسيته بنقاوة وما يهتم بواجباتها، يسقط عنها ويخيـب، لأن الذي نظره وسمعه بلذة ينخدع ويميل لنظر وكلام يوسخ العفة، هذا أيضاً وفي قلبه يحبهم، أعني السماجات.

طوبى لمن تأدب بالأحزان اللائقة لطريق القديسين ولا بالمحن العالمية والأضرار البشرية.

الجسد المتفرد يولد ضمير مفترد، وحسب ما يختلط الجسد كذلك يختلط العقل.

هذا هو المتوحد الذي جعل مسكنه خارج عن مناظر العالم ومسألة واحدة له فـي صلاته بشهوة العالم الجديد.

البتولية هى ليس فقط من الفساد والنجس يحفظ الإنسان جسده، بل ومن ذاته يستحي إذا كان وحده.

إن تهاون المتوحد من غير ضرورة أو فعل أو سبباً مـا بخدمـة الـسبع أوقـات الموضوعة قانون لازم لخلاص المجاهدين ضد الشياطين، ويقول لك أنه يـتخلص مـن الخضوع لروح الزنا، ولو أنه شيخ وله مدة كبيرة في هذه السيرة، فاعلم أنه يتـوه بـك (يخدعك) ويتحايل أن يخفي ويستر خجله ويبعد الإحساس عن النفس لأجل أن لا يترك عنه النياحات وينخضع للقانون.

آلام الجسد هم: الغضب والشهوة ومحبة المفاوضة والحديث الباطل ومـا يـشبه هؤلاء، يهدأوا ويصمتوا بالصوم وخدمة الأوقات والجلوس المتفرد فـي القلايـة بغيـر طياشة.

وآلام النفس هم: الطياشة وعدم المعرفة الذين هم الحسد والمجد الفارغ والعظمـة وما تبقى، يبطلوا بالصلاة والقراءة والمعرفة المتولدة من هؤلاء، والذي من دون هـؤلاء يروم أن يسكت آلام الجسد أو ينقى العقل إنما يشقي نفسه.

إذا ما كان وقت القتال والظلام، ولو كنا بالطياشة، نثبت فـي الـصلاة وضـرب الميطانيات على الأرض، وإذا لم يكن تواتر قتال بل هو ظلام محزن أو طياشـة العـادة وأفكار الهمج، نفضل فعل القراءة أكثر من الصلاة، ولكن تمزجهم مع بعضهم الـبعض، ونأخذ من الكتاب دواء ونقدمه للصلاة.

ولا ينبغي أن تبطل الصلاة بشيء من الأسباب مع قوانينها .. طوبى لمـن يثبـت على باب الصلاة دائماً لأنه لا يخزى.

مكروم عند الله الضوائق التي لأجل البر أزيد من النذور والقرابين، ورائحة عرق تعبهم أكثر من كل بخور وعقاقير ذو الرائحة الذكية.

الميمر الثامن :

++++++++++++++++

كـلام منفعـة

++++++++++++++++++++

كل فضيلة ما يتضيق فيها الجسد تكون عندك كالسقط بغير نفس.

قرابين الصديقين دموع أعينهم وتنهدهم في السهرانات يصرخون الـصديقين مـن ثقل هذا الجسد ويستريحون ويرسلون صلواتهم بحزن إلى الله، وتأتي القـوات المقدسـة إلى ضجيج صرخهم، لأن الملائكة القديسين هم يشاركوا القديسين في تجـاربهم لقـربهم إليهم.

الأعمال والتواضع يجعلون الإنسان إله على الأرض طوبى للإنسان الذي يعـرف ضعفه، لأن هذه المعرفة تكون له أساس ومبدأ لكل صلاح وفضيلة.

محب الأعمال ليس هو الذي ما يحب راحة الجسد، بل الذي ما يحب مفاوضـات الجسد ومحادثاته، ليس كل من أعماله قليلة هو محب الراحة، ولا كل من أتعابه كثيرة هو محب الأعمال.

ثمة من أعماله قليلة ونفسه مملوءة حزن، والأعمال التي عدمهم بالجـسد لأجـل انحطاطه وضعفه يوفيهم بعمل القلب، وبالانقباض مع نفسه ويلجم أفكاره لئلا تتواثب على نفسه آلام الجسد.

ثمة من يعمل كثير حسب القوة التي في جسده وفي وقت وقـت يـضيع أعمالـه بانحلال الراحة وبالطياشة وبسببها ليس ينتج فيه شيئاً من المنفعة من أجل أعمالـه وفـي وقت وقت ينشوا فيه الافتخار.

تكون تعلم أن قوانين محددة على أعمال الجسد ما وضعوا الآباء العارفين بالسوية، لكل منازل ورتب الإخوة السكان في الهدوء، بل أذنوا أن كل أحد يتدبر حـسب مقـداره وحسب مزاج جسده وسكن موضعه وحسب سنه.

أعمال الجسد من دون حفظ حسن العقل، هم بطن مقفر وثدي ناشفة ولم يوصلوا الإنسان إلى مخافة الله، ولو أن يكون الجسد عمال، وكما أن أنواع الدهنية يكثروا وقيد النار، هكذا وطراوة المواكيل تنمي ألم الشهوة للزواج.

معرفة الله ما تسكن في جسد محب الراحات، إنسان يحب جسده ما يؤهل لمواهب الله (للمواهب الإلهية).

كما يشفق الأب على ابنه يشفق المسيح على الجسد العمال وفي كل وقت هو قريب من فمه.

من نصيب الشيطان ومرذولة عند الله هى الفضيلة التي تكمل بالراحات.

ليس فكر فاضل ما يكون حدوثه موهبة من فوق، هكذا أيضاً والأفكار القوية الضارة التي تضادد عمل الوصايا، إنما تكون بنوع التجربة من العدو.

فلاح الحقل الناطق هو الله، وزرعه هم الأفكار الحارة المتحركة بضميرنا في كل وقت، وزوان الرجل العدو هم الأفكار الرديئة الذين يبذرهم في وسط الحنطة، زريعة صاحب الحقل الجيدة، أما أنت أقلع الزوان واحفظ الحنطة وربيها لتكون غذاء حلواً للنفس.

إن لم تقتني مادة لتنفع بها المحتاجين وتعاضد المضنوكين كن مشارك طوبى للرحماء بشفقة قلبكم عليهم، وإن اضطرك أمر لذلك لا تضيع بعدم شفقتك دالة قلبك قدام الله. وفي وقت الصلاة إذا ما وقفت قدام الله الرحوم تخيب من الدالة لديه التي هى تنعم القديسين في وقت الصلاة قدام الله. وإذا كنت هكذا وما تنخسك نيتك اعلم أنك تتدبر بلا إفراز.

كلما يُهان العالم عندك، محبة القريب تتزايد فيك، ويقفوا لهذه (يتبعها) نعمة الروح القدس، وترفع أفكارك لمحبة الله، كمثل ترتيب السيرة، وحسب ما يتزايد فيك التمسك بالعالم هكذا تنقص عندك محبة القريب.

كل تدبير ما يوافق الوقت عليه ولا السبب لا يطلب من الذي لا يعمله .. إن ثمة تدبير يوافق الوقت لعمله ويتهاون به الإنسان في ناحية المذنبين يكون.

الرحوم الحقيقي هذا هو الذي باستعماله الرحمة ما يفـرز المـستحق مـن غيـر المستحق ولا شيء من الرتب.

البر هو إفراز النية قدام الله بعمل الجسد.

الفضيلة هى حكمة القلب وحيث تكون هى موجودة الله يسكن هناك وهى مفتـاح ملكوت السماء.

القلب الغير حكيم العادم الإفراز، ولا من الأعمال الجيدة ينتفع، وبجهـل ضـميره يفسد الأعمال.

القلب الحكيم من غير عمل يتكال لأجل المشيئة التامة التي يظهرهـا قـدام اللـه العارف بالكل.

ندم النية هى التوبة، والاتضاع هو أن يلوم الإنسان نفسه، وهـذه هـى ندامـة النية، ومن له مثل هذه النية يكون محبوباً من كل أحد لأن الله قد أحبه، وإذ لم يجد اللـه هذه في شعب إسرائيل لامهم على يد إرميـا النبـي قـائلاً: **" صَغَّيتُ وسَمِعتُ. بغَير المُستقِيم يَتَكلَّمونَ. ليسَ أحدٌ يَتوبُ عن شَرِّهِ قائلاً: ماذا عَمِلْتُ؟ كلٌّ واحِدٍ رَجَعَ إلى مَسْرَاهُ كَفرَسٍ ثَائِرٍ في الحربِ ".** (إر ٨ : ٦)

الغريب هو الذي تغرب بفكره من جميع أهواء هذا العالم. النواح هو الذي بالجوع والعطش يخرج كل أيام حياته بهذه الحياة من أجل انتظار الرجاء السماوي.

مُحب المديح ليس هو الذي إذا مُدِح يستريح بالمدح ويفرح، بل الـذي يتحايـل أسباب المديح.

المتواضع العقل هو الذي ولو مُدح، بالواجب ما يستريح قلبه بها، المتواضع هـو الذي ما يقاوم في شيء، لأن الذي هو متواضع ليس هو مقاوم.

الذي يشتعل بالغضب لأجل تقويم آخرين هـذا لـيس متواضـعاً، لأن التواضـع الحقيقي هو مبتعد من كل غضب ونقي من سائر حركات الغيرة ويسأل بمحبة وما يتـألم ولا يتكدر، لأن الذي هو متواضع من كل بد يقفوا به قوة الاحتمال والصبر، لأن من دون قوة الصبر على الأحزان والضوائق ما يعرف قوة التواضع إذا كان غير صبور.

المضبوط بأمور هذا العالم، والمرتبط بشيء من الأمور الزائلة ما يستطيع أن يكون متواضع قدام الناس ولا غير متسجس في كل وقت ولا نقي القلب.

المتواضع هو المائت بالحقيقة الذي قلبه ليس مرتبط بشيء من أمور العالم لأنه ما يتسجس من محبة شيء من الأمور.

إن أردت أن تكون متواضعاً حل ذاتك من أمور العالم واتبـع الواحـد بالإيمـان والرجاء والحب، وعند ذلك تجد عوض الواحد الذي تركت سلطان العالمين الاثنين.

في الوقت الذي تكون فيه بطال من العمل بسبب ضعف الجسد ومرضه، اسـتعمل اتضاع العشار الخاطئ.

الذي من دون عمل الجسد يتفاضل به الإنسان عند الله ويتبرر تكون نفسك محقورة بعينيك وازدر بها في كل وقت، وتتضع قدامك جوقات الشياطين.

اتعب ذاتك في الركوع قدام الله وتنحل من قدامك كل حيل الشياطين وينفتح داخلك ينبوع المعونة والمعرفة.

ما دُمت في هذه الحياة أحقر نفسك على الدوام **بذكر خطاياك واعترف بهم قدام الله على يد أبيك الروحي وأنت منسحق على الأرض ويتولد لك من هذه دالة القلب قدام الله لأنه ليس يبقى بلا عزاء قلباً منسحقاً خائفاً من الرب.**

لأن: **" الذبيحة للّه روح منسحق، القلب المتخشع والمتواضع ما يرذلهُ اللّه "** (مز ٥٠ : ١٧) والذي هو غريب من هذه هو غريب من مراحم الله ومعونته.

إذا ما انسحق قلبنا دنت منا الرحمة والنعمة.

وإذا ما وثق قلبك على عملك افهم أن مجيء التجارب قريـب منـك والعـوارض المؤذية والمحزنة للجسد بسماح من الرب يكون حدوثهم على الإنـسان لأجـل تـسبيب التواضع والخوف، ولا تظن أن من دون سماح من الرب يصادفوك التجارب التي تحزن وتؤذي وتوجع وتسحق، إن كان من طبيعة الجسد بالأوجاع والأمراض أو مضادة الأشياء التي تؤذي إن كان من الوحوش أو من لدغات دبيب أو من عثرات في الأحجار، إن كان

بتوسط الناس أو الشياطين بسماح من الرب نقع فيهم وبسياسة منه يتحركون علينا لأجـل مقتنا وتوضيعنا.

ليس عزاء خارج عن الرب لخواصه ولا ضغطات وأحزان وشقوات مـا يكـون حدوثهم منه من كل بد ونوع، ولا يبطلون بتحايلنا وتدابيرنا، لأنهم أخذوا قوة بسماح منه علينا، وإذا قسينا قلوبنا مقابل العوارض، هى علامة ودليل أن ضيقتنا تتصعب جداً ويسمح الله بذلك، وإذا استعدينا قبال التجارب بقلب منسحق واتضاع هى علامة ودليل أن الرحمة ممتزجة بالتجارب. وطوبى لمن يخاف دائماً كقول الكتاب والذي يقسي قلبـه يقـع فـي الشرور، لأن القلب القاسي تكثر أوجاعه.

وأيضاً ينبغي أن تعلم **أن الأحزان هم يجمعون العقل إلى الله.**

كل شيء نفعله بغيرة وخوف من الخطيئة هو فضيلة تامة وشهادة من أجل الله، لأن العقل يهذ بالموت لأجل وصايا الرب وحفظهم من الخوف من الخطيئة. لأن الخطيئة هى أن يوجد فينا شيئاً من الأمور التي قد حدد علينا الله أن لا نفعلهم ونوجد بها مُدانين. لأن الاحتراس من هؤلاء بحكمة في أي نوع كان يكمل فينا الحب لله والقريب، ويحـسب لنا فعل الشهادة حسب قول واحد من القديسين: إن كل شيء ينفعل بآلام بشرية هو خطية، وكل اضطرار وضيقة من أجل الله هو اعتراف، وباقتصار الفضيلة هى الهذيذ بـالموت من أجل الله.

وهذه هى الفضيلة أن الإنسان يصبر للضوائق لأجل مخافة الله، وإذا مـا أدبنـا الرب في شيء من الأشياء نتخذها بنوع التوبيخ والتقويم ونتجر فيها ونربح، ونشكر الذي في كل أمر يطلب ربحنا ويشاء بخلاصنا ولا نفتح فمنا بوقاحة وقساوة ونلوم سياسة اللـه وتدبيره كمثل أنه بظلم يجلب علينا التأدب.

كلما كانت مخافة الله لاصقة لقلبك اعلم أن عناية الله تابعة لك في سائر الأمـور وأحوالك، وافهم أن عنايته بك في الأشياء الجسدانية بأنك تجد معونة منـه فـي الأمـور الظاهرة التي تكون في احتياجاتك الضرورية.

وأوقات كثيرة تجد فسحة وتسهل في الأمور العسرة المتصعبة ويمزج عزوات في التجارب العارضة لنا في طرق مخافة الله. لكي إذا تضيقت من ناحية بالتجارب يدبر لك عزاء في ناحية أُخرى ومعونة إن كان في مرض أو في عائق أو في اعتبار بشيء مـن كل أمراً يعرض، يعزي ويسلي بالمعونة.

في خمسة أبواب يدخل الإنسان إلى حكمة الروح، وإلى كل معرفة إلهية.

الأول: الهذيذ في الكتب.

الثاني: الاهتمام بعمل الفضيلة والاهتمام بها.

الثالث: التجربة بالحروب ومقاسات التجارب التي لأجل الفضيلة.

الرابع: أخذ تجربة عناية الله التي تعين وسط التجارب والعوارض الصعبة.

هذه الأربعة أبواب بمادة من خارج يقدمون الإنسان إلى معرفة الله.

أما الباب الخامس: من دون مواد برانية يوصل إلى معرفة أفـضل التـي هـى: الموهبة التي تعطى إلينا من نعمة روح القدس داخل القلب وهى: النبـوة، وقـوة سـبق المعرفة، ووجود الأسرار والاستعلانات الغير محسوسة بالعقل واستضاءة الفهم.

١ - فمن يقرع على باب الكتب بإفراز، باب الفضيلة ينفتح قدامه.

٢ - ومن يدخل في باب الفضيلة، باب التجارب ينفتح عليه.

٣ – ومن يدخل في باب التجارب التي لأجل الفضيلة، عناية اللـه يأخـذ ويكـون ملتصقاً بالملائكة.

٤ - ومن يدخل في هذا الباب بتوسط العزوات والمجاذبات التي تصادفه، فإنه يؤهل لعناية روح القدس.

إن التجارب الحادثة لنا وتعترضنا من غير إرادتنا بنوع السياسة الإلهية، محبـة الأعمال يعلمونا، ومن غير إرادتنا يجذبونا إلى التوبة، ولأجل هذا ما يخاف من شـيء القلب المؤمن ويحفظ كل الأشياء، ويصدق أن الله بسياسة منه قد أحسن إليـه، لأن اللـه ينظر في تواضع قلبنا وما يتركنا نقع في شيء رديء أو أن نضل عنه ونهلك.

الأعمال التي لأجل الله يقفوا بها معونة وباقتصار بالضوائق توجد كل الخيرات.

بالضوائق يقتنوا الخطاة درجات القديسين وهو رسم التوبة، لأنه إذا ما ثبتت النعمة الإنسان بالاتكال على الله والثقة به، عند ذلك تبدأ النعمة تدخله في التجارب قليلاً قليلاً وتسمح أن ينطلقوا عليه التجارب التي هو كفؤاً أن ينازلها ويقدر على حمل صعوبتها، وفي وسط التجربة تدنوا منه معونتها المحسوسة لكي يثق ويتشجع ويتخرج قليلاً قليلاً ويقتني حكمة وفهم ويجسر على أعداءه بثقته بالله، لأنه ما يستطيع أن يتحكم من دون هؤلاء في القتال الروحاني، ويعرف مدبره ويحس بالله وتثبت أمانته فيه خفياً بالقوة التي قبلها في نفسه بالتجربة.

وإذا نظرته النعمة قد بدأ يتحرك فيه فكر عظمة ما، أو ظنون بنفسه، تسمح أن تشتد عليه التجارب، ويتصعبوا لكي يعرفوه ضعفه ويهرب ويلتجئ بالله باتضاع.

من العجيب أن تعرف معونة الله مع الإنسان إذا وقع في وسط أمور خطرة مملوءة من قطع اليأس ويظهر الله قوته هناك ويخلصه منهم.

لم يعرف أبداً الإنسان قوة الله بالراحات والاتساع ولا منذ قط يظهر فعله محسوس، بل في موضع هادئ وبراري ومواضع خالية من الاضطراب ومفاوضات ومساكن الناس.

لا تتعجبن من هذا .. أنه إذا بدأت بالفضيلة تنبع عليك ضوائق صعبة من كل ناحية، لأنه ليس تحسب فضيلة التي ما يقفوا بها تعب ومصاعب لعملها، لأن من هذا سميت فضيلة ومن عادة هذا النشاط أن تحيط به المصاعب.

مرذولة هى الفضيلة التي تكمل بالراحات، كل فضيلة تسمى صلب لأنها بوصية الروح تكمل، لأن جميع الذين يريدوا أن يحيوا بمخافة الله بيسوع المسيح يتضايقوا ويطردوا (٢تي ٣ : ١٢)، **" إنْ أرادَ أحدٌ أنْ يأتِي وَرائي فلْيُنكِر نفسهُ ويَحْمِل صَلِيبَهُ ويَتبَعْنِي "**

(مت ١٦ : ٢٤)، ومن يريد أن يحي نفسه بالراحة فيهلكها، ومن يهلك نفسه مـن أجلـي يجدها (مت ١٦ : ٢٥). ولهذا سبق وضع قدامك الصليب والموت لتضع في نفـسك أن تحمل صليبه وتسير في تبعه.

وليس شيئاً أقوى من قطع الرجاء، هذا ما يعرف أن يغاب من شيء إن كان فـي أمور يمينية أو شمالية. لأن إذا قطع الإنسان الرجاء من حياته ليس لبيب مثله ولا عـدو يقدر يلاقيه.

طوبى لمن يتهاون بهذا العالم وبنياحاته ويتبع الرب ويقفوا بـه، لأن فـي عالمـه الجديد يفرحه معه في العرس.

اطلب هؤلاء أيها التلميذ الذي يريد أن يجد نفسه في ما لله، أجهد جسدك بأعمـال مخافة الله، واحزن نفسك بالتنهد والألم على شرورها لكي تجـدها فـي الراحـة التـي لا تفسد.

صلِّ بهذه في وحدتك قائلاً يا الله أهلني لحزن النوح في قلبي، يـارب استأصـل مفاوضات العالم من قلبي.

كل وقت تريد من أجل الله أن تترك بلادك، ذلك بدء الفضيلة .. أتـرك الموضـع الذي تتنيح فيه بالجسد، وترفض أسباب الراحة من أجل الخوف في أمـور الـنفس لـئلا تخسر في الروحانيات، ويسجسك الفكر ويخوفك من أجل ترك الموضع، أذكر هذا وصدق أن موضع أفضل وأوفق من ذلك يوفق لك الله، والله يكون لك مرشداً إلى حيث تمضي، لأن بنوع الفضيلة قبلت على نفسك أن تقطع الهوى الجـسداني الـذي **يـشأ (فـرح) بالراحات**، وتهتم بفوائد الروح وتتضيق في فكرك من أجل العادة وتغصب ذاتـك وتتبـع سيدنا، هو يصوب لك موضع يعزى أكثر من الأولاني لكي بقوة منه تحمـل المـصاعب بفرح، لكي ينبغي أن يكون لك إيمان تام بالله.

هذه ضرورية للإنسان لكي يقتني بها شجاعة الأفكار التي تتـرك بلـد وموضـع

الراحات بقصد وغرض الفضيلة ويؤمن أن الله يكون له مدبر ومرشد ومعين، لأن لـيس كل أحد يرفض الراحات لأجل الفضيلة ولا يثق بسياسة الرب وتدبيره المخفـي والغيـر منظور.

إذا ما بدأ الإنسان بالأعمال الصعبة من أجل الرب وبالفعـل يُـدخل ذاتـه تحـت الصعوبات، إن لم يكن هكذا لا ينظر هذه السياسة الخفية المدبرة جميع الخليقة وبخاصـة القديسين.

إن لم يتشجع الإنسان بفكره ويدخل إلى الجهاد ما يستطيع أن ينظر معونـة اللـه التابعة بطريق الفضيلة لأن الذي يشتاق للروحانيات بالـضرورة يتهـاون بالجـسدانيات ويرفضهم بفرح.

لأن الإهمال والكسل يخيب الإنسان من معونة الله، ومن أنه بالتجربة يثبت بالأمانة في الإلهيات، لأن الذي ما يؤمن يكون متعبد للجسد دائماً.

الخوف من أجل الجسد وحرارة من أجل الله في نفس واحدة ما يثبتـون، كمـا أن عدم الأمانة والأمانة معاً ما يكونوا في إنسان واحد.

الاهتمام الزائد وشك القلب وتقسمه يقفوا لقلة الإيمـان، لأن الإيمـان يعـرف أن الأشياء الغير مستطاعة عند البشر هى مستطاعة عند الله، لأنه لا يعسر على الله شيء. كل شيء مستطاع للإيمان، لأن المؤمن إنما يكون نظره إلى الله وليس في الأمور.

النفس الحاملة غيرة الفضيلة وأعمال مخافة الله لا يمكن أن تكون بلا أحزان كـل يوم، لأن الفضيلة والأحزان هم مشتبكين ببعضهم بعضاً.

الذي يهرب من الضوائق يخيب من الفضيلة أيضاً، والذي يثبت في الفضيلة يقاسي أيضاً الأحزان.

إن اشتقت للفضيلة أسلمت نفسك لكل ضيقة.

الفضائل هم مولدين الضوائق، الضوائق مولدين التواضع.

ليس يشاء الله أن تكون النفس بلا اهتمام، والذي يريد هذه خارج عن إرادته قد أوجد في عقله اهتمام ليس بالجسدانيات بل بالضوائق التي تقفوا الفضيلة، إلى أن يبلغ إلى معرفة الحقائق التي هى استعلان الخفايا.

بواسطة التجارب ندنو من الاتضاع، والذي هو بلا أحزان في الفضيلة باب العظمة يُفتح له. لأنه لا يمكن من غير أسباب المقت أن يكون الضمير في التواضع، ولا يرفض الله الإنسان بالكلية بسبب شيء من الخطايا ويكرهه إلا إذا وجد عقله متفاوض بأفكار العظمة والافتراء والتجديف ولهذا تكون الأولى سبب الثانية.

الذين يخرجون من طريق التواضع في ضميرهم ويتعرون من المعونة الإلهية .. يسقطون إما في: سماجة الفسق، وأما في التجديف على الله والأمور الإلهية، وإما يتأذون في عقولهم. أما الذين يتعظمون بتدبير الفضائل – أي الذين يدخلهم الكبرياء لكثرة أعمال النسك – أكثرهم بالفسق السمج يسقطون، والذين بتدبير فضيلة العقل يتعظمون بالتجديف على الأمور الإلهية، أو في ضلالة العقل يقعون.

العظمة ليس هى إذا عبر فكرها في الضمير، بل التي تثبت فيه، أما الأولى ظاهر أن الندامة تتبعها، أما هذه إذا أحبها الضمير لا يعرف الندم. أما تلك دلايلها هو من ضعف الطبيعة البشرية، أما هذه تكون من وقاحة الإرادة. وأحياناً أيضاً من مديح الناس. من يتنجس بعقله وينضرب بالتجنن، ويريد أن يكون على يديه فعل العجائب قدام الناس لكي يكثر مجد عظمته وأن يحسوا أنه قريب من الله جداً.

كثيرون تفاضلوا بتدبير السيرة وأعطوا من الله مواهب كثيرة وما قدروا أن يحملوا كثرة المواهب التي أخذوها، فانساقوا للعظمة، ورذلوا كالكناسة وبعدوا من الله وخابوا من عظمة الرتبة التي كانوا فيها.

وكثيرين كانوا هادئين ومرتبين وذو عقل رذين، وكلامهم موزون وعفيفين في سيرتهم وأفاضل بالمعرفة، وصاروا علامة رعب لمن يعرفهم، لكونهم وقعوا في العظمة،

ومنظر حزين لمن يبصرهم.

ليس كل هادئ متضع، بل كل متواضع هادئ.. متواضع ليس له استحياء ولبيب.. ما تجد، حي غير متواضع .. تجد كثيرين.

لأن المتواضع في كل وقت يكون هادئ، لأن لا يوجد شيء يحرك ويزعج ضميره.

إذا ما أردت أن تخرج من العالم وتترك الأهل والأقارب والبلد، وتتبع المسيح بسيرك في طريق الفضيلة، لا تتسجس بأفكار الهم بالقوت والكسوة، لأن إذا كان عماك مع الله: هو المهتم باحتياجاتك ... يعرض هذا من قلة الأمانة، وبهذا الشك يتساوى في هذا المؤمن مع الكافر.

إن الحنفي – الوثني – يعتقد أن ليس إله غير الصنم الذي يعبده، أما المؤمن يعتقد بالله وما يثق به أنه يهتم باحتياجه.

العالم يسرع بالسجود تحت أقدامنا ويسألنا لكي نعلمه الحق ويقبل قولنا بإيمان، ويسير في طريقه بفرح، ونحن نعلم الحق وبيتنا خراب من داخل! .. يا من يفسر الحق لآخرين أعرف الحق وعرفه لنفسك ..

ليس أحد يتبع الله وينبغي له أن يهتم بالقوت ولا يقدر يتكل على الله وقلبه متشكك.. الذي يثق بالله ما يهتم بشيء هذه وصية ربنا: **" فلا تَهتمُّوا قائلينَ: ماذا نأكُلُ؟**

أو ماذا نَشربُ ؟ أو ماذا نَلْبَسُ ؟ ... لكِن اطْلُبوا أوَّلاً ملكوتَ اللَّهِ وبِرَّهُ، وهذهِ كُلُّها تُزادُ لكُم "

(مت ٦ : ٣١ - ٣٣)، لكن ما قال لنا أنه لن تذوقون التجارب .. لم يدعونا للتنعم.

من هو الذي يخرج في طلب اقتناء ملكوت الله وما يشقى؟! بل إذا ما تركتكم تتضايقون حسب قوتكم في الأحزان، أرجع أفتقدكم لكي تعرفون من هذا الموضع اهتمامي

بكم في التجربة التي بعد الأحزان.

الذي من أجل المسيح يجوع يكون له مأكلاً، والذي يعطش يكون له مشروباً حلواً، والذي يتعرى يكون له لباس، والذي يتعب يكون له راحة، والذي يصلي رجاء حقيقـي، والذي يبكي يكون له عزاء، وهذه هى التي قالها القديس مرقس: إن المسيح للذي يؤمن به يكون له كل شيء، ولهذا ينبغي أن يكون لنا إيمان محق بالمسيح أنه يستطيع أن يجـري من الحجر عسل.

إن كنت تثق في مواعيد الله وحسن تدابيره أنها قادرة أن تحكمك إلى الخـلاص فلا تعد تستعمل التحايل البشري.

إن كنت متواضعاً فبهذا اعلم أنك قد اقتنيت معرفة لا يكون بعدها شكوك من هـو خال من معرفة الحق.

لا تتكل على إنسان لئلا تخيب من النعمة، إن ألقيت همك دفعة واحدة علـى اللـه اقفوا بها إيمانك به، وإن كنت تؤمن لا تخاف من شيء تحتاجه من ضـروريات القـوت الوقتي، ولا من شيء يؤذي الجسد، كمثل أن تأتي الأشياء عليك كيفما اتفق، وأنت خـالي من العناية بهم.

حيث يوجد قنوع الضمير، ليس هناك رعب الأفكار، وحيث يكون التقـسم وشـك القلب ليس يهدأ الضمير من الرعب.

كثيرين من أجل الراحات الجسدية خيبوا أنفسهم من غنى عظيم ومن خير كثير.

حتى ولا الذين هم في العالم يعملون لا يبلغوا مقاصدهم إن لم يقطعوا على ذواتهم أن يقاسوا المصاعب.

كثيرين يتخلفوا عن طريق ملكوت السموات من أجل انتظار راحة قريبة، كل أحد يعرف حتى أن الطير بأمل النياح يدنوا من الفخ وكم من وقت يسأل إنسان إذا ما أراد أن يبدأ بعمل ما لأجل الرب إن كان فيه راحة؟ ويتسهل السير فيه بلا عناء وتعب؟ وما يكون

فيه شيئاً يضغط الجسد؟ ماذا تقول أيها الإنسان الذي تريد أن تصعد إلى ملكوت الـسماء، ولتنال تلك الحياة الروحانية وتلك السعادة والخلطة مع الملائكة، وتـسأل إن كـان فـي الطريق تعب وصعوبة؟!

يا للعجب أن الذين يشتهون أمور هذا العـالم وغنـاه وسـلطانه يجـسروا علـى أمواج البحر ويسلكوا الطرق المخوفة وأسفار مديدة مملوءة أتعاب وضـوائق ويـصبروا على الجميع وما يفكروا إن كان فيها عناء وتعب .. ونحن في كل موضـع نـسأل عـن الراحات ..!

اهتمام الأفعال يكدر النفس، ومجاذبات الأعمال تسجس العقل وتخرجه من هـدوءه وتطرد منه السلامة، **فينبغي للمتوحد أن يكون على الدوام بلا هم في فكره لكي يتلوا في ناموس الرب ليلاً ونهاراً من غير انجذاب للأعمال الأرضية.**

التدبير الروحاني هو دهش السر، الذي لا من الناس ولا من الملائكة يـتعلم، بـل بتكميل وصايا ربنا يظهر في النفس من الروح القدس.

التدبير الروحاني ليس فيه أتعاب ولا حروب ولا ضنك جـسد ولا مجاهـدة مـع الأفكار لأنه ليس بموضوع تحت اهتمام الحركات النفسانية.

كل تدبير هو موضوع تحت سلطة الإرادة، فيها حروب وهو مفتقر لتعب الجـسد وعناء الضمير.

لأن هذين التدبيرين الذين هم عمل الفضيلة وتدبير سـيرة العقـل الخفيـة أكثـر المتوحدين بهم سائرين لأنهم تحت سـلطة الإرادة موضـوعية، وفـيهم تعـب وجهـاد ومحصورين داخل الهذيذ والاهتمام البشري وأما الحركة الروحانية ليس هى موضـوعة تحت حرية الإنسان ولا تقتنى بالتعليم والتدريج والدربة وتصنع الإرادة.

لو كان التدبير الروحاني يقتنى بالتعليم والدربة وأعمال إرادة النفس، كانوا سائر المتوحدين الذي تحت السماء متسيرين بالروحانية، لأنه ما يوجد إلا بنقاوة القلب، تلـك التي ما تقتنى إلا بالبعد من جميع العالم بالجسد والضمير.

من عشرة ربوات من المتوحدين، نجد واحد قد أوهل للتـدبير الروحـاني بهـذه الحياة، لأنه من حيث يبدأ الإنسان بتدبير العقل الذي هو الهذيذ الدائم بالإلهيات وإلى أن يبلغ إلى التدبير الروحاني الذي هو الدهش بالله، أكثر من جميع الأعمال هو محتاج إلى الصلاة الغصبية التي بضرب الميطانيات تكمل ولا يبطل الصوم أبداً وينال مـن القـوت حسب ما يكفي الجسد ليقوم في عمل الصلاة.

لا تظن أن يدبرك الله في هذا العالم بغير تجارب وبالأكثر إذا كنت محباً لله ولمـا يخصه، وأن يعرض لك هذا الفكر لا تثق به ولا تصدقه، لأن الله إنما حد حيـاة بغيـر أحزان للعالم الجديد فقط.

والذين ما يعرفون قصد غرض الله وسياسة تدبيره وبأي حكمة قطع الله على حياة هذا العالم أحزان، وأما أناس يظنوا أنه لأجل مكافأة الشرور فقط يجلب الله الضوائق على الناس، وهذا فكر ناقص كثير على سابق معرفة الحكيم في تدبيره، ولو أنهم أخذوا مـادة لهذا الفكر بسذاجة من الكتب.

من هو من الناس خلى وتبرأ من الأحزان والضوائق؟ الأنبياء والرسل والصديقين الذين كانوا في كل الأجيال أيضاً كم من ضوائق قاسوا، وبكم من الأحزان كملوا حيـاتهم في العالم؛ ألعل هؤلاء كانوا خطاة؟ ومن أية خطية انقمعوا بالأحزان؟ وأنا أسكت عن ذكر عملهم الصالح وسيرهم التعب، أو لعلهم بعدما كان قد انعتقوا من الزلل حتى لا ينقمعـون لأجله، من هو الذي يعرف لأجل أي أمر وسبب قاسوا الأحزان ..!

فينبغي لنا مع الأنبياء والرسل والصديقين ننتظر الأحـزان والـضوايق، أن كـان مكافأة من أجل الخطية أو من أجل البر، ولا واحد منهم عاش بلا أحزان ولا ضوائق.

ونذكر أيضاً هؤلاء الذين ما قد بلغوا بعد إلى معرفة الخطأ أو للتبرر كمثل جـزء من الطبيعة شاركونا في الأحزان والضوائق وأعني بقولي هذا عن الأطفـال البـسطاء، لمكافأة أي خطية؟ ولقمع أي شرور؟ أو لاختيار أي حرية يتضيقوا الأطفال الطبيعيـين؟ لأنهم عادمين من جميع هؤلاء .. هم مثل التامين في القامة والمعرفة ينضغطون بأحزان

الجسد وأمراض مختلفة وأوجاع صعبة تضنك أجسادهم ويسلموا بيد الشياطين، وأكثـرهم بضوائق مختلفة يخرجون من هذا العالم .. لأجل أي سـبب بالعـدل ومكافـأة أي أمـر يؤدبون؟

إلا كمثل ما قلنا آنفاً: إنما قطع الله على حياة هذا العالم الأحزان الدائمة والضوائق، ولولا نتمرمر بقلوبنا ونقع في أن نلوم الخالق تعالى، كنا نقول بإفصاح ظاهر: أنه يُـسر ويشاء أن نتضيق في كل حال، ورأى أنه هكذا يكون إقامتنا ما دُمنا في هذه الحياة. لأنـه غير لائق أن تلك المعرفة اللذيذة والسعادة المعدة أو من أجلها سمح بحدوث هؤلاء وإخفاء غرض مشيئته ولعل سببهم أنها الخطية.

نسجد لحكمته على سائر الأمور .. كيف بسياسة لا ينطق بها يدبر هؤلاء الجميع، ولهذا ليس أحد من الحكماء العارفين يفكر أن يستطاع أن يكون الإنسان خال من حـدوث التجارب والضوائق ما دام بالجسد وفي تصرف تدبير الفضيلة.

اعلم أنه حسبما تعدم أُنس الناس وبُعدك وتفردك من المسكونة، بعـزاوة متـواترة يفتقدك الله في جميع أحزانك وتحس بهذا الفعل في نفسك.

ليس يهمل إلهنا الصالح الطيب الذي من أجل حبه يزدري ويترك الآباء والبلـد، ويحب الفقر والبراري.

السكون هو مبطل ومبرد الآلام الوحشية ومميت التذكارات الباطلة، ومجدد العقـل العمال، إذا قرن معه هذين الأمرين اللذين هما: نقص الغذاء، وهذيذ العقل علـى الـدوام بأسرار العالم الجديد، وربط الضمير بغير انقطاع بذكر الله وإن انقطع نربطـه عـاجلاً كمثل ما علمونا الآباء وأفهمونا.

فإن كان هذين الأمرين يصحوا، كمثل اليدين اليمين والشمال بمعونة ربنا يـصحوا

وينقاموا معنا، فبسهولة ندوس على رقبة الأعداء، لأن كنه❖ السكون تدل على معنى فعله، أي الهدوء وعدم السجس والاضطراب.

وليس ينبغي أن نتخذ الهدوء بجزوء واحد ونترك سائر أجزاء إنساننا في المجاذبات والالتفاتات، بل نهدئ جميع أجزاء النفس والجسد، وكمثل ما نهـدئ الجـسد ونـسكنه بالحبس داخل القلاية، وأيضاً بلا سجس نكون في الأفعال البرانية التي بالجسد تكمل.

وكما نمنع جسدنا أن لا يضطرب بغير الواجب، كذلك أيضاً نجمع عقلنا من الهـم والهذيذ بالجسدانيات، ومن الملامة والحقد على القريـب، وبالـدوام نـسمره بالـصليب ونحرص أن لا ينحل وينزل من هناك، وإن دمنا على هذا بلا ضجر بالرجاء يوم بعد يوم وإليه نصوب كل غرض تدبير سيرتنا.

ليس نتعب زمان كثير في التجارب لأن به نخضع الحواس ونقمع جميـع لـذاتهم المتعبة التي تضطر عقلنا أن يكون تحت خضوعهم ويحضه ويحطه من القيام فـي بلـدة الهدوء. ويشغله بتحريض عن قيام الآلام الباطلة وأنواع الشهوات.

حبس الجسد والعمل داخل القلاية هو يقمع الجسد من الآلام اللحمية، أما الحواس ما يقدر أن يقمعهم من الطموح بالكمال، إن لم يكن للقلب عملاً خفياً الـذي هـو بلـد السكون وبيت راحة وهدوء الحق الحقيقي.

وكما نعتني أن نربط الجسد بالحبس نحرص أيضاً أن نكـون فـي الحـبس بـلا سجس، ونضبط حواسنا من الطموح في الأفعال التي تطيش الفكر وتشتته، لكي نـتمكن من حبس فكرنا داخل قلبنا بذكر ربنا وبنظرة مجده.

❖ كنه: حقيقة وجوهر وغاية (ما هو).

وإن كانت هذه ليست لنا في حبسنا وسكوننا، فإن الرجل يكون كالصورة والبخـار يتشتت، وكمثل ما تذوب الشمعة من قدام قوة النار، هكذا ينحـل قـدام الأفكـار والآلام ولا يقدر السكون المظنون به أن ينفعه شيئاً.

الميمر التاسع :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

في تدبير سيرة السكون

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

في الأزمان القديمة آبائنا القديسين كانوا يأذنوا لكل أحد بالسكن في الهدوء، الرجال والنساء، الصبيان والشيوخ، الحكماء والسذج ..

الذي يريد من الإخوة الرهبان أن يرضي سيدنا بتدبير سيرة السكون الكريم يؤمن ويصدق بمواعيد ربنا ويحمي نفسه بمحبة المسيح رجاءنا ويدخل للسكون على تكـلان ورجاء نعمته ولا يخاف من شيء.

هوذا روح المزامير تعزيه وتشجعه قائلة: لا تخف أيها المتوحـد الجـالس فـي السكون على رجاء سيده، **" أورُشَلِيمُ الجبـالُ حَوْلَهَـا "** (مز ١٢٥ : ٢) والمسيح ربنـا محيط بك. وأيضاً الذي يتكل على الرب نعمة الروح تحيط به، وأيضاً عـساكر ملائكـة الرب محيطة بخائفيه وتخلصهم (مز ٣٤) لأنه مع كل واحد واحد منا ملاك لاصق بـه ويخلصه، ويصلي عنه وينير عقله ويملؤه إفهام روحانية ويعزيه بالخفى.

المتوحد الذي يسكن في الهدوء وحده ونعمة الرب محيطة به وملاكه في كل حين يحرسه ويعزيه ويسليه .. من أي شيء يخاف، مبارك هو ربنا يسوع المـسيح الـذي أوهبنا السكون، طوبى للمتوحد الذي يحبه ويثبت فيه ويصبر علـى ضـوائقه الأولـى ويتنعم بنياحته الأخيرة ويجاهد في حروبه القديمة ويتكلل بأكاليله الأخيرة.

الذين هم غير دربين ولا فاهمين بالكتب ولا نيرين الأفكار ولا حـدين الحركـات ولا لطيفين بالمعرفة، بل سذاجة ما مختلطة بمزاجهم وقلبهم بليد، وبله بالكلام والمعرفـة ويريدون أن يرضون الله بتدبير سيرة السكون ..

لا يخافون من قتال الشياطين ولا يرتعبون من مجاذباتهم، لأن كل واحد حسب مـا يقدر أن يحتمل وحسب ما يليق به يتجرب من قتال أفكار الشياطين وأشكالهم.

ولا ينطلق على إنسان قتال فوق قوته، ومعرفته، ومنزلته، إذا كان يحوي بقلبـه حب سيده، ويسكن في الهدوء ويعبد المسيح ويصنع مرضاته، محبـة الـرب تحفظـه وتستره من كل مجاذبات الشياطين وتفرح قلبه وتنير نفسه وتقويه حتى يكمل في البر.

اعلم أيها المتوحد أنه من حيث تجلس في قلايتك بغرض وقصد مستقيم من أجـل الله ولا تشتاق لمحبة شيئاً آخر، إلا لتنعم بمحبة سيدنا ولتكمل وصاياه، تعطي لـك قـوة لحفظ بعض الوصايا التي تشاء تعملهم، وعن الوصايا الأخر التي لا يمكنك عملهم أجرك محفوظ عند الله لأجل حزنك على قلة عملهم وعدم اقتناءهم.

واعلم أن في قلايتك يمكنك أن تعمل الوصايا، وأما خارج عن القلايـة ولا هـذه الإرادة لمحبة الفضيلة تثبت فيك.

لأنه يشتتوها المحادثات البشرية واضطراب الأعمال، وقد يـؤدي خروجـك مـن القلاية إن الشيطان يقاتلك بالضجر ويغلبك، ويخرجك من قلايتك كفاشل ومخصوم، وأيضاً في الخارج يقهرك ويعوقك ويعطلك من عمل كل صلاح ويملأ قلبك شروراً، وربما يردك إلى العالم، إلى الهلاك الكلي.

من حيث يجلس المتوحد في القلاية ويعمل بالوصايا، يصير عمله دواء للعينـين، وينقي عيني نفسه من جديد الآلام الذي يملؤها، وينفتحوا، وينظر بعين إيمانـه لربنـا شمس البر الأعظم والخيرات السماوية، ويوم بعد يوم يتثبت بالرجاء وينقـى ويقتنـى أيضاً عمل الوصايا الفرح الروحاني

طوبى للمتوحد الذي اضغطته الآلام وعذبته الشياطين ولم يـشتاق للعـزاء الـذي من خارج.

طوباك يا ابني في ذلك اليوم الذي يدركك الموت وأنت وحدك في قلايتك، وتنتقـل نفسك مع ملاكك إلى الفردوس إلى جوار الملائكة وأرواح الصديقين.

إن أكلت خبزك وحدك في فلايتك يعطيك الله موهبة ممدوحة: أن تأكل المسيح مع خبزك وتشربه مع مشروبك بشكر وفرح روحاني، وإن اشتهيت المائدة التي من خـارج يعطيك الشيطان موهبة سمجة أن تأكل أخيك مع خبزك بالمثلبة.

احذر الآن وكن محترساً، كن وحدك واثبت في السكون لتنجـى مـن العثـرات، يا أرساني اهرب من العالم فتحيا، فر واصمت واستكن، هـذه الأصـول أن لا يخطـئ الإنسان، صوت إلهي قال له هذا ..

نحب الوحدة وهى تقدمنا إلى عدم الخطأ، لا نرعب ونخاف من أسباب المؤذيـات التي في هذا المسكن، لأننا لسنا وجدنا بل معنا حارس ما يفوته شيئاً.

طوبى للإنسان الذي يقبض نفسه من الانحلال ولا يميل لمجاذبـات ومفاوضـات الناس، أنه يحس بأشياء كثيرة لا يقدر يتعلمها من الناس.

الذي يشتهي الروحانيات بالضرورة يهمل الجسدانيات احذر من حياة الخاطة لأنها معوقة لسائر أنواع التوبة، المحادثة مع كثيرين تعوق الحزن الذي من أجل الله، ذلـك المتحرك فينا من الإفراز الطبيعي ومن النعمة.

اسلم ذاتك لجميع ما ينالك من الضوائق كإنسان وضع في نفسه أنه ينزل الهاويـة حياً. اختر لك موت مملوء ثقة ولا خوف فيه ولا حياة بشكوك وتقسم، وراحـة بجـوار السقط والمنحلين والذين قد انقطع رجاءهم.

اذكر أنه من أجل الاضطهاد والهرب من الخطية والخسارة الكثيرة التـي نالتـك، اخترت لنفسك الموت وليس لأجل البر.

يشهد الله وملائكته في هذه الساعة بنظره ضوائقك وشقاءك لأجل بغضتك للخطية وجحودك بها وبثقة تبسط يديك إليه من أجل غفران الخطية.

فليكن كل تدبير المتوحد متساوياً بوجود كل أعمـال الفـضيلة كمقـدار القـراءة والخدمة، وكمقدار خدمة المزامير وضرب الميطانيات والصوم وسهر الليل، ويقرن مـع هؤلاء العمل الخفي الذي للعقل، لئلا يكون الجسد يعمل والقلب سائب بطال.

العمل الدائم ولو أنه قليل كنوز عظيمة يربي لأجل دوامه، وأنا أدلك علـى عمـل بسهولة يتقدم فيه الإنسان إذا مل الجسد وما يقوم من أجل ضعفه ليكمل الميطانيات كالعادة ويتعطل عن الصلاة التي بالجسد تكمل التي منها تتولد الصلاة القلبية: خر على وجهـك دفعات كثيرة واثبت في الصلاة وأنت جالس والكتاب بيدك لكي يمتزج مفاوضة القـراءة مع الصلاة وتستنير من الاثنين وترتفع لتتنعم النفس وتحلا لك الصلاة لأجل القراءة وتنير في القراءة بمفتاح الصلاة.

لأن بالصلاة ينفتح قدام العقل باب الإفهام، وهم الإفهام بالدهش بهم يثيروا شـهوة الصلاة حسب الثاؤريا التي منهم.

إن كان واحد من الآباء قال الجلوس في القلاية فقط ببطالة بغير عمـل وحفـظ الحيطان لأجل اسم المسيح، إنه انتظار رجاء عظيم، كم بالأكثر الـذي يـستعمل هـذه الإفرازات في نفسه من أجل ذكر الله الدايم حقاً أشياء عظيمة ينال.

من دون الصلاة والتضرع لا تمد قدميك أن تسير وبالأكثر في الطرق المظلمـة، والطلبة لا تبطل من فمك واقفوا بها الاعتراف بضعفك وعدم معرفتك لكـي مـن أجـل الاتضاع تُحمل بالرحمة ولو لم تكون مستحقاً.

لأن الاعتراف والاتضاع يكملون موضع عوز العمل، وإذ لم يكن لنا أعمال **ينبغي أن نكون محزونين في ضميرنا ومداومين بذكر خطايانا، وعقل منحط منسحق قدام الله، وهادئين ومسالمين لكل الناس ومنقبضين إلى ذواتنا، وعدم الضحك والمـزاح، وكـلام صالح على كل أحد، والشكر على التجارب، وصمت بحكمة، وأعضاء مرتبة، ونتذكر في كل وقت إننا مائتين على كل حال، ومنتقلين من هذا العالم.**

هذه الأشياء ما تتطلب عمل الجسد، بل هم حسن الضمير والنية وغيـر مفتقـرين لعمل الجسد ولا بعمله ينقامون، حتى وبالمرض والضعف يستطاع اقتناءهم.

والمتهاون بهؤلاء وما يضبطهم في نفسه بخفية ضميره كيف لا يـنلام مـن اللـه بالعدل، لأن الله ليس هو محتاج لكثرة عمل، بل يريد منا فضيلة الإرادة .. طوبى للإنسان الذي يعرف ماذا يولد من **محبته البشر والرحمة إلى أين تُصعِد الرحمة النفس**.

تكون تعلم يا أخي **أن أفضل كل صلاح يفعله الإنسان في هذا العالم هـى الـصلاة الطاهرة، وإن لم يمت الراهب من كل أحد وينقبض بالسكون إلى ذاته كالميت في القبر، ما يستطيع أن يقتني هذه في نفسه**، لأن الصلاة الطاهرة تطلب فرغة من جميع الأشياء لكي بلا طياشة يقوم قدام الله بعفة في وقت الصلاة، والفكر مجموع من كل مكان منقبض إليه، وبالله فقط يشخص بسكون حركاته متشوقاً لملاقاة معرفة الله بمداومة صلاته إليه.

إذا ما الآلام النفسانية يضعفوا ويصمتوا بسهولة أيضاً يغلب الإنسان الشهوات الجسدانية.

الميتوتة الجسدانية هى أن الإنسان يتغرب من جميع معارفه وبلده وأقرباءه ويمضي إلى أرض غريبة ويختار لنفسه موضع هادئ مستكن من كل شلش❖ ، وبعوز الاحتيـاج الجسداني يسكن وحده منقبض إلى قلبه وعادم من جميـع خلطـة النـاس والمحادثـات والعزوات المنظورة، وبالنوح والبكاء ووجع القلب يسأل الله أن يطهره من الشركة مـع الخطية ويقلع منه أعضاء الإنسان العتيق.

وهذه الميتوتة تولد لنا الميتوتة النفسانية وهى أن الإنسان لا يشتاق في قلبه لـشيء من خيرات هذا العالم ولا لحياته الزائلة ولا يتنعم بطياشة فكره في الشهوات الأرضية بل يكون عقله على الدوام متشوق متلهف بلا هدوء إلى الأمور المزمعـة، وجميـع هذيـذه وضميره وأمل قلبه في الأشياء التي من بعد القيامة هى مزمعة للبشر وبالحيـاة الجديـدة

❖ شلش: أي البعثرة والتشتت.

يهدس ويهذ في كل أوقاته، وهذه هى الميتوتة بالحق الذي قد مات مع المسيح.

وهذه الميتوتة من دون فعل النعمة ومعونة الروح القـدس لا يمكـن أن تكـون، والميتوتة التي هكذا تولد لنا الميتوتة الروحانية.

التنعم الروحاني الذي من العمل يكون، ما يعد مع الفضيلة لأنه سيد الفـضيلة، لأن الفضيلة هى كل عمل يكون بالظاهر وبحواس الجسد يكمل من أجل الله.

المتوحد ماله عيد في الأرض، لأن عيده هو النـوح، وعـوض الأعمـال التـي يفتخرون بها آخرين بالانشراح مع بعضهم بعض، هذا شقاءه في السكون.

ألعلك يا أخي تظن أن عدم المفاوضة والنوح وحزن القلب والتمرغ في كل وقـت بضرب الميطانيات قدام الله .. ما تحسب عملاً؟ بل تقول أن الصوم وكثرة التلاوة هـى العمل .. **ما تثق أن عمل القلب والتجلد في الوحدة هى غاية العمل،** وأنه سعيد وقريـب من الله **الذي يصبر على صعوبة الوحدة جميع أيام حياته ولو أنه يأكل كل يوم وينـام، ولو تنهد على ذاته دفعة واحدة في كل يوم بحزن وهو ملقى قدام الله.**

بالحقيقة عمل مائة أخ في السجس والمفاوضة يصومون ويصلون، ما يـساوي عمل متوحد واحد في السكون، ولو أنه ضعيف ما خلا إن كان هو عادم محادثة النـاس ومتجلد داخل الباب وليس من يدخل ويخرج من عنده.

فليس أعني بقولي هذا عن الذين يمسكون السكون بالاسم ولهم من يدخل ويخـرج إليهم كل يوم، بل عن الذين يسدون بابهم ولا يفتحوه من يوم الأحد إلى يوم الأحد، وما لهم مع أحد حديث ولا مفاوضة ولا يصادقون إنساناً.

وإن ثمة أخ فيه كفؤاً لهذه النعمة وأخذ هذه الموهبة من الله، وأحد من رؤسـاء ومدبرين أديرة الإخوة من أجل نياح ما أو عمل جسداني أو من أجل حسد، يعوقه عـن هذه الموهبة .. عليه دينونة قدام الله، وهو مزمع أن يعطي الجواب قدام كرسي المسيح.

لا تحب أن تعتق من عبودية السنن والقوانين بسيرتك إلى أن الروح يكتب حريـة

عبوديتك وتحس به إن قد كتب على عقلك بلا تقسم.

إذا قمت في الخدمة بحرص النفس والجسد تلك فيها ربوة كنوز مخفية للذين بإفراز يصلون. اسأل الله أولاً خفياً في قلبك أن يفتح قدامك ينبوع الحياة الذي من عادته يفـيض في هذه الأوقات على الأنفس الجاحدة العالم الزائل، التي بهن ينظرون كل وقت ميتوتـة يسوع على أعضاءهم الخفية ورتل بهدوء بغرض الصلاة، ولا تعتني بكثرة المزامير، بل أن يعطي لك مفتاح ولو أنه لفظة واحدة لكي تدخل إلى كنزاً بفهمه الروحاني، الذي بنعمة الروح القدس ينفتح.

وإذا ما سجدت بمبدأ الصلاة اسأل الله بوجع قلب أن يعطيك فيها صبراً ولا يحصل لك قتال سجس قائلاً: أعطني يارب حركات نيرة شاخصة فيك تجمع هذه الخدمـة بكـل لفظة تخرج من فمي.

وإذا ما دق فكرك وتلطف من غلظ الهذيذ وبدأ أن يصادف النور، من هاهنا افهـم أن بسهولة تقبل دهش الكلام إن كان تلاوة أو كتابة وفي وقتك يتحـرك القلـب بـالفرح ويسكت اللسان.

دليل آخر على ظلام نفسك لا تطلب، إلا عدمك من هذا السرور الذي ذكرت.

يا أخي حب الوحدة ولو أنك عاجز عن جميع حقوقها صلاة واحدة يـصلي بهـا الإنسان وحده أخير من مائة صلاة يصنعها مع الناس .. بالحق عمل مائة يـوم صـوم وصلاة بسجس ومفاوضة يصنعها المتوحد .. ما توازن سهر ونوم ليلة واحدة في الوحدة.

داوم في صلاتك بهذه قائلاً: يا الله جود علي بنـوح القلـب .. يـارب استأصـل مفاوضات العالم من كل قلبي.

هذه تدخلك في أسرار المسيح إن اعتنيت بتفسيرها في نفسك **من دون السكون مـا يتضع القلب، ومن دون اتضاع القلب ما يتنقى القلب من الحركات المتواترة.**

إذا ما جلست بين صلوات الأوقات لكي تتفاوض هناك بالهذيذ بالله، افتكر أيـضاً ماذا كنت ولأي رجاء دعيت من فيض مراحم الله، واجعل لك فسحة بين صلاة الليل إلى

صلاة باكر لمثل هذا الهذيذ الذي يصلح لتربيتك بمعرفة الله في كل أيام حياتك.

لأن هذا أيضاً جزءاً كبيراً في عمل السهر، قسم بين الأوقات النهارية، منها للخدمة ومنها للهذيذ، وإذا نظرت فسحة لنقاوة الحركات فيه كفؤاً، وأن كان العقل مظلم تُزيد القراءة التي توافق في ذلك الوقت، لأن من هاهنا يكون ينبوع النقاوة الذي يفيض منه مياه طاهرة.

إذا ما اتحد الهذيذ بالصلاة بنقاوة، عند ذلك تكمل كلمة السيد أن حيث اثنين أو ثلاثة باسمي مجتمعين أنا أكون في وسطهم، أعني النفس والجسد والروح أو العقل والهذيذ والصلاة وينتهي أمر ثلاثتهم للدهش.

إن لم يتضع الإنسان ما تدنو منه المعونة الإلهية، لأن نعمة الله قايمة من بعد وتنظر في الإنسان على الدوام في وقت الصلاة، وإذا ما تحرك فيه فكر اتضاع، في الحال تدنو منه النعمة ومعها ربوات من المعونات، وهؤلاء في وقت الصلاة يعطوا أكثر من بقية الأوقات، ولهذا يقيم الشيطان مع الإنسان قتال فيها، لئلا يدنو من الله بأفكاره، لأن بقطع الرجاء من حياة الجسد ورفض جميع مفاوضاته بسهولة يلقي الإنسان قنيان النفس التي تفوق حواس الجسد.

إذا كان الضمير ثابت برجاءه، ولو أن الجسد يضعف ما تنغاب النفس ولا تنقص من غناها. وذلك بالبكاء الدائم إذا ما الضمير يضعف والجسد ينحط ويتخاف عن العمل.

الصلاة الطاهرة هى أن لا يطيش العقل في الأشياء التي تحركها الشياطين بالأفكار، أو الطبيعة تحركها من التذكارات أو من تحرك المزاج.

الصلاة التي ما تقفوا بها تدابير حسنة، هى نسر قد انتتف ريش أجنحته.

ولو أن وصل الإنسان إلى عرش اللاهوت بالاستعلانات وتهاون بالمزامير، في يد الشيطان يسلم، لأن حد العظمة يبدأ فيه من هاهنا، كمثل أنه قد ارتفع عن رتبة الذين يستعملون المزامير.

ليس شيئاً محبوباً عند الله، وسريعاً يعطي مسألته، كمثل الإنسان يطلب من أجل زلاته وطلب غفرانها وقوة ومعونة على تقويم طريقه.

هذا النوع من الناس يبطل الدينونة التي عليهم، ولو أن خطاياه صعبة بغير شك

يأخذ مسألته وطلبته.

الميمر العاشـر :

****

عن مـا بعـد الخـروج من العالم
عن الوحـدة والسـكـون

****

الذي هو كامل بالقامة وفيه اشتياق إلى الله من بعد ما يخرج من العـالم .. لـيس ينبغي له أن يقيم كثيراً في المجمع، بل إذا ما تعلم ترتيب وتصرف الإخوة وطقـس هـذا الإسكيم ونوع تواضعه .. يفرز نفسه في قلايته منفرداً لئلا يقتني اعتيـاد بالخلطـة مـع كثيرين، ما خلا مفاوضة شيخ واحد مشهود له بحسن السيرة ومعرفة عمل السكون، ومعه فقط يتحدث لكي يتعلم تدبير الوحدة ومع إنسان آخر لا يتفاوض أبداً.

ليس أن الإنسان إن لم يتطهر بالكمال ما يحس بالخيرات الروحانية، ولا يستدل إلى الحياة الجديدة، بل يوم من بعد يوم حسبما يقهر الآلام، إشارات الطهارة يرى في نفـسه، ولكل ألم يغلب، في الحال يشرق الصلاح الموضوع قباله، وبمقدار ما يتطهر من الخطايا، هكذا ينعتق الضمير من رباطات التفكير بهم، وعلى هذا الحد شعاع المعرفة يشرق فـي قلبه.

طهارة النفس هى التعري من الاهتمامات الجسدانية، والهذيذ بالأفكار الحسية.

الذين هم في طبعهم ودعاء وهادئين وذوي وقار وحركات نيرة مفروزة، معلـوم أنه سهل عليهم الدموع، بأنه حيث يوجد تواضع القلب بإفراز، مـا يقـدر الإنـسان أن يمسك نفسه من الدموع، من غير أن يريد يفيضهم القلب على الدوام من الحزن الحـار الذي فيه وكسر القلب، وهذه الثلاثة أنواع من السكون يقتنيهم الإنسان: إن كان حب الله، وإن كان الدهش بأسراره، أو إن كان تواضع القلب.

ليس حزناً لمن أحب الله .. يارب أهلني أن أشرب من هذا الينبوع .. ولكن ..

الذي ما له سكون لم يعرف واحدة من هؤلاء ولو أن يكون له فـضائل كثيـرة، لا حب الله يعرف ما هو ولا معرفة الروح إيش هى ولا التواضع الحقاني الذي من القلب وأنا أشهد لكم بالحق إن كنتم عادمين أو بعيدين عن السكون ولو أنكم بكل أعمال الرهبنة تتعلقون بجفون أعينكم، ما تقدرون أن تؤهلوا أن تدنو لهذه الأسرار التي تعطي للعمـالين بالسكون.

لا تحسب أنه بطالة الثبات الكثير في السجود قدام الله لأن لا شيء أفضل منهـا في جميع الفضائل المفعولة، لأنها تواضع الجسد والنفس والعقل، وتبطـل الآلام الرديـة وقطع الشهوات واستعداد النفس للخروج من الجسد بالسر واشتياق كثير لحب الله، وكـل الخيرات الحاضرة والمزمعة بها توجد، وهى حد سائر الأعمال وحابسة جميع الوصـايا وكمال كل فضيلة.

وأيضاً عمل القراءة هو مرتفع جداً، لأن هو الباب الذي به يـدخل الـذهن إلـى الأسرار الإلهية ويأخذ قوة حسب نقاوة الصلاة، ومنه أيضاً يتقوى الهذيذ الذي هـو مبـدأ هذه السيرة.

من دون القراءة لا يمكن للذهن أن يدنو من الله، لأنها ترفع العقل وتقيمه عنـد الله كل وقت، ليس عمل يأتي به الإنسان إلى قدام مثل هذا إذا كانت قراءته من أجل الحق.

عمل الجسد مع بطالة العقل لا منفعة فيه، لأن صادقة هى كلمة القديس مرقس أن كثيرين يعملون البر وبالأفكار الردية يفسدون أعمالهم الحسنة، وعلى كـل حـال الـذي ضميره بطال من العمل الخفي المكتوم، والمداومة بهم المعرفة والهذيذ أفكاره منحلة فـي الأباطيل.

بعمل العقل ولو كان الجسد بلا عمل أو مريض جداً بأنه ييـبس الجـسد وينـشفه ويجعله عمل العقل مثل العود اليابس الذي ما يقبل وقت الخدمة قتال الثقل والملل والكسل

ويصبر على مقاساتهم بفرح. والاختناق وبقية أحزان القلاية كمثل أنهم عمل الاـه تـام، بل من يريد الراحة منهم بالكمال من غير أن يشاء يسلم ليد شيطان الزنا وعوض ذبيحـة جسده الطاهرة التي كان من عادته يقدم لله، كل يوم يذبح للشيطان ذبيحـة نجـسة مـن أعضاءه.

صدقني يا أخي أن الملل والضجر وثقل الأعضاء والتكدر وسجس العقـل وبقيـة المحزنات الحادثة على النساك في جلوس السكون .. هم عمل الله تام ..

لا تظن أن الاستضاءة في الخدمة ونقاوة الضمير والتنعم بسرور القلـب والعـزاء الذي من الدموع الحلوة والمفاوضة النقية مع الله فقط هم عمل إلهي، بالحق وحسب رأيي أقول: حتى أفكار التجديف والمجد الفارغ وحركات الزنـا الـسمجة الـذين باضـطرار وتغصب يحدثون على المتوحد في السكون، وحزنه من أجلهم، ولو أنه يوجـد المتوحـد مغلوباً قبالتهم، ويصبر ويتجلد ولا يخرج من قلايته، هذه أيضاً كمثل ذبيحة طاهرة تحسب له، وعمل إلهي مقدس، ما خلا دون الكبرياء والعظمة.

لأن في جهاد الرب تجلد وصبر على اليمينيات واليساريات العارضة عليه داخـل المصاف، إذا لم يكن حدوثهم بسبب انحلاله وإهماله، بل بنوع القتال يتواتروا عليه فقـط، إن لم ينغلب ويخرج من المصاف الذي هو الجلوس الفريدي في القلاية.

لأن الذي يشتهي الحبس والسكون ويفرد نفسه من مجمع الإخوة، ينبغي لـه أن هذا يكون قصده وغرضه: أن يقتني بسكون الجسد سكون الـنفس ويجتهـد أن يقتنـي البكاء على خطاياه القديمة والنوح على زلاته كل يوم.

إن لم تستطيع أن تكون مثلنا اجلس في قلايتك وابك على خطاياك .. قـال أولئـك السواح للقديس مقاريوس عن تجربة حرب الشياطين.

اجلس في السكون لتأخذ تجربة الشياطين، قال أنطونيوس لبولا الـساذج تلميـذه:

لينظر الإنسان نفسه ليفهم آلامه، ولا يمكن ذلك من غير تدبير السكون.

قال يوحنا التبايسي النبي: مداومة تذكار الله ونسيان كل ذكر ينبغي للذي يجلس في السكون، أن لا يكون عنده ذكر إنسان أبداً في قلايته.

قال مقاريوس: الجهاد مقابل الآلام والشياطين الحكمة الروحانية هى عضواً عظيماً لإنسان الله.

قال يوحنا التبايسي: ليس تقتني هذه الحكمة الروحية من دون تجارب المـصاف، **وإذا ما جلس الإنسان في السكون وصبر على القتال والتجارب، نال طهارة القلب، وهذه تقتنى عندما يعدم فهم جميع المنظورات.**

قال العظيم في العارفين مار أوغريس: سكون العقل .. سكون يولد سكون.

قال الأب إشعياء ذو الشيبة المباركة: الصلاة الطاهرة تكون إن كنت أخذت موضعاً حصيناً للصلاة.

قال الأب مرقس: لا تقبل معرفة الأفعال التي تعطى لك من العدو، لئلا تضيع تلك العظمة، بل ينبغي أن تطعنه بسهام الصلاة وهو محبوس في الموضع الأسفل بالـسكون، وقد يتحايل أن يجلب له غنيمة لكي يبعدنا من التضرع قبالته، واظهر عظم العطايا التـي يحظى بها المتوحد يوم بعد يوم، إن ثبت في السكون. وقال: نبدأ الآن بالعمل، وما هو هذا العمل: هو السكون وهدم الأفكار والصلاة بغير فتور ..

وهكذا نأتي إلى قدام كل يوم، وليس رجاء بالله فقط نجد، بل وإيمان حقيقي وحبـاً لا غش فيه، وعدم تذكار الشرور، ومحبة الإخوة ونسك وصبر ومعرفة داخله وخـلاص من التجارب ومواهب روحانية وشكر قلبي ودموع محزنة الضوائق العارضة، ولنغفـر لقريبنا بلا غش، ومعرفة الشرع الروحاني، ووجود عدالة الله وحلـول الـروح القـدس وعطايا الكنوز الروحانية .. هؤلاء كلهم بوساطة السكون والـصلاة يجـود بهـا علـى المتوحدين، من أجل اقتناء هؤلاء يشتهي الإنسان السكون.

إن لم يقطع الإنسان نفسه من كل تذكار ومن كل اهتمام ويبتعد من كـل محادثـة

ويداوم السكون بغرض مستقيم وبمحبة الأعمال، لا لخطاياه القديمة يذكر ولا لزلاته في كل يوم ينظر ولا لآلامه ينظر ويفطن، ولا بمجاذبات الشياطين يفهم ولا الجهاد مقابـل الآلام والشياطين يستعد ولا لنقاوة القلب يصل، ولا الصلاة الطاهرة يقتني، ولا الـصلاة الروحانية يستحق ولا لنور العقل المقدس ينظر في ذاته ولا لنور مجد المسيح باستعلان روح القدس يشرق داخل نفسه، هؤلاء الجميع خارج عن السكون ما يعطـوا، والـذين يصبرون على ضوائق السكون ويدوموا فيه ينالوا هؤلاء الجميع.

وإن ثمة أُناس يخرجون من هذا العالم وما ينالوهم هاهنا لئلا يتعظمون، أو من أجل أسباب أُخرى مخفية عن علمنا في ملكوت السماء ينعمون بهؤلاء جميعهم لأجـل حـبهم لسيدنا وصبرهم على السكون لأجل محبته.

إلى طهارة القلب والصلاة الطاهرة يبلغون الذين يتجلدون ولأجل أسباب خفية مـا تعطى لهم الصلاة الروحانية ولا يؤهلون لاستعلان المسيح، لأجل هذا حذروا الآبـاء أن من دون مرض أو ضرورة ما لا يتكلم المتوحد مع إنسان لأنه إن لم يقبض حواس الجسد وبالأكثر نظره وسمعه ولسانه، ما يجد سكوناً لنفسه لأن العقل ما يهدأ من دون الجـسد، قال القديس مرقس: ينبغي أن نتجرد من النظر والسمع مع باقي الحواس.

وقال يوحنا التبايسي: لأن المتوحد المبتدئ إن لم يعود نفـسه أن يـسكت حـواس جسده، بل يتكلم بلسانه مع الإخوة أو مع خادمه وينظرهم بعينه ويسمع بأذنيه كلامهـم .. إيش فايدة من الحبس؟ أو كيف يذوق حلاوة السكون إن لم يسبق يذوق مرارتـه. وكيـف يذوق هذا إن لم يؤلمه الضجر؟ وكيف يتقاتل بالضجر إن كان يدخل خادمه إليه أو يـتكلم معه من الطاقة أو مع الذين يطلبون نظره؟ ولا أيضاً صعوبة قتال الشهوة وتخويف الليل يتمكن منه لأن كل إنسان حسب مقدار سكونه وحبسه وتحفظـه كـذلك تكـون حروبـه وعطاياه.

الآباء لما نظروا ضعف الوجوه أذنوا أن كل إنسان يتدبر حـسب قوتـه وحـسب

معرفته وحسب حرارته وحسب معونته من النعمة ما خلا أن يكون حبيساً ساكتاً، لأن من دون السكون والوحدة ليس يستحق أن يدعى وحيد مع ابن الله الذي أهله بالنعمة لكرامـة اسمه، ذاك الذي ليلاً ونهاراً بحزن ودموع يسأل الله أن يغفر له خطاياه ويجود عليه بقوة الروح القدس لكي يكمل بحبه ويحفظ وصاياه.

وإن كان ما قد استحق بعد الدموع النعمة وعايز أيضاً من دموع. ندم النفس، حزن قلبه وندامة نفسه تقوم له موضع الدموع، ولا يهدأ ولا يبطل من السكون والصلاة والطلبة حتى يحس خفياً بقنوع الرجاء: أنه قد غفرت له خطاياه، واشتعلت نار محبة المسيح فـي قلبه وأخذ قوة لتكميل وصاياه، وتشجع على الآلام وهدأت أفكاره، وخجلـت المجاذبـات وخزيت، وشبع من نظر وجه سيده .. هذا هو المتوحد .. وهذا هو القصد من الوحدة.

الميمر الحادي عشر :

+++++++++++++++++++++++

عن ترتيب سيرة الوحدة والسكون

++

فضيلتان يحبسوا ويجمعوا كل الفضائل ومنهم تقام وتكمل جميع سيرة العقل ومنهم يقتني الإنسان طهارة العقل وهما اللتان يحتاج إليهما ترتيب سيرة السكون وهما هاتان:

❖ الصلاة بغير فتور ولا طياشة.

❖ هدم لمح أفكار الآلام ومجاذبات الشياطين من حيث يظهروا أو يحس أن قد تحركوا في القلب.

هاتين الفضيلتين والعملين اللذين بهما تتجمع وتنحصر سائر أعمال الفكر وفضائل النفس، الجميع يولدون موهبتين وعطيتين روحانيتين، الذي بهم محدود جميع المواهب الإلهية ومحصور بهم جميع عطايا الروح، لأنه لا بالجسد ينعملون ولا بالنفس ينفلحون، بل إنما يحظى بهم الإنسان إنعاماً بقوة روح القدس.

وهؤلاء هم حركة روحانية تحرك بلا فتور لحركات النفس بحرارة حب الله الكامل ونظرة نور مجد ربنا يسوع المسيح باستعلان الروح القدس.

إن كنت تحب يا أخي تدبير السكون وينير عقلك وتتلاطف حركات نفسك وتدق لتتفرس بحركات الآلام المنتبهة فيك من تذكار خطاياك القديمة، ولترصد ما يأتي من مجاذبات الشياطين الذين يسموا أفكار شيطانية حسب قول الأب إشعياء ومار أوغريس، أولئك الذين ليس لهم عليك سلطان بل ليذكروك الخطية ويخضعوك بمجاذباتهم إلى التنازك معهم، إما بذكر امرأة بسماجة الشهوة أو تذكار أخ أحزنك مع بقية ذكر الآلام.

تعلم كيف يكون القتال والجهاد معهم، لأنه ليس في سائر المعارف كمثل أن يفهـم الإنسان آلامه ويقاتل معهم ويستعبدهم لسيادة إرادته من هذا المصاف يقتني الإنسان سريعاً نقاوة القلب وينظر الله.

اقرأ وافهم واعرف ما هى طهارة العقل ومن ماذا تقتني وما هم الآلام، ومـا هـم الذين يولدون منهم، وبأي أعمال وجهاد يغلبهم الإنسان لكي إذا قهرت كل قتال في وقتـه إلى أن يعطي لك الإفراز الروحاني التي بها تقدر أن تفرز بدقة بـلا ضـلالة محادثـات الشياطين من أفكار الآلام.

واعلم أنه ما دمت متيقظ حريص في صلواتك مجتهد بتكميل قوانينك بالسكون ولم تتطيش كثيراً وتتحرك فيك الأفكار الردية، اعرف بالحقيقة أنه ليس هم أفكار آلامك بل هم مجاذبات الشياطين لأن أفكار الآلام التي من العوائد القديمة، إذا كان الإنسان متيقظاً فـي عمله الروحاني، إما يتحركوا فيه أو ما يتحركوا، وإن تحركوا سريعاً يـضمحلوا لأجـل حرصه بعمله وبغضته لهم، وأما مجاذبات أفكار الشياطين، إذا كان الإنسان متيقظ مجتهد في عمل البر وخدمة المزامير وصلاة أبونا السماوي وكلام التلاوة التي يركبها من ذاتـه ويصلي بها بلا فتور إن أكل أو شرب أو جلس أو مشى، أو شـيئاً مـن هـذه الأعمـال والصلوات التي تحرك الشياطين بالحسد عليه لأنهم يخافوا لئلا يقتني قبالهم سلاح.

ولأجل هذا على الدوام يظهروا له متواتراً مجاذباتهم ويحركون فيه الأفكـار لعـل يميل ويتهاون بعمله، **لأن هذه الثلاثة أشياء التي هى: خدمة المزاميـر، وصـلاة أبونـا السماوي وصلاة التلاوة التي يركبها الإنسان ويطلب بها الرحمة والعون والخـلاص .. وهذه الثلاثة أنواع من الصلاة كمثل ثلاثة سهام تطعن الشياطين وتقتلهم.**

إذا ما كنت طائشاً بالأفكار ومتهاون عن تكميل الأوقات وقوانين السكون .. أفكار الآلام تتحرك في قلبك وتضغطك أكثر من مجاذبات الشياطين ومع معرفة الآلام والجهاد مقابل مجاذبات الشياطين وهدم أفكار الخطية وعنايتك بنقاوة القلب وحرارة الـضمير ..

تتعلم بالأكثر أن تقتني بمحبة زائدة وأعمال مفرزة بالعقـل، الـصلاة التـي بـلا فتـور ولا طياشة لأن بها محدود كل سيرة العقل الذي تطلب شريعة السكون الذين هم كما قلنـا بالصلاة التي بلا فتور وهدم الأفكار، أن الإنسان أبداً لا يتنعم بإرادته من انحلاله بالتنازك مع الخطية بأفكاره ما خلا من اضطرار الجهاد وصعوبة العناد، بل يقتني للخطية بغضة عظيمة لكي يحلا له تدبير السكون ولا يتعبه الضجر، وإن كنت تقتني هذين الأمرين أعني الصلاة بلا فتور ولا طياشة وطهارة الأفكار، أنت تحظى بجميع سيرة العقل.

لذا ففي أول الأمر اتعب جسدك ونفسك وقتاً معلوماً بالصلوات التي بـلا فتـور، ولو أن يطيش فكرك وبعد هذا تؤهل للصلاة التي بلا طياشة.

إن لم تتعب جسدك حسب قوتك وتعتني بنفسك كل وقت وفي كل موضع وكل فعل وكل حال، ولو إن فكرك يطيش لأجل أنك بعد مبتدئ، لم تعطـى لـك الـصلاة التـي بلا طياشة.

وإن لم تعود نفسك تهدم أفكار الآلام والشياطين لم يعطي لك جمع العقل من الأفكار الطائشة، لأن هاتين الفضيلتين بهن ينحصر وينحد جميع تدبير الضمير وهـن مـرتبطين بعضهم ببعض ومركبين ومتحدين.

كما أن شيئاً آخر هو طبع الجسد، وشيئاً آخر هو طبيعة النفس، ولأجـل الاتحـاد ببعضهم بعض صاروا طبيعة واحدة، ومن دون اتحادهم ما يكمل لهم فعل، هكذا أيضاً: إذ شيئاً آخر هى الصلاة، وشيئاً آخر طهارة الأفكار ولأجل اتحادهم واشتراكهم الاثنين ينقام منهم تدبير يدعى من آبائنا سيرة العقل وكل واحد منهم محتاجة لتكميل الأخرى، حـسب قول القديس مرقس: " النية الصالحة توجد بالصلاة هكذا أيضاً والصلاة بالنيـة الطـاهرة توجد ".

عود نفسك واغصب ذاتك لجمع فكرك في خدمة المزامير، وبالأكثر في الليل ليأخذ عقلك إحساس وفرح الروح المكنوز في المزامير وأن تؤهل لهذه ما تشبع من الـسكن في الهدوء.

واعلم إن الذي يتعب بأعمال الجسد فقط داخل الحبس وبالضمير ما يعمل بل يطيش ويطمح يتهاون في بعض الأحيان، **وأما الذي مع عمل الجسد يعمل بالفكر أيضاً ما يقدر أن يتهاون، لأن عمل قلبه ما يخليه يستريح، لأجل هذا عظيم هو عمل العقل وتعب جداً وطويل وحسب عظم عمله هكذا أيضاً يكون كثرة منافعه.**

إن كنت تختار عمل الجسد والعقل لا تتضجر ولا تزيد على عمل العقـل أعمـال جسدانية فوق قوتك ومبدأ منزلتك بل قليلاً قليلاً ادخل وغوص على تدبير العقل وهو يكون لك معلم ومرشد في كيف تحترس من الموافقة في قلبك مع الأفكار الشيطانية.

أبيك الأب إشعياء يقول لك ويعلم ويشجع ويجذبك لعمل العقل قائلاً: " أنت يا ابني اهرب من أهوية قلبك، أولئك الذين يقيمون عليك القتال وربنا يكسر جميـع أعـداءك ". معنى قوله: أنه إذا كنت في السكون وأنت خال من الطياشة فـي الأفعـال وعـادم مـن مفاوضات الناس ومتفاوض مع سيدك لعمل وصاياه يغيروا منـك الـشياطين بحـسدهم ويجذبوك للتنازك في الشهوات لكي يخيبوك من حب سيدك ومن العزاء الروحاني ومـن الأجر لأجل سكونك وعملك.

اصنع هكذا كمثل ما أقول لك: كل وقت تحرك فيك الشياطين فكراً ما شـهوانياً أو غضبياً أو مجد فارغ أو مهما كان من الآلام .. لا توافقهم ولا تتنازك معهم ولا تتـركهم يدخلون لقلبك وينعموه، بل اذكر عاجلاً لذاك التنعم المحفوظ لك عند الرب، وانتهر تلـك اللذة المتألمة وأغمض عيني فكرك من النظر في ذلك الفكر الشيطاني واغصب نفـسك، ولو أن تجذبك لذة الخطية لكي تهرب منها وتنتقل بحبك إلى سـيدنا وتـسأله أن يمـدك بالمعونة لكي تغلب.

وإذا نظر إرادتك أنه ولا بالفكر تحب أن تتنعم بالخطية، وهذا لأجل التنعم بمحبته، في الوقت يشير للملاك القديس التابع لك ويطرد الشياطين المقاتلة معك بمجاذباتهم كمثل الغبار من قدام الريح العاصفة.

ولهذا قال لك أنبا إشعياء اهرب وفر من مشيئات قلبك، أعني أنت فقـط اغـصب نفسك قليل وأوري الشياطين بغضتك لمجاذباتهم ومحبتك لسيدنا، هو يطرد منك الشياطين ويقطع مجاذباتهم من قلبك وينور ضميرك ويملأ نفسك أمناً وسلاماً وعزاء من النعمة.

لا تخف أيها المتوحد محب السكون والمقاتل إلى الدم في جهاد البر مـع الخطيـة لأجل محبة سيده، ليس يبطئ زماناً كثيراً جهادك، بل من بعد مدة من السنين معروفة إذا ما اختبرت إرادتك الصالحة وحبك الصادق للرب بالصبر في الجهاد والقتال مع أعـداءه، منذ ذاك ليس كل وقت تقاتل معك الشياطين، بل يمدك بالمعونة لكي تغلب بل إذا انقضى زمان جهادك بالكلية يطرد عنك الشياطين ويقطع مجاذباتهم من قلبك.

وعوض تلك الأفكار الكثيرة التي كانت تتحرك فيك، كثرة إفهام روحانيـة يملـؤا نفسك، وكل وقت بأفكار إلهية يبتهج ضميرك التي هى:

- الاهتمام بعظمة الطبع الإلهي.
- الهذيذ بالثالوث المقدس.
- تذكار دائم لا ينقطع بعشق محبة المسيح ونور مجده الإلهي الساكن فيه في السماء.
- الهذيذ برتب الملائكة الممجدة.
- ذكر الفردوس وأرواح الصديقين الذين كملوا.
- استعلان ربنا يسوع المسيح من السماء.
- صعود القديسين إلى السماء.
- وأشياء كثيرة ما يسهل علينا كتابتهم ولا التفوه بهم ..

بهذه الإفهام الروحانية يتحرك عقل المتوحد كل وقت بتنعم لا ينطق به، ويأخذ هذه المكافأة بعد مدة جهاده بالعربون هاهنا، عوض كثرة تلك الأفكار الردية الشيطانية التـي كان يتضيق بهم أولاً في القتال.

والآن يا أخي إن كنت مشتاق لهؤلاء ولنقاوة القلب التي بها ينظر الإنسان اللـه، أعد نفسك للجهاد مع الآلام والشياطين ولا تتضجر إذا ما انضربت وأخذت الجراح فـي وجهك في كل مدة مجاهدتك ولا تعطي قفاً وتهرب من قلايتـك كمخـصوم ومغلـوب،

بل انتظر بالصبر ورجاء حقيقي للغلبة التي يعطيك ربنا في السكون من بعد مدة جهـادك وكثرة النياح والفرح التي تحظى بهم.

ولا تكن كالجهال البلهاء المنحلين الذين في وقت يكونوا غالبين ومستظهرين وفرحين ونيرين يجلسون في السكون والحبس ووقت يتضايقوا وينجرحوا ويُغلبوا ويحزنوا ويسقطوا ويظلموا، يتركون السكون ويخرجون، بل أنت أصبر على جميع ما يحدث عليك كل أيام مدة جهادك، إذ في وقت تضغط الشياطين وفي وقت يضغطوك، وقت تسقطهم وفي وقت يسقطوك حتى ينظر الله صبرك ويعطيك غلبة على أعداءك ويتوجك بمعرفة الروح.

الجهاد مقابل الأفكار الردية الذي يكون بالسكون بهذا النوع يكون: إن مـن حيـث يبدى المتوحد بسيرة العقل وبالحرب مع الآلام مدة من السنين كثير أو قليل كل واحد على قدر حرصه ونشاطه وعمله، يوم بعد يوم، وزمان بعد زمان، كلما يتقدم إلى قـدام تكثـر عليه الحروب إلى أن يبلغ لنقاوة القلب ومن قبل مدة من وصوله إلى النقاوة تـشتد عليـه الحروب أكثر من الأول وأصعب من العادة، فإن تجلد المتوحد وصبر فـي الـسكون ولا يرتخي ولا يمل، يبدأ يجد الراحة قليلاً قليلاً وينعان من النعمة دائماً، وكل وقت تدنو منه الشياطين وتقاتل معه بمجاذبتهم النجسة، في حالة ما يدعوا لسيدنا أن يعينه، سريعاً وعاجلاً يُطاردون من قبالة بفعل الملاك القديس الطاهر اللاصق به بالغمز الإلهي ويبقى عقله فـي هدوء وسلام إن خدم مزاميره أو صلى أو قرأ في الكتب أو اهتم بالله وبخيراته.

وبعد مدة قليلة ما يسمح للشياطين أن يدنوا منه كالأول بمجاذبتهم ما خلا بالقتـال الظاهر، بالمجسة والنظر لأجل عدم التألم الذي اقتناه.

لأن مع عدم التألم - قال الأب إشعياء - هو غير قابل للقتـال، لأنـه أخـذ إكليلـه واستراح من الهم والعناء وهذا عدم التألم الذي يعنيه الآباء ليس هو ذاك التام الكامل الذي بعد القيامة يكون، بل يعنوا عن صحة النفس من مرض الآلام وسقمها فيهم، وهـذا مـا استفدناه من الكتب المقدسة ومن أفواه أُناس قديسين كاملين إلهيين ..

الرب بكثرة رحمته يؤهلنا أن نسير في أثرهم ولنكمل مثلهم بمحبة الله. آمين.

الميمر الثاني عشـر :

++++++++++++++++++++++++

في ترتيـب الرهبنـة الحقانيـة
وكيفيـة العمـل بهـا

++++++++++++++++++++++++

مخافة الله تتقدم محبة الله، فالذي يعمل بالوصايا لأجل محبة الله في الأول يعطـى له خوف الله وبه يكمل كل وصايا الله بكلفة وتصعب لأنه يقاتل الخطية التي تقاوم الوصايا، وبجهاده مع معونة الله يقهر الخطايا بخوف الله بحزن ورعب لأنه يخاف من الانغـلاب والسقوط ومع هذا ينتظر الوصول إلى فرح محبة الله التي من أجلها يعمل كل جهاد.

فإذا كان مستمراً في العمل كل الأيام الذي هو ترك الشر والبعد من كـل خطيـة، العمل الذي يصل به الإنسان لكمال خوف الله، هو أن لا يخطئ الإنسان خطية كبيـرة أو صغيرة التي لا يكون خطية أصغر منها إلا ويسرع بالتوبة عنها، وبهذا تكمل فيه مخافـة الله التي هى البعد من جميع الخطايا.

فيعطى له العمل الثاني، الذي هو كمال كل بر وكل فضيلة، لأن به يحصل الإنسان بالحقيقة على محبة الله وعدم الأوجاع ولذة وحلاوة نظر الله، فلا يمكـن لأي إنـسان أن يصل إلى كمال مخافة الله إلا بترك جميع الشرور وقطع كل خطية وبتكميله عمل كل بر يبلغ إلى محبة الله بنعمة الروح القدس.

بثلاثة أعمال نستطيع ذلك:

١ - مداومة قراءة الكتب لكي بها نتخشع دايماً ونخاف الله ونعرف وصاياه.

٢ - العمل بوصايا الله والتحفظ بهم (وحفظها).

٣ - أن ننقي قلوبنا بالصلاة الدائمة بلا فتور، بعيداً من كل فكر يضاد خوف اللـه ومحبته.

فإذا لازمنا هذه الثلاثة فضائل سهلت علينا وصايا الله وكملت فينا محبته.

ليس يستطيع الراهب أن يكون بمفاوضة الله، ومفاوضة الناس، ولا أن يكون قريباً من أهله الجسدانيين ويقدر أن يدنو بشيء من الروحانيات، لذا توافقنا كثيراً الغربة.

أما تعلم يا أخي أن حياتنا تنقرض ساعة بعد ساعة، ويوماً بعد يوم حتى ولو كـل أيام حياتنا نجتهد أن نرد يوماً واحداً من الذي مضت .. ما نستطيع.

فخسارة عظيمة هى لنا إذا تغافلنا عن يوم واحد لكي يجوز بلا ثمرة تمجيدنا وأعمالنا، ونتهاون من تقديم الصلوات والتضرع قدام الله لأن كل هذه مرسومة ومكتوبة قدام اللـه. وبهؤلاء يمتدح الإنسان قدام النعمة، حيث تأتي أوقاته وهى موسوقة أعماله الصالحة.

فلهذا يا اخوتي لا نتهاون وقت واحد من أوقاتنا وما نقدم فيه أثمار التوبة.

ينبغي لنا جداً الجلوس وحدنا لكي نبكي وننوح على أيامنا التي جازت باطل فارغة واضمحلت وليس ينفعنا في وقت الموت أحداً، لا إخوة ولا أصدقاء .. السعيد هو الـذي يتفكر بهؤلاء ويجمع أفكاره إلى ذاته منقبضاً من الطياشة الباطلة ولم يتخلف وقت واحـد عن الصلاة والتوبة.

أما أنا لو أن تبكي علي جميع الخلائق لأجل خطاياي ليس يكفوا ..

اعلم يا أخي أنه ليس لكثرة الأعمال يُعطي الله الأجر بل لشوق الإرادة والبـشاشة المفرزة كمثل الصبيان الذين يسرعون إلى الطاعة واتضاعهم هو افتخار أنفسهم.

الذي يريد أن يقيم كلمته ولو أنها حق، مرض شيطاني قد مرض، فالذي ينـوح على ذاته ينجو من النار.

أعطي ربنا الطوبى للطاعة، لأن الذي هو مطيع يتنعم أولـه بالتطويـب، الويـل للمقاوم والمحارن لأنه يغتذي من مرارة نفسه.

في كل حين كن مُبكت لذاتك واضمر عن نفسك أنك خاطئ وقل ليس على الأرض أخطأ مني، داوم السهر الكثير واهدس في العذاب الأبدي.

الاتضاع هو مهلك لجميع الآلام - الشهوات – والذين يقتنوه ينجحون في كل شـيء ويغلبون كل أمر.

الطهارة والصوم والصلاة والسهر والاتضاع وندامة النفس، كل هؤلاء هم فـوق الطبيعة، وطوبى للمتوحد الذي هؤلاء أعماله وعقله بهن مضبوط.

في فضيلتين جمعوا الآباء القداسة كلها: وهى التواضع والنوح.

نتفرس في ذاتنا إن كنا في رتبة الجسدانية مع المبتدئين أو مع الوسطانيين أو مـع الكاملين، ونسرع لكي ندرك ولا نسوف ونتغافل لئلا نخسر.

النفس إذا ما أؤهلت لغفران الخطايا حلت في النور الإلهي.

فضيلة واحدة أو حسنة تنعمل بإفراز تقطع خطايا كثيرة.

الشر ليس هو شيئاً، إلا عدم الفضيلة فقط.

النصراني الحقيقي كل يوم له حرب مع ذاته، لأن كل من قاتل مع نفـسه وغلبهـا ليس له قتال مع أحد والذي وإن نفسه لا تبقى عليها دينونة، ولا يقدر أحد من الناس يدينه، لأن الذي قد عرف عيوب نفسه **ليس يشمت** من عيوب آخرين، والذي ما يعمل شر مـع أحد من الناس هو بار.

الذي يعرف دينونة الله هو يدين نفسه ولا يدين أحد. الذي أعماله ردية ما يقدر يعلم آخرين أعمال صالحة.

فينبغي لنا أن نحب الله من كل أنفسنا ومن كل قوتنا ولقريبنا كنفسنا، ولا نكافئ شر عوض شر.

الميمر الثالث عشر :

++++++++++++++++++++++++

عن فائـدة الصـلاة بالمزاميـر

++++++++++++++++++++++++++++++++++

الذي يداوم مزامير ترتيل الروح بلا طياشة يمتلئ دائماً من الروح القـدس، وأمـا الذي باللسان فقط يصلي ويزمر دائماً ليلاً ونهاراً، هو بار وبعد ذلك يصير روحاني لأنه إذا داوم بهذا العمل البراني ليلاً ونهاراً، مدة زمان بصوم كثير وتزمير باللسان وصـلاة ونسك وأعمال صعبة تمتلئ نفسه ذكر الله ويخاف ويرعب من الدينونة، ويحـسب كـل إنسان أخير منه، وإذا نظر أعمال الناس إما زان أو فاسق أو ظالم يجعلهم أخير منه مـن ضمير قلبه الخفي وليس بالكلام البراني، ويتقدم إلى هؤلاء ويسجد قدامهم ويتضرع قائلاً صل علي فإني خاطئ وقد أذنبت قدام الله كثير ولم أوفِ عن ذنب واحد، عنـدما يبلـغ لهؤلاء وأزيد منهم، يبلغ أن يزمر قدام الله بترتيل روحاني.

لأن الله هو بالسكوت وبالصمت يُصلى قدامه بذلك الترتيل الموافق له، فإن كـان أحد يسكت عن تزمير اللسان وما قد وصل ولا يعرف أن يزمر بالعقل وبالروح .. هـذا هو بطال ويمتلئ من الأفكار الردية، لأجل أنه سكت بالظاهر وبالخفى ما يعرف أن يزمر من داخل لأنه ما قد انبسط لسان إنسانه الجواني لكي يلغلغ ويرتل خفياً.

لأن الصلاة التي تشير إليها الآباء ليس بالكلام فقط هى، ولا بالكلام تتعلم، لأنـك ليس قدام إنسان تصلي بل قدام الذي هو روح ترسل حركات صلاتك.

لأن الله هو روح فلهذا صل قدامه بالروح، ليس يطلب موضـع الـذي يـصلي بالروح ولا نطق اللسان، لأن الصلاة الكاملة ليس موضـع تطلـب، لأن هـذه الـصلاة

الروحانية هى داخلة عن اللسان، وغويصة عن الشفتين ومرتفعة عن الكلام، وعميقـه عن التزمير، وإذا ما أراد أن يصلي الإنسان بها يغطس ويتداخل عن الكلام واللفظ، وفي بلاد الملائكة يقدم عربون وبغير كلام يقدس مثلهم، فإن سكت عن هـذه الـصلاة وبـدأ بصلاة اللسان خرج عن بلاد الملائكة ومن التشبه القليل بهم.

فإن كنت أيها الأخ ما بلغت لهؤلاء وبلادك بعيد منهم الآن اثبت في العمل البرانـي وصل وزمر بالصوت واللسان قدام الله بخوف وحب حتى تصل إلى المحبة.

خف من الله بالعدل لكي تؤهل أن تحبه الحب الطبيعي الذي أعطينـاه بتجديـدنا، ولا تكون تتلو كلام الصلاة براني فقط، بل جاهد واعتن أن تكـون أنـت ذاتـك كـلام الصلاة.

لأنه إذا ارتبط الضمير بالقراءة والصلاة يتقوى وما يقبل زرع أفكـار الـشرور ويصير فوق كل فخاخ الشيطان **لأن حرارة الصلاة والهذيذ يحرق الآلام والأفكار كمثـل بالنار بالرجاء بالله، هذا التدبير يقني للراهب أجنحة ويبلغ العقل الروحاني الـذي بـه تخدم الروحانيين.**

وكما أن الذين آمنوا بالمسيح عندما ظهر في العالم هم أولاً أخـذوا طبـاً حقيقيـاً لأنفسهم وأجسادهم، هكذا وأيضاً الذين يحفظون وصاياه عندما يظهر بذاك العالم ينـالون مجداً وكرامة.

بقياس ما تنظر الطفل الطبيعي، هكذا وأيضاً بشبهه انظر في الطفـل الروحـاني الداخل، وكمثل ما هو ساكت لسان الطفل الذي ما قد عرف الكلام ولسانه موضوع بفمـه وليس له حركات الكلمة، هكذا أيضاً هو لسان العقل صامت من كل كلام ومن كل اهتمام، وهو موضوع معد فقط أن يتعلم تلغلغ وهجاية الكلام الروحاني.

ثمة سكوت اللسان، وثمة سكوت جميع الجسد وثمة سكوت النفس، وثمة سـكوت العقل، وثمة سكوت الروح.

صمت اللسان هو إذا لم يتحرك بكلمة ردية، صمت كل الجسد إذا ما بطلت جميـع حواسه.

صمت النفس إذا لم تتبع فيها الأفكار المرذولة.

صمت العقل إذا لم يهدس بمعرفة وحكمة المخسرة.

صمت الروح إذا ما هدأ العقل حتى ومن الحركات الروحانيـة التـي للكائنـات، وبالأزلية فقط تختلج كل حركاته بدهش السكوت عليها.

هذه الدرجات والمقادير في الكلام والصمت، وأما أنت لهؤلاء ما بلغـت الآن، لأن بلدك بعيد منهم.

داوم صلاة اللسان،

ورتل قدام الله بالصوت.

توضع صورة

داود النبي مع القيثارة

فيلم

الميمر الرابع عشر :

++++++++++++++++++++++

ما هو المتوحد وما عمل سيرته

++

المتوحد هو إنسان قد ترك العالم وكل مجده وغناه وربحه وأخذه وعطاه وبلده وأقاربه، وانتقل إلى المجامع والأديرة والجبال والبراري، ويجلس في السكون ويعمل بيديه ويقيت نفسه أو يعطي له صدقة من المؤمنين حسب احتيازه فقط ويعبد الله ليلاً ونهاراً.

فأما عمله: الصوم من العشاء إلى العشاء، وسهر نصف الليل وصلوات لا تنقطع ليلاً ونهاراً، ضرب المطانيات السجود وخدمة المزامير، قراءة في كتب الآباء، المسكنة التجرد، البعد من كل شره ورغبة، النسك من كل شيء ما خلا خبز وماء وطبيخ ساذج وغير دسم، الرقاد على الأرض إلى وقت الشيخوخة والمرض والضعف، ثبات داخل القلاية في الدير ومن غير ضرورة وكيدة لا يخرج، ما خلا إما للصلاة أو لتناول الأسرار في يوم الأحد أو لأمر ضروري لأجل المجمع، البكاء والنحيب والتنهد، لباس الشعر الرحمة، محبة الغرباء وغسل أرجلهم.

الطاعة لسيدنا بحفظ وصاياه والآباء القديسين وكتبهم الاتضاع في كل شيء محقرة الذات والازدراء بنفسه، الحب لسيدنا بالأعمال ولأهل تدبير سيرته ويكونوا عنده كمثل الملائكة.

السكون، الصمت يكون بغير حساب، الامتناع من شرب الخمر ما خلا لأجل مرض أو ضعف ما أو حب القريب.

ذكر الموت والدينونة المزمعة، تكميل السبع أوقات الطاعة للرؤساء والمعلم. خدمة الضعفاء، عمل اليدين، حفظ الحواس، العفة والطهارة، الاحتراس من طياشـة الأفكـار، الفرح بالروح، الصبر والاحتمال، عدم الغضب، مسامحة كل مـن يـضروه ويحزنـوه، التعري من الآلام ومن كل شيء، الخوف قدام منبر المسيح، الهذيذ في الـصلوات مـن القلب، بسط اليدين إلى السماء.

وباقتصار النسك والتوبة ومحبة الأعمال مع بغضته النفس والجسد، وانصلاب ليلاً ونهاراً مقابل الآلام والشياطين والنفس والجسد إلى الموت.

هذه الأشياء ينبغي على المتوحدين الذين خرجوا من العالم إلى الوحدة .. هذا هـو المتوحد وهذه هى سيرته وكل راهب يجب عليه أن يفعل هؤلاء في ذاته حـسب دعوتـه وحسب اسكيمه بكل مقدرته كمثل ما أمر سيدنا والآباء ليحفظ ويعمل. إما أن تهـاون أو صنع أمراً بإهمال وكسل ليس يؤهل للكمال، وفي رتبة ومنزلة العلمانيين هو متسير.

طوبى للذين يحفظون ويعملون، لأن سيدنا إنما أعطى الطـوبى للعمـالين، لـيس للسامعين ولا للقارئين الذين لم يعملوا.

لا نفتخر بالاسم بل نجتهد بالأعمال لأن العمل هو الـذي يبـرر، ولـو إن كـان بلا شكل واسكيم واسم.

الميمر الخامس عشر :

++++++++++++++++++++++++

في معـان سـيرة السـكـون

++++++++++++++++++++++++++++++++

نحرص لكي نقتني بالسكون سكوناً، أعني بسكون الجسد نمسك سكون الـنفس، وهذا هو الجحود بالنفس الذي قال عنه السيد المسيح أن نرفض كل شيء ونتبعه وهى أن يكون قلبنا بالسكون.

وإن لم يداوم بهذا المتوحد في قلايته بل يبني باليمين ويزينه ومن ناحية أخرى يهدم باليسار ويخرب ما قد بنى، لأنه يحترس من قدام لئلا يطعن وينجرح، ومن وراءه ينساب وما يحس كمثل ما يلوم أنبا إشعياء جهالتنا وعدم معرفتنا.

نكون هادئين في القلاية وإنساننا الداخل يطوف في النجاسة أعني يقاسي الإنـسان الأحزان والضوائق داخل السكون وينام على الأرض ويصلي، وأحزان كثيرة يحمل مـن أجل المسيح وليس بفرح ومحبة نحمل الضوائق التي تلاقينا في السكون.

بالظاهر نحفظ الوصايا ونحن بالخفى منخضعين للآلام، وبالأفكار الرديـة تفـسد الأعمال الصالحة.

ثلاثة أبواب مفتوحة إذا أغلقناها وكانوا تحت سلطاننا داخل منهم نجـد المـسيح الملك، وهو باب القلاية، وباب الحواس، وباب القلب الجواني.

ليس نقدر أن نغلق الباب الأوسط إن لم نغلق البراني، ولا يثبت الجـواني بحفـظ حقاني إن لم نحترس من الذي هو خارج منه، لأن هؤلاء الثلاثة مرتبطين ببعضهم بعضاً. ولا يمكن غلق الجواني دون الاحتراس بالذين هم خارج منه، ولا هؤلاء الخارجين منـه

يكون في العقل قوة للتحفظ بهم إن لم نحترس بحفظ الجواني لأن به يكمل حفظهم، وهـو المحتفظ بهم بالحقيقة ولهذا إن لم يحفظ الحارس باب الجواني الذين هم خارج منـه كـل وقت يثيرون عليه اضطراب وسجس، لأن الملك في البلاط الذي داخل منه يسكن.

وإن كان الذهن المتيقظ يحرس بابه بغير فتور يأخذ من الملك سلطاناً لأجل مداومته على بابه ويكون مخوفاً ذا هيبة ورعب على جميع من يحسده الذين هم برا منـه لأجـل تداخله مع الملك، وإذا ما نظروه أو سمعوا صوته هربوا واختفوا، ويشهد على كلامي هذا ذاك الشيخ القديس الذي قال: ثمة من يجلس في القلاية مائة سنة وما يعرف كيف ينبغـي الجلوس فيها، أعني الذي ما يغلق باب القلب الجواني الذي داخله يسكن الملـك المـسيح، ويحارب لكي يغلق البابين الخارجين بتعب وعناء كثير.

وأما نحن فلنكن كالحكماء العارفين بالطريق التي تقطع السبل الكثيرة في الجبـال، نحترس بجلوسنا داخل القلاية بأن نغلق الباب الذي داخله يحل المسيح، وإذا مـا أغلقنـاه جيداً بعد ذلك ندنو للمفاوضة معه.

فإن كنا نفتحه قدام كل أحد من كثرة الداخلين والخارجين لا الملك يكون له وقـت ليدخل، ولا نحن نجد فسحة للكلام معه.

لأن كلما هذه الأبواب لم تغلق من العارفين الحق ليس للقلب هدوء، ولا من واحـد من الأفكار، ولا من واحد من الآلام، لأن العقل الناطق ما يقدر أن يبطل.

فإذا تجلد المتوحد داخل سكون القلاية بالغرض الذي ذكرنا، ويكون معتن بهـذين الأمرين بإفراز الحكمة: اللذين هما: تعب الجسد، والاتضاع ومحقرة الذات، في كل وقت، ليس يمكث كثيراً إلا ويوجب له سلطان من العلاء، لكي بغير تعب داخل وخارج يحفـظ كنزه بغير انسلاب.

ليس فقط الآلام المعوقة للذين داخل السكون يقاتلون إلى الدم، بل والأفكار السانجة الذين مثل خفافيش الليل يلصقون أظافرهم في سقف بيت العقل، ولو أن ينظفهم كثيراً بقوة

ليس يمضون من أجل ما نقدم لهم، أما الألم فيدفعه عنه المتوحد بوساطة الفضيلة، أعنـي بالعمل والاتضاع الذي قلناه.

وأما الأفكار الساذجة فيدفعها عنه بثاؤريا الروح التي تظهر له في الصلاة، أعنـي بوساطة الراحة التي ذكرناها يتوجب له بسلطة داخل وخارج.

وهذه الأشياء تحصل للذي تعب وأطاع بغرض مستقيم واتضع وخضع في وقـت المجمع، إذا لم يكن له غرض آخر ما خلا النظر الدائم إلى المسيح، وجميـع تـصرفاته يصلي ليكونوا حسب إرادة المسيح.

لأن كل من يجلس في الفلاية ولم يغلق بابه جيداً ينفلي داخلها كمثـل بـالجحيم ولا يكون لفكره راحة، وإذا ما خرج من فلايته ما يقدر أن يمـسك ذاتـه لا بـالحواس ولا بالحركات الداخلة، ويبقى كمثل حجر عثرة في أسواق المدينة قدام كل أحد.

لأنه في الأيام التي كان ينبغي له أن يكرم وينيح كل أحد، كان منتقماً قاسياً وطالباً كرامات في غير وقته، أو أنه خدم وكرم ونيح آخرين لأجل سبب مـا ولـيس بغـرض وقصد مستقيم ومحبة حارة.

كل من في أيام عبوديته - أعني طاعة المجمع - مشي باستقامة من غير تهـاون وإهمال، وتأمل بفكره بغير انقسام بهذيذ الأمور الصالحة، ويأمل بشوق وفـرح قلـب، ويفكر بماذا وكيف يزيد تجارته، كلما تتواتر عليـه التجـارب والـصعوبات والأشـياء المحزنة وقت جلوسه في السكون يوضعون في قلبه رجاء وعزاء.

ولو أن يظن أنها ثقيلة يكون حملها عليه خفيف وبفرح يصبر عليهم، إن لم يتخاف من غرض قصده الأول ويشتبك بأشياء أُخرى غريبة عن طريقه.

فحتى إذا ما خرج من فلايته تلك الراحة التي داخل الفلاية تنكتب على عينيه وعلى فمه وعلى يديه وعلى رجليه، وباقتصار على نفسه من داخل وعلى جسده من خارج.

ولم ينعصر فكره بشيء من أنواع عمل الفضيلة، بل يكون مملوء فرحـاً ورجـاء واتكال على الله وإيمان في جميع ما يصادفه ويتاجر الحياة بحكمته من الأشياء التي تظن بهم أنهم مخسرين، لأجل أن الرب قد جاد عليهم بهؤلاء ومنه أخذ سلطان فمـا تـستطيع العوارض المضادة المناصبة الحق أن يسلبون حريته لا من خارج ولا من داخل.

ويعترف كل يوم بقلب منسحق متضع وبحركات متطامنة لله مبررة، ويقول أبـي الذي أعطاني هو أعظم من الكل وما يقدر أحد أن يخطف من يد أبي شيئاً.

ولم يكن له في فكره أبداً حركة تهدس بشيء إن من أعماله واستقامة قصده وجـد مثل هذا السكون، حتى أنه ليس إذا كان جالساً داخل قلايته أعطاه الرب هذا، بل وإذا كان خارج عنها بتوجيب النعمة وبواسطة عمله الخفي الذي من داخل قهر الآلام البرانية التي بالحواس كمثلما علم القديس أرسانيوس: " السكون الحقاني هو حفظ القلب الذي يولد مـن الطاعة والاتضاع ومن سكون الجسد ومن توجيب النعمة ".

ولما وجدوا آباؤنا القدماء هذا، فما كانوا يطوفون في المدن والشوارع، وأظهروا في نفوسهم سيرة كاملة بالجسد مع حفظ حقيقي بالعقل، الشيء الذي إنما ينعمـل فـي البراري القفرة والمواضع غير مسكونة وهم ضبطوا سائر أنـواع أعمـالهم بـالإفراز، ووضعوا هذا العمل كالأماج (أي الهدف) والعلم تجاههم ولقبالته صوبوا سيرتهم واقتنوا قلاية يدخلوها كل وقت وبيتاً وملجأ يستترون فيه من المنافق الشرير.

وعلى الدوام هم قائمون بالسكون داخل وخارج ويتشبثون بنور وجه المسيح الـذي له المجد وعلينا رحمته إلى الأبد. آمين.

الميمر السادس عشر :

++++++++++++++++++++++++

فصل يعرف بإيضاح ويفسر بإفصاح
في ما هى الصلاة الطاهرة التي بلا طياشة

++

ينبغي للإنسان الحكيم إذا ما عزم في قلبه أن يسعى في طلب شيئاً مـا ضـروري وأحب تحصيل ذلك الشيء واشتهى أن يقتنيه. ليس يعتمد على السماع عنه من خـارج، وبغير فحص وتفتيش يسعى على وجوده، وما قد سبق فعرف ما هو وإيـش هيئـة ذاك الشيء، لئلا إذا ما وقع بيده وجد أنه لعدم خبرته فيه يضيعه بسهولة. فلهذا ينبغي لـه أن يعتني تعلم ذاك الشيء بمعرفة ثاقبة لا ضلالة فيها، وما هيئته، وكيف يهتم باقتناءه وفـي طلب إيش هو يسعى، وما هو الذي يقصده ويترجاه، حتى أنه بالأشياء غير المـستطاعة يطلبه وينتظر لأجل حقيقة الأمر أنه مستطاع.

اعلم أيها الإنسان المتتلمذ للحق أن طهارة الصلاة وجمع العقل فيهـا هـو هذيـذ الفضيلة الحقاني الذي يكون باهتمام في وقت الصلاة، وكما أن طهارة القلب التـي مـن أجلها يحذر الآباء، ليس أنه بالكمال يكون الإنسان بلا فكر ولا هذيذ ولا حركـة، بـل أن نقاوة القلب هى أن يكون القلب طاهر من الشرور وينظر كل شيء حسناً. وبضمير اللـه ينظر ويفكر، هكذا أيضاً هى الصلاة الطاهرة التي بلا طياشة.

ليس أنه يكون بالكمال بلا فكر هو العقل ولا روية في شيء ما، بل أنه لا يطـيش في الأشياء الباطلة وقت الصلاة. وليس أنه إذا طاش في معاني الصلاح والأمور الجيـدة يكون قد بعد من طهارة الصلاة، بل أنه يهتم بأشياء واجبة لائقة بضمير مرضي لله فـي وقت الصلاة.

وليس يطلب من إنسان أن لا تجوز فيه تذكارات إذا ما صلى بل أنه لا يلتفت إليهم، ولا يتفطن ويطيش فيهن.

لأنه ثمة طياشة ردية وثمة طياشة جيدة ..

وأنت أيها الأخ لا تطمع أنه ليس يطيش الضمير، لأن هذا غير مستطاع، بل إنما يكون طياشته في صلاح. لأن الصلاة الطاهرة هى طياشة في شيئاً ما حسناً صالح لأنها ذكر وطلبة في شيء صالح ضروري. أما الطياشة الرديئة هى أنه بأفكار باطلة وبهذيذ مخطئ آثم يطيش الإنسان ويلحظ بهدس أفكار سمجة وقت صلاته قدام الله.

أما الطياشة الجيدة هى أن بالله يهدس الضمير في كل مدة صلاته وبمجده وعظمته التي هى تذكارات قراءة الكتب وإفهام الألفاظ الإلهية والأقوال المقدسة التي للروح فيها يلحظ ويطيش.

لأن الذي يجاهد أن يربط فكره بالطياشة في هؤلاء أو هو العقل من تلقاء ذاته يهدس بهن في وقت الصلاة.

جهل هو أن تعد هذه الطياشة غريبة من طهارة الصلاة لأن التذكارات النافعة التي من كتب الروح والإفهام والتصور بأمور إلهية في وقت الصلاة يتحركون في القلب، ليست هى غريبة من طهارة الصلاة ولا مبطلين لجمع العقل وأن يكون الإنسان منقبضاً إلى ذاته ويتفرس بهذيذ طلبته وسؤال صلاته.

الصلاة الجيدة هى أن وافقت قصد وصايا سيدنا وغرضهن كان صالحاً، وهو جمع الفكر تماماً ودائماً، فإن كان ينطلق من هذا ويمتد للإلهيات أو يهم بشيء فاضل من إفهام الكتب على الله بما قيل لأجله خاصته، أو منه للعامة بنوع معنى السياسة والتدبير يوماً بعد يوم يقع في الفكر مثل هؤلاء كلياً أو جزئياً لكي منهم يتحرك التمجيد لله من عمق القلب وشكر وفرح بعظمته وبارتفاع تحننه ومحبته لنا.

هذه الطياشة هى أفضل من الصلاة الطاهرة وهى حدود كل جميع العقل ومحاسن الصلاة.

عندما يكون الضمير خال بالكمال من كل هم وفكر هذا هو صمت الفكـر ولـيس طهارة الصلاة. لأن شيئاً آخر هو أن نصلي بطهارة ..

وشيئاً آخر هو أن من الطياشة والإفهام بكلام الـصلاة يـصمت الفكـر ويبقـى بغير حركة ..

وجاهل هو الذي يريد أن يجد هذا بالجهاد أو بقوة الإرادة، لأن هذه موهبة استعلان العقل، وليس مقادير الصلاة الطاهرة، وإرادة المشيئة ما خـلا أولئـك النـوعين اللـذان ذكرناهم وهما إما أن يطيش الفكر بالصلاة أو بهذيذ طلبته أو بثاؤريا الكتب والهم الحكيم بالله سيد الكل بفهم نوع ما.

فمن يقول أن جمع الفكر هو وجود شيئاً آخر غير هؤلاء هذا قـد مـرض بعـدم المعرفة وضمير خرافي.

وأما أنت أيها الأخ الحكيم لا تطلب من العقل عدم حركة كالجهال الذين يخرفـوا، هذه ليست موجودة للطبيعة، بل أنت أعتن أن تجد حركات صالحة فـي وقـت الـصلاة كالحكماء التي هى الهذيذ بإفهام كلام الروح والفكر الدقيق الذي يضمر في وقت الـصلاة مرضاة إرادة خالق الكل، وهذا هو حد كل فضيلة وكل صلوات.

وإذا ما أخذت قوة من النعمة لترتبط بحركات هؤلاء على الدوام توجـد إنـسان الله، وقريب للروحانيات وتدني لوجود الشيء الذي لم تعرفه وأنت تشتهيه الـذي هـو الإحساس بالله ودهش الضمير المنقبض من جميع الأشكال وصمت الروح الذي قـالوا عنه الآباء.

وطوباك إن أؤهلت لهذا الفرح والبهجة العظيمة بسيدنا. الذي له المجد ولنا يكمـل معرفة أسراره. آمين.

الميمر السابع عشر :

++++++++++++++++++++++++

منـازل ومقاديـر السـكـون

++++++++++++++++++++++++++++++

في ثلاثة منازل ومقادير ينقام تدبير السكون..

جميع عمل هذه السيرة الواحدة التي هى السكون هم ثلاثة منازل: منزلة البدايـة، ومنزلة الوسط، ومنزلة الكمال.

أما الأول: يقفوا به الخوف والحزن والكآبة بسبب ذكر ما تقدم له، وخوف ورعب بما يوجب عليه في الدينونة بالعدل، وذاك الآخر غرض وقصد المجاذبـات والعـزاوات المختلفة التي بها يدنو إلى المواهب بواسطة الطهارة التي اقتناها من البكاء والندم.

التائب الحكيم في دوام سكونه ونسكه التعب وهذيذه بخطاياه التي تضغطه بالحزن وتؤلمه، لأنه معتاد أن يلصق به هاهنا بكاء مر.

وإذا ما كملت هذه المنزلة بالأعمال المتواترة واختلاف أنواع التوبة بمعونة المسيح رجاء حياتنا، وبدأ يمتد إلى المنزلة الثانية ينقلب غرض توبته إلى فرح بغير إرادته لأنـه يحترس ويخاف لئلا تكون ضلالة هى.

المنزلة الثانية: علامتها أنه يبدأ الرجاء يتحرك في الضمير بوساطة التوبة ويبـدأ أن يمتزج فيه العزاء قليلاً ويتحرك فيه وقتاً وقت اهتمامات تفعل أفراح وينظر نفـسه أن بسهولة يقدر يجمع فكره من الطياشة. وهذه تكون إذا ما تداخل في المنزلة بالكمال بأنـه يبدل هذيذ العادة بهذيذ.

زي نوع آخر ما يشبه هذا وليس هو للطبيعة هذه التي تحل في العقل ويبدى يلاحظ الإفهام السرية المخفية التي في المزامير، وبالقراءة وفي بقية الأفعال المحسوسة وتصور

ثاؤرية فلاحة عمله، يبدأ الفرح يمتزج في عمل سيرته إن كان بالصوم أو بألفاظ الخدمـة وباقي أعماله ومع ما يبدأ بالصلاة تنقبض الحواس من غير الإرادة وتبدأ الأفكار تجتمـع لأجل أنهم أحسوا بجوا ما متحرراً متعالياً عن المجاهدات والحروب وينظر أنهـا بنقـاوة تسير إلى قدام يوم بعد يوم.

هذه الأشياء مع أمور أُخر أعظم منها يلصقوا بهذه المنزلة الوسطى حتـى يرتفـع الإنسان بموهبة رحمة المسيح إلى تدبير السيرة التي أعلا من الطبع البشري.

كلما أنت في المنزلة الأولى أكثر من جميع الأشياء دوام عمل خدمـة المزاميـر والتلاوة الكثيرة والقراءة في الكتب، واقرن مع هؤلاء الجوع الدائم، لأنه هو الذي يطهر وينقي الجسد بحرارته، لأن الجوع أكثر من جميع الأعمال فيه كفؤاً أن يمـنح غفـران الخطايا لأجل صعوباته المضغطه لأنه هو قوة التوبة. والعوائد القديمة التي تعودت بهن النفس بسماجة تجاوز الشريعة بالجوع يضعفون.

ومتى ما تدنو بالمعونة السماوية لهذه المنزلة الثانية حسب قول الآباء تبدأ تحـسب في ذاتك أنك قد وصلت إليها من العلامات التي رسمناها آنفاً.

لأنك تنظر في نفسك شيئاً بشيء من الأمور عند ذلك انقص من أعمالـك الأولـى ولا تقطع أصول دوامهم بل أبدل شيئاً منهم بشيئاً آخـر وأكثـر مـن المزاميـر اثبـت في الصلاة، ليس أنك تبطل المزامير، بل أنك تعطي موضع وفسحة للصلاة أكثـر مـن التلاوة.

وفي الخدمة أيضاً مكان وموضع للصلاة مع باقي السواعي الأُخر وتنظر من هاهنا الدالة التي تنالها يوماً بعد يوم، ويأخذ قلبك قوة والأفكار والآلام تضعف وضميرك يفـرح على الدوام بالسرور وينشوا بالصلاة وتنظر نفسك في وقت وقت أنك قد صرت شيئاً آخر عن ما كنت أول لأجل الفرح الذي تنال بمعونة النعمة وقوة إلهية تحل عليـك إذا كنـت بالسكون والتحفظ.

المنزلة الثالثة: أنه من حيث يبدأ الإنسان بتدبير سيرة الفكر، الـذي هـو الهذيـذ بالإلهيات وإلى أن يصل إلى تدبير سيرة الروحانية الذي هو بالدهش بالله، أكثر من كـل الأعمال هو مضطر للصلوات الاغتصابية الذين بالمطانيات يكملون، ولا يبطل من الصيام أبداً، ويأخذ من الغذاء حسب ما يقوم به الجسد.

هذا هو عمل الصلاة، وإذا ما دنا من قرب سيرة المنزلة الثالثة وحظى بحـدودها، يجد من هاهنا أن الأشياء التي كان يعملها متغصباً في الموضع هذا باضطرار الحـلاوة ينجذب إليها في كل وقت ويتخاف عن التغصب، وهو الدهش يجذبه إلـى هـؤلاء بغيـر إرادته، ويوجد على الدوام من تنعم الإفهام جاثياً على وجهه بلا أفكار ولا حواس الصلاة ولا طياشة هناك ولا هذيذ بل إحساس حسن يكون له هناك.

ولا أعني عن الدهش الكامل في طبيعة المسجود له سيد الكل، بل يرتفع العقل عن هذه الأمور السفلية ويبقى في إحساس الدهش.

وتقع في النفس سياسته تدابيره المملوءة إفرازات عـن العـوالم والأجيـال، هـذا وبالأشياء التي تنفعل فيها بكل يوم وبكل وقت إن كان بالخفى أو بالظاهر، لأنه متى مـا يتحرك العقل من النعمة في الأمور الروحانية لأجل حلاوة المعرفة يتخاف عـن الهذيـذ والذكر وقتاً كثيراً وهو داهش.

الآباء القدماء شبهوا نفس المتوحد بالعين لأن كلما هى هادية مـن كـل طنـين السمع والنظر بصفاء ينظر المتوحد الله ولذاته وينشل من هاهنا مياه عذبة الذين هـم أفكار النقاء، وإذا ما قرب من السماعات والنظر بسبب الاضطرابات التي تقبـل نفـسه، يشبهه إنسان يسير في الليل وقت أن ينفرش السحاب على الجو ولا طريق ينظر قدامه ولا سبل، وبسهولة، يتوه ويضل في بلاد قفرة مؤذية.

وإذا ما هدأ مع نفسه يكون كمن تهب له ريح حسنة والجو بهيج فـوق رأسـه، ويبدأ ينير قدامه وينظر ذاته ويميز كيف هو وإلى أين ينبغي له أن يمضي وينظر منزل الحياة من بعد.

ولأجل أنه ما يساعد جيلنا الرديء على هذا يا إخوتي لكي نجـد الهـدوء بالتمـام والسكون الحقاني كمثل ما كان في الأجيال الأولى ..

أي موضع كنا نجلس فيه مع أنفسنا ولو أنه يوم واحد، ليس في الدير فقـط، بـل وفي الطريق وفي أي موضع كان، ولو أنها ساعة واحدة، عبر ذلك الزمان الـذي كـان يوافق.

لا ننتظر العمل والترتيب، بل يوماً بعد يوم نطلب ولو تحت سقيف أو في خرابـة نهتدي قليلاً.

وباقتصار كل موضع يقع بأيدينا نقيم فيه بالسكون ونضبطه حسناً بانقباض إلـى أنفسنا يوم أو اثنين لأن الحكماء هكذا يقتنوا أنفسهم في هذه المدة القصيرة من حياتهم لئلا يدركنا الموت بغتة وما نبلغ أملنا.

إن ثمة راهب فيه كفؤاً لهذه النعمة - نعمة السكون - وحظي بها من الله ويعترض أحد من الأساقفة أو رؤساء المجامع يمنعه من السكون .. عليه دينونة وقدام المسيح يعطي عنه جواب.

ولربنا المجد دائماً.

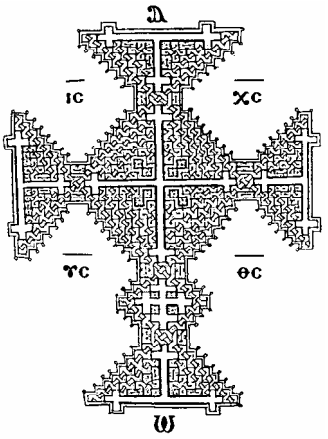

ثانياً : القسم

الجزء الأول
من نسكيات القديس
باسيليوس
أسقف قيصرية الكبادوك
مع
نبذة عن سيرة حياته

إصدار دير السريان ١٩٦٠ م

بِاسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد. آمين.

رهبنـة باسيليوس ومؤلفـاتـه *

❖❖

نظام باسيليوس الرهبانـي :

يقول باسيليوس في خطاب له إلى أخيه غريغوريوس.

" بعد أن أضعت الوقت الكثير إلى غرور العالم، وبعد أن أمضيت معظـم شـبابي أحصل عبثاً علوم الحكمة، استيقظت بعد كل هذا من سبات عميق. عرفت الضوء العجيب لفضيلة الإنجيل؛ وتحققت تفاهة حكمة رؤساء هذا الجيل وفراغها، فهي تمـر وتـزول؛ وكشفت - وكلي أسى - عن الحياة التعسة التي كنت أحياها. وفي هذه اللحظة بحثت عمـن يقودني إلى طريق التقوى. كانت عنايتي الكبرى أن أصلح من أخلاقي التي اِعوجت مـن مصاحبة الأشرار، فبدأت أقرأ الإنجيل. ولاحظت أنه ليس هناك من سبيل للوصول إلـى الكمال، إلا أن أبيع ما أملك وأوزعه على الإخوة الفقراء، وأن أترك كل مباهج هذه الحياة، بحيث لا تتعب نفسي للتمسك بأهداب شئ من الأشياء القائمة في هذه الحياة الدنيا ".

كانت خلجات نفسه الواضحة التي ظهرت في هذا الخطاب وغيـره، سـبباً فـي خروجه من هذا العالم إلى عالم الزهد والتنسك.

أخذ باسيليوس في دراسة نظام الرهبنة وحياة الرهبان. ووجد لزاماً عليه أن **يزور الشرق** حيث ازدهرت الأديرة وحيث يمكنه أن يشاهد بنفسه ويلمس الحياة الديرية. ففـي

---

* للأستاذ الدكتور مراد كامل: أستاذ اللغات السامية بجامعة القاهرة.

سنتي ٣٥٧ ، ٣٥٨ قام برحلته لزيارة معظم الأديرة المنتـشرة فـي مـصر وفلـسطين وسورية والعراق. ولم يكتب مفصلاً عن رحلته هذه، ولكنه دون كلمة إعجـاب بهـؤلاء الرهبان فقال: " إني أعجب بقناعتهم في الغذاء، وشجاعتهم في العمل، ومثـابرتهم فـي صلاة الليل، وبروحهم العالية وقوة إرادتهم التي جعلتهم يحتقرون الجوع والعطش والبرد، وكأنهم غرباء عن أجسادهم. فهم سواح على هذه الأرض، ومواطنون في السماء ".

جاء باسيليوس إلى الشرق، وكان نزاع الأرثوذكسية ضد الأريوسية علـى أشـده، وشاهد الأريوسيين في كراسي الكنيسة، وسمع في الأديرة عن كفاح أثناسـيوس العظـيم وأحس بأبوته الروحية. فعاد إلى بلاد بنطس وقد عقد العزم أن ينشيء الأديرة هناك متبعاً خطى الآباء المصريين.

واختار باسيليوس مكاناً بالقرب من قيصرية الجديدة على نهر الأيريس بعيداً عـن ضوضاء المدينة وخارجاً عن الطريق العام. وتجمع إليه النساك، وأخذ في تكوين ديـره. وأسرع في استدعاء غريغريوس النزينزى من كبدوكية ليكون إلى جانبه، فأتى إليه وأقام معه مدة طويلة.

وفي رسالة إلى غريغوريوس يصف باسيليوس حياة النسك في الدير (وهى بدايـة لتفكيره في وضع نظام مفصل للمعيشة الديرية). وفي هذه الرسالة ملخص للتعليمات التي وجهها إلى إخوته الرهبان.

وكان أوضح ما جاء فيها، عن النظام الداخلي لعمل النفس. وأن النفس عليهـا أن تنسى الماضي، والعاطفة، والفائدة، والأفكار، واللذات، والعادات، وأن تنفض عنها كل هذا لتخلوا لذاتها، وتصبح مثل لوح الشمع الذي أزيلت عنه الحروف القديمـة وأعـد لكتابـة جديدة. والشرط الأول للوصول إلى هذه الدرجة، هو الانفصال التام عن العالم، وأن يختار الإنسان مكاناً بعيداً عن الناس حيث يتمكن من التأملات في الوحدة أو التمرينات الدينيـة مع الجماعة.

يبدأ اليوم عند الفجر بالابتهال إلى الله بالصلاة والترتيل. وعند مطلع الشمس يبـدأ العمل اليدوي ومعه الصلاة والأناشيد. وتخصص ساعات من النهار للدرس وقراءة الكتاب المقدس. فالصلاة والدرس كفيلان - كما يقول - للصعود بالنفس إلى الأفق الجميـل الـذي يضفي عليها معنى واضحاً لله والشعور بوجوده، ويجعل منها معبداً له.

ولم يمنع باسيليوس – في نظامه – الكلام، ولكنه حد منه ونظمه: فالحديث يجب أن يكون مفيداً، ولا تلقى أسئلة مثيرة، والرد لا يكون جدلياً. ولا يخشى الإنـسان أن يظهـر جهله، ويأخذ ممن يعرف، وأن يعطى من أخذ منهم حقهم فيما أخذ. وأن يفكـر قبـل أن يتكلم. ويجب أن يكون محبباً إلى الجميع، هادئاً فيما يقترحه، محسناً سخياً في نـصائحه، متواضعاً ليصلح من إخوته، متحكماً في صوته: فلا يخفضه حتى يسمع، ولا يعلو به حتى لا يثقل.

وكان من نظامه أن يسير الراهب غاضاً طرفه، مهملاً شعر رأسه، مهملاً ملبـسه وهيئته التي يجب أن تبدو متواضعة حزينة. وأن يتمنطق على قميص سميك وضيق، غير فضفاض، لا يغيره صيف شتاء. ويلبس نعلاً.

ويجب أن يكون الغذاء من الخبز والخضراوات، ولا يشرب إلا الماء، وذلك مـرة في اليوم فقط. ويجب أن يكون النوم قليلاً، وأن يستيقظ في أول النهار، والنهار يبدأ فـي منتصف الليل.

هذا ما ذكره باسيليوس في أول تنسكه. وأخذ يقوى هذه الآراء ويدعمها ويحـددها في حياته.

وقد أوحت إليه التأملات والصلوات والقراءات والحاجة إلى الرد على الأسئلة، أن يكتب عدة رسائل نسكية أهمها كتابات، جعلاه مشرع الحياة الديرية في آسيا:

الأول: كتاب جمع فيه خمسة وخمسين قانوناً، وهى المعروفة بالقوانين المنتشرة أي الواسعة، وهى تعالج المسائل الهامة في الحياة النسكية. ولم يُقَسم كتابه بطريقة منهجيـة، ولكنه قسمه بحسب ما تراءى له، أو بحسب سؤال المستفسرين. فجـاء الكتـاب بمثابـة

مطالعات روحية، كما نُسميه اليوم. وقد كتب هذا الكتاب - كما يُستدل من مقدمته - حـين كان في وحدته بعيداً عن ضوضاء العالم.

أما الكتاب الثاني: فيشمل ٣١٣ قانوناً على طريقة الـسؤال والجـواب وتُعـرف بالقوانين المختصرة. ويبدوا أنه كتبها في أوقات مختلفة من حياته، ثم نسقها في قيصرية.

وكان اتجاهه في تنظيم الأديرة: أن يجمع بين ما رآه في مصر من حياة النـساك المتوحدين ونظام الأديرة الزاخرة. اتجه أن يكون الدير صـغيراً لا يـضم الكثيـر مـن الرهبان، حتى يمكنهم أن يعيشوا حياة هادئة وحتى يمكن لرئيس الدير أن يكون على صلة مباشرة بكل راهب، وبذلك يجمع بين حياة النسك وبين حياة العمـل والنـشاط، بحيـث لا تطغي حياة المادة على الحياة الروحية.

وأصبحت الأديرة مراكز للتعليم. وكان الناس يرسـلون أولادهـم إلـى الأديـرة، يعيشون فيها ويتلقون العلم على رهبانها، وكلهم أمل أن يقتنع الأبناء فيهبون أنفسهم لخدمة الله: وكان باسيليوس يقبل هؤلاء الطلبة بعد إقرار من والديهم. ولا يـسكن الطلبـة مـع الرهبان، بل تُخصص لهم منازل يقيمون فيها، وأساتذة لتلقينهم العلوم المسيحية المختلفة. ولا يُقبل منهم أحد في سلك الرهبنة إلا بعد إجراءات طويلة.

مؤلفاته المعربة :

تشتمل مؤلفات باسيليوس على ميامر وكتابات عقدية ورسائل. ولم يصل إلينا جميع ما كتبه.

ويعتبر باسيليوس الخطيب الأول في الكنيسة. فقد كان يخطب في أي وقت، وأمام أي نوع من الناس، بلغة طبيعية سهلة، فيها حكمة وفيها بلاغة وفيها جمال فـي التعبيـر جمع دائماً بين البساطة والقوة.

وقد عرفت المكتبة العربية من كُتبه:

١ - كتاباً يشمل تسعة ميامر تُسمى " الاكساميرون " أي تفسير ستة أيـام الخليقـة،

وكتب ذلك قبل رسامته أسقفاً. وترجمه إلى العربية في القرن الحادي عـشر أبـو الفـتح عبد الله بن الفضل الأنطاكي.

٢ - ميامر عن المزامير لم يبق منها إلا ثلاثة عشر ميمراً. وقد وصلتنا بالعربيـة مُترجمة مع مجموعة من ميامره الأخرى بلغت ٢٥ ميمراً.

٣ - قوانين باسيليوس، وهى القوانين المنتشرة والقوانين المختصرة. وقـد عربهـا في النصف الأول من القرن الثامن عشر الراهب الباسـيلي الحلبـي ثـاوفيلس فـارس (المتوفي سنة ١٧٤٥ م). وتُسمى فرائض رهبان القديس باسيليوس الكبير. ويُـرجح أن أبا الفضل الأنطاكي كان قد نقلها إلى العربية، ثم نقحها الراهب ثاوفيلس فارس.

٤ - نسكيات باسيليوس. وهى ٤٢ رأساً في الآداب الرهبانية وتَـصرف النـساك، وتعرف بكتاب النسكيات.

٥ - كتاب ترتيب وقوانين الرهبان النساك، وهو أسئلة وأجوبة.

٦ - كتاب صلاح الحكيم وفساد العالم الذميم. وقد عربه البطريرك أثناثيوس دباس سنة ١٧٠٥ م.

٧ - مسائل باسيليوس وغريغوريوس. وهى نحو مائة مسألة في أمور روحية يلقي بعضها القديس غريغوريوس النزينزي على القديس باسيليوس فيجيب عنهـا. ثـم يـسأل القديس باسيليوس بدوره القديس غريغوريوس عن مسائل فيجيب عنها.

٨ - قداس القديس باسيليوس.

صورة القديس باسيليوس

فيلم

سـيرة القديـس باسـيليوس

حياة باسيليوس :

" تعالوا أيها الشعوب الأرثوذكسيين لنسجد للرب يسوع المسيح .. فإن الأصـوات الصادقة التي للأنبا باسيليوس العمود المعظم قد ملأت كل العالم .. فمن يقدر أن ينطـق بالقوات العظيمة والعجائب الكثيرة التي للأنبا باسيليوس؟ وأي لسان جسداني يـستطيع أن يتلو كرامته ونسكياته؟ مرحباً بقدومك إلينا في هذا اليوم يا مُعلم التقـوى ومـؤدب كـل المسكونة .. الأنبا باسيليوس الأسقف ".

بهذه الكلمة تقدم كنيستنا مديحاً - في الدفنار - للقديس العظيم باسيليوس الكبير رئيس أساقفة كبادوكية في تذكار نياحته الموافق ٦ طوبه من كل عام، وهذه العبـارات ناطقـة ولا شك بمكانة هذا القديس في الكنيسة الجامعة. وكنيستنا على وجـه الخـصوص، لمـا اشتمل عليه من التقوى والفضيلة والعلم الديني الغزير. وجميع كتاباته معتمدة ومعتبـرة، والكنيسة القبطية تذكره في قداسها الذي تصلي به على مدار السنة، بل إنها تصلي القداس الذي يحمل اسمه.

أسرة القديس :

في السنوات القليلة التي تلت انعقاد المجمع المسكوني الأول، ولد أكبر آلة فعالة في الكنيسة بعد القديس أثناسيوس الرسولي، استطاع أن يناضل ضد الأريوسية، ويقف أمـام معتنقيها ومؤيديها من أساقفة وأباطرة ومن إليهم، فقد ولد باسيليوس – على أرجح الآراء – سنة ٣٢٩ م منحدراً من دم مسيحي طاهر نقي، وهو ينتسب إلى أسـرة ضـمت بعـض

الشهداء، كان جده لأمه من كبار مُلاك الأراضي في بلاد بنطس وكانـت جدتـه لأبيـه القديسة - ماكرينا Macrina - تلميذة وفية للقديس غريغوريوس العجائبي، وقد قاسى هذان الأهوال خلال الاضطهاد الذي أثاره مكسيمينوس الثاني، وظلا يهيمان على وجهيهما هرباً في الغابات والجبال لمدة سبع سنوات فقدا فيها معظم أملاكهما كما يخبرنا بذلك القـديس غريغوريوس الثيئولوغوس في مقالته العشرين، وبقى من بينهما اثنان هما غريغوريـوس وباسيليوس، صار الأول أسقفاً على إحدى إيبارشيات كبادوكية. والثانى أبو القديس باسيليوس، ويُدعى أيضاً باسيليوس. حاز شهرة عالية في كل بلاد بنطس كمحام عن الفـضيلة ومعلـم حاذق للبلاغة (البيان)، كما كانت شخصيته معتبرة جداً في الكنيسة نظراً لاستقامته وتقواه. تزوج هذا بامرأة فاضلة يتيمة تُدعى " اماليا Emmelia " كان أبوها قـد احتمـل العـذاب والموت لأجل اسم المسيح، وكانت هى الأخرى مثلاً رائعاً للمرأة المسيحية الفاضلة.

هذه التقوى الثابتة اتحدت في زواج باسيليوس الأب واماليا. فـأنتج هـذا الـزواج الموفق عشرة أطفال خمسة بنين وخمس بنات، ويبدو أن أحد هؤلاء الأبناء مات وهو بعد طفل .. وكان أكبر التسعة الأحياء ابنة تُدعى ماكرينا على اسم جدتها، أما أكبر الـذكور فكان باسيليوس صاحب السيرة والثاني نقراطيوس، والثالث غريغوريوس، أما الأصـغر ويدعى بطرس فقد ولد قبيل وفاة والده بزمن قصير. ومن بين هذه المجموعـة الممتـازة تذكر الكبرى وهى ماكرينا كقديسة في حياتها التي دونها شـقيقها غريغوريـوس. مـات نقراطيوس في شبابه المبكر حوالي التاريخ الذي رسم فيه باسيليوس أغنسطساً (قارئـاً) أما الثلاثة الباقون فقد رُسِموا أساقفة: باسيليوس على قيـصرية، وغريغوريـوس علـى نيصص، وبطرس على سبسطية.

أما عن مكان مولد باسيليوس، فقد ذُكرت مدينتان: قيصرية كبادوكية، وقيـصرية الجديدة Neocaesarea في البنطس ولا نستطيع أن نجزم بأيهما أصح لعدم وجود الدليل الكافي، وذلك لأن الكلمة اليونانية " Патрис " كانت تطلق على مكان المولد كما علـى

مكان الإقامة والتملك، وكان والدا باسيليوس لهمـا ممتلكـات ومـصالح فـي البـنطس وكبادوكية. ولكن لعدة اعتبارات يمكن اعتبار قيصرية كبادوكية هى مسقط رأسه.

فيأتي مولد باسيليوس حوالي الوقت بعد النصر الذي حققته الكنيسة بـستة عـشر عاماً[1]. وُلد بعد أن انتهى المجمع المسكوني الأول (بنيقية) من وضع الصيغة الرسمية للمعتقدات الإيمانية الأساسية، تلك الفترة التي كانت فيها للشرق الأهمية الكنسية واللاهوتية أكثر من الغرب. وهكذا تحدر باسيليوس في فترة هامة وخطيرة في تاريخ الكنيسة. تحدر من أسرة اجتمع لها أصالة الإيمان والتقوى والجاه والشرف والثراء، تقدست بدم شهدائها وتدعمت بتقوى أفرادها من شهداء وأساقفة ورهبان وراهبات.

ثقافته :

ليس مبدأ تعلم باسيليوس هو الوقت الذي أُرسل فيه إلى مدرسة قيصرية كبادوكيـة أو مدرسة قيصرية الجديدة كما يزعم البعض. وليست هى الفترة التي تتلمذ فيها على يـد والده العظيم. ليس هذان هما المكانان اللذان ارتبطا ارتباطاً وثيقاً بأيام باسيليوس المبكرة، لكنها قرية معروفة قرب قيصرية الجديدة حيث تربى على يد جدته ماكرينا. كانت للأسرة ممتلكات لا بأس بها في تلك المنطقة التي أقام فيها بعد ذلك ... كانت ممتلكاتهم في أنيسي Annesi على نهر الايرس Iris " الآن Jekil - Irmak " والمناظر إلـى جوارهـا ذات جمال خيالي، وكانت خلوة باسيليوس فيما بعد على الضفة المقابلـة لـذلك النهـر، ذات المناظر الطبيعية الشاعرية.

في أنيسي شيدت أُمه اماليا هيكلاً على اسم الأربعين شهيداً الذين استـشهدوا فـي سبسطيه، ونقلت إليه ذخائرهم المقدسة. ويحتمل أن يكون باسيليوس قد حـضر صـلوات

---

[1] المقصود بذلك منشور ميلان الذي أصدره الإمبراطور قسطنطين سنة ٣١٣ م، يبيح فيه للمسيحيين أن يمارسوا شعائر دينهم كدين معترف به في الدولة.

التدشين التي كانت تستمر طوال اليوم. في ذلك المكان الهادئ تلقى باسيليوس مبادئ الدين من جدته ووالده. هنا تلقن الإيمان الأرثوذكسي. ويُروى أن الفضل الأول في توجيهه التوجيه الديني كان لجدته كما كان أيضاً لأخته الكبيرة ماكرينا.

أُرسل في سن مبكر إلى مدرسة في قيصرية كبادوكية. وتعرف هناك بأشخاص من بينهم غريغوريوس النيازينزي. كما أُعجب إعجاب الأطفال برئيس الأساقفة ديانيوس Dianius . ويروي لنا غريغوريوس أنه حتى في تلك الفترة المبكرة حاز باسيليوس شهرة عظيمة لسموه العقلي فضلاً عن شخصيته التقية. فكان فيلسوفاً بين الفلاسفة، وخطيباً بين الخطباء، حتى قبل أن يدرس هذين الفرعين في العلوم دراسة منتظمة. وفوق كل شيء كان ككاهن بين المسيحيين قبل أن ينال رتبة الكهنوت. وهكذا لفتت شخصيته الأنظار مبكراً.

ثم انتقل باسيليوس من قيصريه إلى القسطنطينية، حيث درس البيان والفلسفة بنجاح، ويقول المؤرخان سقراط وسوزمين أنه تلقى الدرس على يد ليبانيوس في أنطاكية ولكن يبدو أنهما خلطا بين باسيليوس الذي نحن بصدده وباسيليوس صديق القديس يوحنا ذهبي الفم الذي أهدى إليه كتابه " الكهنوت " وليس هناك ما يثبت إقامة باسيليوس في أنطاكية ويُحتمل أن يكون قد حضر بعض محاضرات ليبانيوس سنة ٣٤٧ في القسطنطينية وليس في أنطاكية، وعلى أية الحالات، فإن معلوماتنا عنه في سني إقامته الخمس في القسطنطينية ضئيلة.

ارتحل باسيليوس إلى أثينا سنة ٣٥١ طبقاً لما كان متبعاً آنذاك بالنسبة إلى الذين يريدون أن يتموا دراساتهم العليا. كانت أثينا من أشهر المدن الجامعية في العالم لقد ركزت رومية والقسطنطينية لذاتيهما الثروة والسلطان الإمبراطوري، ولكن أياً منهما لم تفلح في أن تزحزح أثينا عن مركزها في دنيا الآداب والمعارف، ذاك الذي حازته بواسطة التقليد الأدبي والتعليمي منذ ثمانية قرون خلت. فكانت أثينا بصيتها الذائع القديم

وتقاليدها التاريخية من ناحية، وأساتذتها الممتازين في الفلسفة والبلاغة من ناحية أخرى، ما تزال تجذب إليها الجمهرة من الطلاب من كل أنحاء بلاد اليونان، بل مـن مقاطعـات آسيا النائية أيضاً.

أمضى باسيليوس قرابة خمسة أعوام في المدينة العتيقة أثينا، ولدينا محصول وفير من المعلومات عن حياته هناك مما كتبه صديقه غريغوريوس النيازينزي الذي كـان قـد سبقه إليها، يقول غريغوريوس إن شهرة باسيليوس كانت قد سبقته إلى أثينا، فانتظره كثير من الشبان وتنافسوا على صداقته. وكانت العادة بين الشبان أنهم يفاجئون الطالب القـادم ببعض الأمور الهزلية حتى يعجموا عوده ويعرفوا شيئاً عن شخصيته. لكن باسيليوس لـم يتعرض لهذه التجربة ممن هم أقدم منه في الدراسة.

أما من جهة الشابين الكبادوكيين، فقد عملت كل الظروف على توطيد أواصر الحب بينهما، ذاك الحب الذي ربطهما حتى الموت، فقد جمعتهما أهداف روحية مسيحية مقدسة، حتى قيل عنهما إنهما كانا روحاً واحدة في جسدين، وغدت صداقتهما فصلاً رائعـاً فـي تاريخ الآباء. وهكذا لم يكن للشعر والفصاحة – والحالة هذه – قدرة على إضعاف ميولهما الروحية وحياتهما التقوية. لقد عاشا سوياً، وساعد كلٌ صديقه للاستفادة من كـل فـرص التعلم التي أتاحها لهما ذاك المكان امتنع الشابان كُليةً عن كل اللذات التي تتفشى عادةً بين الشباب وفي ذاك يقول غريغوريوس: " عرفنا شارعين في المدينة: الأول وهو الأحـسن كان يؤدي إلى الكنائس وخدام المذبح، والآخر – وكنا لا نعتبره كثيراً – كان يـؤدي إلـى المدارس العامة ومعلمي العلوم. أما الشوارع التي تؤدي إلى المسارح والملاعب والأماكن غير المقدسة فقد تركناها لغيرنا ... كانت القداسة هى شُغلنا الشاغل، وكان هدفنا أن نُدعى وأن نكون بالحقيقة مسيحيين، وفي هذا وضعنا كل مجدنا " [٢].

والحق أن الإقامة في أثينا وقتذاك والانشغال بالدراسات الكلاسيكية (القديمة) - بالنسبة

---

(2) Greg Naz. Oration 43 .

إلى الشاب غير المؤسس جيداً في المسيحية – كانت فرصة مليئة بالتجارب، وكـان مـن السهل أن يشعل الحماس للوثنية وإن كانت قد فقدت حيويتها. ولدينا مثل واضح على ذلك، فقد لازمها في الدراسة في أثينا الأمير يوليانوس ابن عم قسطنطيوس الإمبراطور الحاكم آنذاك. وكان الأمير الشاب تربطه بباسيليوس صداقة قديمة جداً، وقد اعتاد أن يدرس معه الكتاب المقدس ويعدد المقارنات بين تعاليم الكتاب السامية ودروس أساتذة الوثنيين، ومـع كل هذا فإن يوليانوس تأثر تأثراً عميقاً بالوثنية، حتى أنه حينما صار إمبراطوراً فيما بعد ارتد عن المسيحية وصار يُعرف في التاريخ باسم يوليانوس الجاحـد أو المرتـد. لكـن باسيليوس وغريغوريوس كانت تحدوهما نصيحة قدمت إليهما بالسعي حثيثاً نحو الهـدف المقدس - الحياة الأبدية - التي كل المسرات وأمجاد العالم تعتبر بالقيـاس إليهـا كظـلال وأحلام. فكانا حذرين في الاستفادة من مواد دراستهما، ليأخذا منها فقط ما يعينهمـا فـي خدمتهما المقدسة فيما بعد. فكانا – والحالة هذه – كالإنسان الذي يحترس من الأشواك وهو يقطف الورود، وكالنحلة التي لا يلهيها لون الزهرة وأريجها عن امتصاص رحيقها ...

تلألأت عبقرية باسيليوس الدراسية في أثينا. ويخبرنا غريغوريوس بـأن اجتهـاد صديقه وتركيزه ومثابرته كانت عظيمة. وكان بارعاً في كل فرع من فروع العلم كما لو كان متخصصاً فيه وحده. كانت أحب المواد إليه الفـصاحة والبيـان والفلـسفة والفلـك والهندسة والطب. لكن كل سموه العقلي يتضاءل إذا قورن بنقاوة حياته وطهارة سـيرته. أما أشهر أساتذته الذين تتلمذ لهم في أثينا فكانـا بروهارسـيوس المـسيحي الأرمنـي، وهيميريوس الوثني البيثيني.

العودة إلى الوطن :

وأخيراً حان الوقت لتنفيذ ما عقد عليه الصديقان العزم من ممارسة الحياة النـسكية بعد عودتهما إلى وطنهما بأكثر قوة. وحل يوم الرحيل. وحاول أصـدقاؤه أن يحجـزوه بالعناق والعبرات، لكن باسيليوس تعلق بغرضه وتغلب على جهود رفاقه لتعويقه في أثينا،

وقد تأثر غريغوريوس كثيراً في نفسه من معاملة زملائه وأساتذته الذين ازدحموا حولـه. أما باسيليوس فشرح لأصدقائه أسـباب رحيلـه، وتـركهم حزانـى، ومـضى. ولكـن غريغوريوس أذعن لهذه المحبة الفياضة غير أنه لم يبق طويلاً.

وهكذا عاد باسيليوس بمفرده إلى وطنه سنة ٣٥٦ . عاد ليجـد أن والـده وجدتـه ماكرينا قد توفيا أثناء غيبته، وأن أُمه اماليا قد استقرت في أنيسي، المكان الذي تدرب فيه وهو بعد صغير.

رحبت قيصرية كبادوكية بباسيليوس كأحد أبنائها الممتازين. وكانت شهرته في أثينا قد سبقته إلى كبادوكيا. عرضت عليه وظيفة مدرس للبيـان بقيـصرية، فقبـل واشـتغل بالتدريس لمدة عامين تقريباً بنجاح عظيم. وكانت المدن الآسيوية في القرن الرابع تحتفظ بأفخر تقدماتها لفلاسفتها الناجحين الذين كان من بينهم باسيليوس ولا شك. وفـي خـلال السنتين القصيرتين في التدريس أحرز باسيليوس شهرة عالية حتى أن قيـصرية الجديـدة أرسلت وفداً يلتمس منه الاشتغال بالتدريس في مدينتهم – ولكن عبثـاً حـاولوا اسـتمالته بالوعود السخية - .

ويبدو أن حماسته للحياة النسكية – التي كان قد عقد العـزم عليهـا مـع صـديقه غريغوريوس في أثينا - قد فترت إلى فترة وجيزة، وسط جو الإعجـاب والمـديح الـذي أثارته ثقافته. ويبدو أيضاً أن باسيليوس في تلك الفترة قـد داخلـه نـوع مـن العجـب والكبرياء الأدبي، وتَطلع إلى المراكز العالمية العالية التي يشغلها أمثاله. كما يخبرنا بذلك أخوه القديس غريغوريوس أسقف نيصص، بل عرضت عليه وظيفة علمانية ذات مركـز عظيم.

تكريس حياته :

هنا – في تلك الفترة العصيبة من حياة باسيليوس – تدخلت أخته التقية ماكرينا، التي أزعجها أن ترى أخاها باسيليوس غائصاً في درس العلوم الطبيعية والبشرية، يكاد تيـار العالم أن يطويه في لججه. فحثته على طلب العلوم التقوية التي تغرس البر في القلـوب،

وشرعت تذكر له بطلان أمجاد العالم. وبواسطة نفوذها تيقظت فيه ثانية مثاليته، ونجحت أخيراً في إقناعه كموسى جديد يفضل العبرانيين على خزائن مصر، كما يخبرنـا بـذلك أيضاً القديس غريغوريوس أسقف نيصص.

في هذه الفترة (سنة ٣٠٣) تعمد باسيليوس. وبعدها بقليل سيم أغنسطساً (قارئاً) بيد الأنبا ديانيوس أسقف قيصرية.

وقد اتخذ القديس غريغوريوس النيازينزي من سيامة باسيليوس أغنسطساً سبباً في إظهار الأسى على السيامات التي كانت تتم بسرعة في زمانه، والتي عن طريقهـا نـال كثيرون الكهنوت بدون التدرب اللازم حتى خشي أن تصبح أكثر الرتب قدسية هى أكثرها هزءاً. فقال: لا يُدعى أحد طبيباً أو رساماً إلا بعد أن يكون قد درس طبيعة الأمـراض أو خلط الألوان ورسم الأشكال. لكن الكهنة يقامون ارتجالاً. يُحمل به ويولد في آن واحـد، كالمارد في القصة الخرافية! إننا نصير قديسين في يوم واحد. فالـذين لـيس لـديهم أي استعداد روحي ولا يعرفون شيئاً عن الكهنوت سوى الرغبة في الحصول عليه، هـؤلاء يطالبون الناس أن يكونوا قديسين ومتعلمين! ولكن باسيليوس لم يكن هكذا، فهو الذي كان يمارس أدنى وظيفة في الكنيسة وهى قراءة الأسفار المقدسة للشعب لمدة طويلة، قبـل أن يتقدم للقسيسية والأسقفية ...

وهكذا استيقظ باسيليوس كما من حلم، وتطلع إلى نور الإنجيل المجيد فرأى تفاهـة حكمة العالم التي توصل إلى لا شيء. وبعد أن ناح على حياته الشقية، بحث عن شـيء يرشده ويقوده إلى طريق البر. كان تواقاً إلى إحداث تغيير في حياته العملية بعد أن طال انزعاجه نتيجة لاتصاله بأهل ويقول في بساطة ظاهرة " لذلك لما قرأت كتابي المقـدس، ووجدت فيه أنه عون عظيم على الكمال أن نبيع كل ما لنا ونوزعه على الإخوة الفقراء، حتى نكون بلا هم في أمور هذه الحياة، ونقمع شهواتنا حتى لا نشتغل بحب أي شيء هنا، حينئذ وددت لو أجد أخاً اختار هذا الطريق في الحياة حتى بالتعاون معه يمكنني أن أقضي غربة هذا العالم القصيرة ...

حياته النسكية :

هكذا أفاق باسيليوس على صوت أخته ماكرينا، وكرس حياته لمن أحبه. بل أكثـر من هذا أنه اختار لذاته طريق الوحدة، طريق الكمال المسيحي، الأمر الذي كان قد توافق عليه مع صديقه غريغوريوس.

ويبدو أنه من الأمور التي حركت فيه كوامن نفسه ودفعته دفعاً لتنفيذها، مسلك أُمه وأُخته ماكرينا. فبعد أن استراحتا من أعبائهما العائلية بعد أن كبر أصغر الأولاد، حولتـا منزل الأسرة في أنيسي على نهر الايرس ليكون منسكا في وسط تلك الربـوع الهادئـة، وأقامتا هناك في حياة نسكية. وسرعان ما جذب هذا المنسك إليه – على الرغم من خشونة الحياة فيه - عذارى من كبرى العائلات في كبادوكيه.

ونحو سنة ٣٥٨ ، حينما كان باسيليوس دون الثلاثين من عمره، تـرك قيـصرية ليبحث عن النساك المشهورين ليحتذي بهم. فزار منطقة الإسـكندرية وصـعيد مـصر وفلسطين وسوريا وما بين النهرين. وقد أثار إعجابه شدة زهد وتقشف هؤلاء النساك الذين قابلهم، خاصة في مصر وفلسطين. أثار دهشته فيهم ضـبط الـنفس واحتمـال النـسك ومقدرتهم على الصوم والسهر واحتمال العري والبرد. والطريقة الخارقة للعـادة التـي يعاملون بها أجسادهم كأنها مأوى غريب يقيمون فيه لفترة ما، وقد سجل إعجابه هذا بعـد ذلك في إحدى رسائله [٣]. وهكذا ظل يدرس لمدة سنتين تقريباً التقاليد المثالية الرهبانيـة المثالية التي ترجع إلى القديس أنطونيوس الكبير أب الرهبان [٤]. وكان ما رآه في حيـاة الرهبان والمتوحدين خلال رحلاته حافزاً له على الإسراع في الحياة النـسكية، فبـاع مـا يخصه من أملاك ومقتنيات ووزعها على الفقراء والمحتاجين، وبدأ يفكـر فـي أنـسب الأمكنة لتوحده.

---

(3) Basil' Epps: 207 ' 223.

(4) Bas. Ep. 223.

فكر أولاً في تأسيس دير في إقليم تبرينا بجـوار إرينـانزوس مـوطن صـديقه غريغوريوس ثم عاد فاختار بقعة في البنطس تُسمى إيبورا على نهر الايرس، لما تمتاز به من جمال طبيعي خلاب وهدوء شاعري. وربمـا فعـل هـذا حتـى يـستميل صـديقه غريغوريوس إلى التوحد معه في البنطس. كان هذا المكان على مقربة من المنسك الـذي تعيش فيه أُمه اماليا وأُخته ماكرينا مع بعض العذارى التقيات المثقفات.

وكتب إلى صديقه غريغوريوس يقول: " لقد أرشدني الله إلى منطقة تتفـق تمامـاً وطريقتي في الحياة. إنها حقاً ما كنا نتوق إليه في أحلام يقظتنا. إن ما كان الخيال يظهره لي بعيداً أصبحت أراه الآن أمامي. جبل عال تكسوه غابة كثيفة، ترويهـا فـي الـشمال جداول دائمة الجريان، وعند سفح الجبل يمتد سهل فسيح كثير الفاكهة نتيجة الأبخرة التي ترطبه. أما الغابة المحيطة حيث تتنوع الأشجار وتزدحم، فهي تعزلني عن العالم كما في قلعة حصينة. والبرية محاطة بواديين ضيقين عميقين. على أحد جانبيهما ينحدر مجـرى الماء بقوة من الجبل مكوناً حاجزاً من الصعب عبوره. وعلى الجانب الآخر حافة فسيحة تجعل الاقتراب منه أمراً صعباً. ويقع كوخي على القمة وبذا أشرف على السهل الفـسيح كما على طريق الايرس ... هل أحدثك عن الطيور المغردة الجميلـة والنباتـات الغنيـة بأزهارها؟ لكن ما يبهجني أكثر من كل ذلك هو السكون الذي يخيم على المكان، لا يقطعه إلا بعض الصيادين الذين يأتون من وقت لآخر لصيد الماعز البري والأيائل التي تكثر في البرية. كيف استبدل هذا المكان بأخر؟!

هذه الصورة الخيالية تشير إلى أن تلك الحياة النسكية كان لهـا جانبهـا المثـالي والشاعري بالنسبة إلى العقول المثقفة بل إنها تكشف لنا عن إحساس باسيليوس المرهـف وتذوقه للفن وجمال الطبيعة، متمشياً في ذلك مع المسيحية التي ترى في الطبيعة وما فيها من جمال كتاباً مفتوحاً تقرأ فيه عن قدرة الخالق وحكمته وإنعامه.

والحق أن القديس باسيليوس كان يعشق الطبيعة، وله تأملات كثيرة فـي الـسماء، والنجوم، والطيور وأجناسها، والأسماك، والحيوان، والنبات وغيرها. كان يصفها وصف

عالم عاكف على دراستها. وكان يرى حكمة الله وراء جميعها، يقول: " إذا كنت في حدود الليل تتأمل الجمال الأخاذ الذي للنجوم. فإنك ترى الفنان الذي صممها وزين السماء بهذه الورود. وإذا كنت في الصباح المبكر، تتعلم عن عجائب النهار، وخلال الأشياء المنظورة تصل إلى غير المنظور ".

في تلك البقعة الهادئة، اعتقد القديس – وقد تحرر من كل اهتمامات الحياة العالميـة ومعطلاتها وتشتت الفكر فيها - أنه يستطيع أن يخدم الله حسناً. يقول: ما هو أكثر غبطـة من مشابهة الملائكة على الأرض؟! في بدء النهار ينهض الإنسان للصلاة وتسبيح الخالق بالترتيل والأغاني الروحية. ومع شروق الشمس يبدأ العمل مصحوباً بالصلاة أينما ذهـب مملحاً كل عمل بالتسبيح. إن سكون الوحدة هو بدء تنقية النفس، والعقل إن لم يـضطرب لأي شيء، ولم يتشتت عن طريق الحواس في أمور العالم، يرتد إلى ذاته، ويرتفـع إلـى التفكير في الله ... " هناك في الوحدة وجد في الأسفار المقدسة – كما في مخزن الأدوية – العلاج الحقيقي لعلته.

بدأ في خلوته في البنطس نظاماً نسكياً شديداً، يبدو أنه تسبب في ضـعف صـحته ضعفاً شديداً، الأمر الذي شكا منه مراراً كثيرة في رسائله ولكن مـن الإنـصاف أيـضاً للحقيقة أن نقول إنه ذُكر عن ملازمة المرض له منذ طفولته.

أما عن طعامه، فلم يكن يتناول أكثر مما كان ضرورياً فعلاً ليسد رمقه من أفقـر الأطعمة، وفي بعض الأحيان لم يكن ذلك الطعام شيئاً سوى الخبز والماء [5]. وحتى بعدما أصبح رئيس أساقفة، ما كان يطهي لحماً في مطبخه. كان يملك ثوباً خارجياً وآخر داخلياً

---

[5] Greg. Naz. Or. 20. & Greg. Nys. De Basil.

فقط، وكان يرتدي في الليل مسحاً من الشعر ينام به، ولم يكن يرتديه بالنهار لـئلا يبـدو متظاهراً بالنسك. وكان ينام قليلاً. وكانت الشمس مدفأته في تلك المناطق التي يشتد بردها بعنف [٦]. ويقول عنه شقيقه القديس غريغوريوس أسقف نيصص إنه كان يقمـع جـسده ويستعبده كقول الرسول بولس، بل إنه كان يعامل جسده كما يعامل سيد غـضوب عبـداً هارباً، وهكذا أضنى جسده من صرامته النسكية فذوت صورته، وكان ذلك بمثابة بـذور الأمراض التي أودت بحياته كشهيد في أواخر حياته. ويصفه صديقه القديس غريغوريوس النيازينزي في تلك الحال فيقول: " كان بلا زوجة، بلا قنية، بلا لحم، ويكاد يكـون بـلا دم [٧] ".

وسرعان ما عرف باسيليوس في حياته الجديدة وذاعت قداسـته. فأصـبح نـواة تجمع حوله نساك البنطس وكبادوكيا، ولم يكن هو أول من أدخل الحياة الرهبانيـة إلـى البنطس فقد سبقه إلى ذلك يوستانيوس الذي من سبسطية، الذي سجل باسيليوس إعجابـه بشخصيته النسكية، لكن نظام الجماعات الرهبانية أو نظام الشركة فـي تلـك الأصـقاع، يعزى إلى القديس باسيليوس فضل إظهاره، ويعتبر هو المؤسس له هناك دون شك، ومـا لبث أن انتشر مثاله، فتأسست جماعات من النساك العمالين من الجنسين من جميع أنحـاء البنطس، وكان كل منها مركزاً فعالاً في التبشير بمعتقد مجمع نيقية المقدس والدفاع ضـد الأريوسية.

وقد نجح القديس باسيليوس في جذب صديقه غريغوريوس إليه، وواظبا معـاً علـى الصلاة والدراسة والعمل اليدوي، وجمعا مختارات من كتابات أوريجانوس عرفت فيما بعـد باسم الفيلوكاليا Philocalia وأخذا من كتاباته مادة لتدعيم الإيمان الأرثوذكسي ضد الأريوسية.

---

(6) Greg. Naz. Or. 20.

(7) Greg. Naz. Or. 19.

في ميدان الخدمة العامة :

وحتى ذلك الوقت لم يلاحظ أن القديس باسيليوس اشترك في نشاط عام، بل كـان قابعاً في خلوته في البنطس بالصورة التي ذكرناها.

ثم ترامى إلى سمعه أن ديناميوس رئيس أساقفة قيصرية قد قبـل قـانون إيمـان أريوسي يدعى أريميني Ariminum فترك القديس خلوته ومضى إلى ذلك الأسقف ونبهه إلى زلته، فرجع وقبل الإيمان النقاوي وهو على فراش الموت. وتنيح ديـانيوس وخلفـه أوسابيوس.

أقنع غريغوريوس النزينزي صديقه باسيليوس بالذهاب إلـى قيـصرية لمعاونـة أوسابيوس، فذهب إلى هناك ورسم قساً بيد أوسابيوس سنة ٣٦٤م بعد تمنع شديد نتيجـة لشعوره بعدم الأهلية لتلك الرتبة السامية. وحوالي ذلك التاريخ كتب كتبه ضد يونوميوس Eunomius، وربما كان عمله هذا هو الذي زكاه لدى أوسابيوس.

وصار باسيليوس الشخصية ذات الأثر الأكبر في كل الإيبارشية، وكان هذا عاملاً على إظهار ضعف شخصية أوسابيوس، الأمر الذي أدى إلى فتور العلاقات بينـه وبـين أسقفه. وسرعان ما زاد هذا الفتور حتى انتهى إلى القطيعة، فعاد باسيليوس إلى منـسكه يصحبه صديقه غريغوريوس وهناك أمضى الصديقان ثلاث سنوات في الوحـدة، عكفـا خلالها على الكتابة ضد الإمبراطور يوليانوس الذي ارتد عن المسيحية مـصاباً بنكـسة هيلينية.

ولما ارتقى العرش الإمبراطور فالنس الأريوسي، حاول بكل سلطته أن ينشر هـذا المعتقد الفاسد. وفي هذه الأزمة طالب الشعب بعودة باسيليوس، فحـاول أوسـابيوس أن يستميل غريغوريوس ليكون بجانبه، ولكن هذا الأخير رفض العودة بـدون باسـيليوس، وكان مما كتبه إلى أوسابيوس قوله " أتكرمني بينما تهينه؟ إن هذا يعني أنك تربت علـي بيد وتلطمني بالأخرى. صدقني، إن عاملته كما يستحق فسيكون لك فخر. وأنا سأتبعه كما يتبع الظل الجسم ". وأخيراً - بفضل مجهودات غريغوريوس أيضاً - تم التوفيـق بينهمـا.

وعاد باسيليوس إلى قيصرية على أهبة الاستعداد للتعاون بكل إخلاص مـع أوسـابيوس مستخدماً كل فصاحته وعلمه لإحباط هجمات الأريوسيين. وقد نظم المقاومة الأرثـوذكس ضد الأنوميسين الذين كانوا جادين في نشر معتقدهم في كل آسيا الصغرى، وكرس جهوده في إزادة قوة الإيبارشية مؤيداً سلطة أوسابيوس رئيس الأساقفة معاملاً إيـاه بمـا يليـق بمركزه وسنه من إكرام. وأثبت باسيليوس بذلك أنه - على حد تعبير غريغوريوس - غـداً عكاز شيخوخة، ودعامة الإيمان الأرثوذكسي، وأكثر أصـدقائه وفـاء، وأكثـر الخـدام كفاءة [٨].

ولم تكن الاحتياجات اللاهوتية وخدمة الكنيسة في زمن باسـيليوس لتمنعـه مـن تكريس جزء كبير من طاقته لأعمال الرحمة. فمن المحتمل أن المؤسسة العظيمـة التـي أقامها في ضواحي قيصرية لعلاج المرضى وإراحة المسافرين والفقـراء، قـد وضـع تصميمها – إن لم يكن قد بدئ فيها – في أواخر سني قسيسيته. وقد عرفت هذه المؤسـسة أخيراً باسم باسيلياد Basiliad، وكانت بمثابة المؤسسة الأم، وسرعان ما قامت مؤسسات أخرى مشابهة في المناطق القروية للإقليم يشرف على كل منها خوري ابسكوبس.

ومن أبرز الحوادث في تلك الفترة، المجاعة التي اجتاحت كل الأقاليم سنة ٣٦٨م. وفي خلالها كان باسيليوس مثال الخادم الذي يضع نفسه من أجل مخدوميه. فلـم يكتـف بحث الأغنياء والتجار الجشعين على الرحمة، وإنما باع ممتلكاته التي كانت قد آلت إليـه مؤخراً بعد انتقال أمه ووزعها على المحتاجين، وخدم بشخـصه احتياجـات المتـألمين. وكان الخدم يحضرون إليه إكراماً من الأطعمة وهو يوزعها بيديه بينما يعـزي بكلماتـه المتضايقين ويشجع المتألمين.

---

(8) Greg. Naz. Or. 20.

القديس باسيليوس رئيس الأساقفة :

نحو منتصف سنة ٣٧٠م توفى أوسابيوس رئيس أساقفة قيصرية، وبانتقاله أصبح الكرسي خالياً اصطلاحاً، لأن الشخصية التي شغلته من الناحية الرعوية كانت مازالت على قيد الحياة. وكان واضحاً أن نصرة الأرثوذكسية في كل آسيا الصغرى هى في أن يشغل باسيليوس هذا المنصب.

ولكن أي طريق كان على باسيليوس أن يسلكه؟ هل ينسحب في هدوء، أو يرشح آخر دونه، وفي ذلك ما فيه من إضرار بقضية الإيمان؟ وإذ أراد أن يتخلص من هذا المأزق، أرسل إلى صديقه غريغوريوس يلح عليه في الحضور بحجة اعتلال صحته، وإن كان قصده في الحقيقة ترشيحه لذلك المنصب وأسرع صديقه قاصداً قيصرية ليكون إلى جواره، ولكنه شعر أن هناك شيئاً غامضاً في الموضوع، وإن المسألة ليست مسألة مرض باسيليوس، فقطع رحلته وعاد ثانية إلى نيزينزا.

وقد قام غريغوريوس الأسقف (والد غريغوريوس النيزينزي) وكان شيخاً وقوراً. بدور هام في هذا الموضوع. فقد أملى على ابنه غريغوريوس خطاباً إلى الكهنة والرهبان والحكام والشعب في قيصرية يدعوهم إلى اختيار باسيليوس. كما أرسل خطاباً آخر إلى الأساقفة الذين لهم حق الانتخاب يحضهم فيه ألا يجعلوا ضعف باسيليوس الصحي حائلاً دون انتفاع الكنيسة بمواهبه وتفوقه الملحوظ في الروحيات والعلوم الكنسية. وكان أكثر الأساقفة نفوذاً هو أوسابيوس أسقف ساموساط، فكتب إليه غريغوريوس العجوز مقنعاً إياه بضرورة زيارة قيصرية وأن يأخذ على عاتقه توجيه الرأي العام لهذه المهمة.

وكانت قيصرية منقسمة إلى معسكرين: كان جميع الناس الأخيار مع الكهنة والرهبان يؤيدون انتخاب باسيليوس بحماس كبير. أما معارضوه فكانوا يتألفون من

الأساقفة الأريوسيين، وبعض ذوي الغنى والمراكز ممن كانوا يعيبون عليه إنكاره لذاتـه وزهده، وبعض الأشرار والفجار لمقاومته لهم وتوبيخه إياهم. أما بالنـسبة إلـى شـعب قيصرية فقد كان باسيليوس الرجل الروحاني ذا المقدرة العظيمة الـذي يـستطيع صـد تيار الهرطقات. وقد استطاع أوسابيوس بنفوذه أن يتغلب على كـل الـصعاب. وانتهـى الموضوع بوصول الشيخ الوقور غريغوريوس، الذي حالما علم باحتياج باسيليوس إلـى صوت واحد ليحصل على النصاب القانوني لانتخابه، غادر فراش مرضه محمولاً علـى نقالة قيصرية مخاطراً بنفسه، واشترك في رسامة باسيليوس واجلاسـه علـى كرسـيه، وكان ذلك سنة ٣٧٠م.

كان لرسامة باسيليوس رنة فرح في كل العـالم الأرثوذكـسي، حتـى أن البابـا أثناسيوس الرسولي بطل الإيمان أرسل من الإسكندرية مهنئاً كبادوكيـة بهـذا التوفيـق. أما في القسطنطينية فقد قوبلت رسامته بمشاعر مختلفة، إذ شعر الإمبراطور فـالنز أنهـا صدمة خطيرة له وللأريوسية، لأن باسيليوس لم يكن خصماً يستهان به. فهو – فضلاً عن قوة شخصيته – كان نفوذه كرئيس أساقفة قيصرية يمتد إلى ما وراء حدود المدينة ذاتهـا. فكان رئيساً على أساقفة كبادوكية كلها، وله نفوذ في بلاد البنطس وفي أكثر من نـصف آسيا الصغرى، وكانت تنضوي تحت لوائه نحو إحدى عشرة مقاطعـة، وكانـت انقـره وقيصارية الجديدة وتيانا وأسقفيات أُخرى تعتبره الرئيس الكنسي لها.

الصعاب التي واجهته في أسقفيته :

أولاً : الأساقفة :

كان هناك فريق من الأساقفة قد رفضوا الاشتراك في رسامته، وهؤلاء تحولوا من العداء المكشوف إلى المقاومة السرية، وكانوا يعاملونه باستخفاف، مظهرين رغبتهم التامة في مشاركته في كل خططه [٩]، وقد شكا هذه الحالة إلى أوسـابيوس الـساموساطي [١٠] وكان هذا المسلك غير المخلص من جانبهم سبباً في ازدياد مرضه. لكنه تمكن علـى أي حال من التغلب على معارضيه في سنوات قليلة بالحزم الممتزج بالعطف.

ثانياً : تقسيم كبادوكيا :

صممت حكومة الإمبراطور على تقسيم كبادوكية إلى إقليمين، وكان المقصود مـن ذلك إضعاف مدينة قيصرية، أو بالأحرى إضعاف باسيليوس وقد اختيرت مدينـة تيانـا لتكون العاصمة الجديدة للإقليم الثاني. فطالب أنتيموس أسقف تيانا بتقـسيم كنـسي يتبـع التقسيم الإداري، وبأن تتمتع تيانا بامتيازات المدينة العاصمة كما تتمتـع قيـصرية. أمـا القديس باسيليوس فعول على مقاومة ذلك المطلب إلى النهاية، وحدث نزاع بينـه وبـين أنتيموس ولكي يقوي موقفه سام صديقه غريغوريوس على سازيما وهى قرية مغمورة تقع عند مفترق الطريق الذي يؤدي شمالاً من تيانا إلى دوراً ثم ينحني غرباً إلى نيزينزا. كما سام أسقفاً على دورا. وسام أخاه غريغوريوس على نيصص. ولم يثبت في أسقفيته مـن هذه السيامات الثلاثة غير أسقف نيصص الذي بعد أن طرده منهـا الأريوسـيين، تمكـن بشهرته وقوته من العودة إليها. أما سازيما فأعيدت إلى أسقفية تيانا، واعتزل غريغوريوس أسقفيتها بمرارة وسبب له ذلك الحادث جرحاً لازمه حتى نهاية حياته. أما في دورا فقـد طُرد أيضاً الأسقف الذي سامه باسيليوس.

---

(9) Epistle 98.

(10) Epp. 48 ' 141 ' 282.

ثالثاً : الإمبراطور فالنز :

لم يمض على القديس باسيليوس أكثر من اثنى عشر شهراً في أسقفيته، حتى جـاء إلى صدام علني مع الإمبراطور فالنز الذي كان يعبر آسيا الصغرى مصمماً على ملاشاة الإيمان الأرثوذكسي وإحلال الأريوسية محله. وهو الآن يقترب من قيصرية مصمماً على إخضاع بطل الأرثوذكسية في تلك الجهات. وكان تقدمه مظهراً من مظاهر انتصاره: فقد ضعفَ أمامه كثيرون. وقاومت بثينية فصارت مسرحاً لمآس مرعبة. أما غلاطية المترددة فقد استسلمت دون مقاومة. وكان مصير كبادوكيا يتوقف على باسيليوس. نصحه البعض أن ينحني أمام العاصفة، ويهدئ من روع الإمبراطور بخضوع وقتـي. ولكنـه رفـض مشورتهم بإباء تشوبه الغيرة المقدسة.

دخلت حاشية الإمبراطور على القديس باسيليوس بتهديدات شديدة وكـان أشـدهم وقاحة ديموستينيز رئيس المطبخ الذي هدده بالسكين. فقابل القـديس تهديداتـه بـصرامة هادئة.

ثم تلاه مودستس حاكم برايتوريوم. وقد أرسله فالنز إلى القديس باسيليوس يخيـره بين أمرين: إما العزل وإما الاشتراك مـع الأريوسـيين. فاسـتدعاه مودسـتس وباسـم الإمبراطور طالبه بالخضوع، وباسم الله رفض القديس الأمر فهدده مودستس بمـصادرة أملاكه وبالتجويع والنفي والتعذيب والموت. فكان رد القديس على هذه الإهانة أن لا شيء من هذه التهديدات يرهبه، فليس له شيء يصادر سوى قليل من الخرق وبعض الكتب. أما النفي فلا يمكن أن يبعث به إلى ما ورا. أراضي الله، إذ الأرض كلها دار غربة بالنـسبة إليه. أما التعذيب فلا يخيف جسماً مات بالفعل. أما الموت فإنـه يكـون كـصديق يـأتي ليصحبه في آخر رحلة إلى الوطن الحقيقي وينقله للحال إلى الله الذي يحيا لـه. ومـا أن سمع مودستس هذه الإجابة حتى صاح في دهشة ممزوجة بكبرياء معلناً أن أسقفاً لم يكلمه قط بمثل هذا الكلام. فأجابه القديس في هدوء " ذلك لأنك لم تقابل أسقفاً حقيقياً ". ولما لـم يفلح مودستس في تهديده، أخذ يعده بكرامات وبصداقة الإمبراطور وبتحقيق كل مطالبـة.

لكن شيئاً من كل ذلك لم يلن عزيمة باسيليوس الحديدية. فأسرع مودستس إلى سيده ورفع تقريره الذي قرر فيه " أن الوسائل المتبعة في الإرهاب بدت غير قادرة على تحريك هذا المطران الباسل. والشدة هى السبيل الوحيد الذي يتبع مع ذاك الذي لم يجد معـه التهديـد والملاطفة على السواء ". لكن فالنز - ككل المخلوقات الضعيفة - تذبـذب بـين الإرغـام والإذعان، ورفض استخدام العنف ضد باسيليوس وجعل طلبه منه متوسـطاً، أن يـسمح للأريوسيين بالاشتراك معه. وهنا أيضاً لم يلن باسيليوس ولم يتراجع عن موقفه ولكي ينفذ الإمبراطور ما أراد، قصد إلى الكنيسة الرئيسية في قيصرية يوم عيد الظهور الإلهي سنة ٣٧٢م بعد بدء الخدمة. فوجد الكنيسة زاخرة بالمصلين تتجاوب أصداء تسابيحهم كالرعد، لم يقطعها دخول الإمبراطور وحاشيته، وكان القديس باسيليوس واقفاً في الهيكل ووجهـه نحو الشعب، يحيط به الكهنة وخدام المذبح في شكل شبه دائري. وكـان جـو الكنيـسة سماوياً أكثر منه أرضياً. وكان حماس العبادة المنظمة أليق بالملائكة من البـشر. كـان الموقف رهيباً حتى أن الإمبراطور اضطرب. وحين حان الوقت ليقدم تقدمته، تردد الخدام في قبولها لأنه هرطوقي، فلم يتقدم أحدهم لأخذها. اهتز الإمبراطور وكاد يـسقط لـولا معاونة أحد الكهنة. ويبدو أن باسيليوس تراءف على ضعف خصمه، فقبل التقدمة من يده المرتعشة.

وفي اليوم التالي زار فالنز الكنيسة أيضاً، وأصغى باحترام إلـى عظـة القـديس باسيليوس. وبعد نهاية الاحتفال ناقشه القديس في الإيمان الأرثوذكسي. وبدأ أنه مـال أن يكون صديقاً لباسيليوس، ومنحه أراضي توقف للنشاط الخيري.

محاولة نفي القديس باسيليوس :

كان الوفاق ظاهراً بين فالنز وباسيليوس، فالقديس لن يسمح للأريوسيين بالاشتراك معه، والإمبراطور لن يطيق الرفض، وحينما ظل القديس مصمماً علـى رفـض قبـول الأريوسيين في شركة الكنيسة، لم يجد هؤلاء كبير عناء في إقناع فالنز أن نفي باسيليوس ضروري لسلام الشرق.

استسلم الإمبراطور للمشورة وأمر بنفي باسيليوس. وأعد القديس عدتـه للرحيـل، ورتب أن يكون ذلك ليلاً تجنباً لأخطار الاضطرابات الشعبية. كانت المركبة في انتظاره على الباب، وإذا بأمر النفي يوقف! لقد مرض غلاطس ابن فالنز الوحيد مرضـاً مفاجئـاً وخطيراً، وعزت أمه دومينيكا مرضه إلى الأمر بنفي القديس فأرسل الإمبراطور اثنـين يتوسلان إلى القديس أن يصلي للطفل المريض الذي لم يكن قد تعمد بعد. فاشترط القديس قبل ذهابه أن يعمد الطفل – بعد شفائه – على يد كاهن أرثوذكسي وأن يلقن الإيمان القويم. وشفي الطفل بصلاة القديس، ولكن الإمبراطور حنث بوعده وعمد الطفل على يد أسـقف أريوسي، فساءت حالة الطفل ومات في تلك الليلة [١١].

ومرة أخرى استسلم فالنز لضغط أعداء باسيليوس، وفي تلك المرة رفض القلم أن يطاوع الإمبراطور، وقُصف أكثر من مرة في يده المرتعشة، مما جعله تمتلئ خوفاً ورعباً فعدل عن عزمه، وبقى القديس سيد الموقف [١٢].

وبالإضافة إلى محاولات النفي، تعرض القـديس لإهانـات كثيـرة مـن الحكـام الإقليميين. أما مودستس عدوه القديم، فقد أصيب بمرض خطير قصد القديس باسـيليوس ليصلي عليه، وفعلاً نال الشفاء وصار صديقاً. وازداد نفوذ القديس جداً بسبب ذلك حتـى أن الناس كانوا يأتون من مسافات بعيدة طالبين وساطته لديه.

الاضطرابات في السنوات الختامية :

كانت سنو حياة القديس الأخيرة مظلمة – ليس فقط بالمرض – ولكن أيـضاً بوفـاة بعض أصدقائه وخلفائه الأساسيين. ففي سنة ٣٧٣ انتقل القديس أثناسيوس الرسولي. وفي

---

(11) Theod, iv. ' Socr. iv ' Soz. iv.' Greg. Or. 20.

(12) Theod, iv ' Ephr. Svr u.s.p. 65.

سنة ٣٧٤ انتقل الشيخ الوقور غريغوريوس أسقف نيزينزا، ونُفي أوسابيوس الساموساطي.

ورفع الأريوسيين رؤوسهم ثانية. عقدوا مجمعاً في أنقره أدانوا فيه أصحاب عقيدة المساواة في الجوهر! واتخذوا إجراءات كيدية ضد القديس غريغوريوس أسقف نيصص، كان الغرض منها جرح باسيليوس في شخص أخيه، وانتهوا إلى عقد المجمع في نيصص ذاتها حكم بإدانة غريغوريوس وعزله، ونُفي بعد ذلك بوقت ليس بطويل.

نياحة القديس :

لم يعد جسمه قادراً على تحمل الأعباء، فقد مزقه العمل المتواصل والمرض وكانت توجد في كبده حالة مزمنة كانت مثار ألمه وشكواه دائماً كما كانت قسوة الشتاء تحجـزه أحياناً كثيرة كسجين في منزله. بل وفي حجرته (Ep. 27).

في سن الخامسة والأربعين دعا نفسه عجوزاً. وفي السنة التي تلتهـا خلـع كـل أسنانه. وفي شتاء سنة ٣٧٨ اقترب إلى الموت. وانتشر النبأ، ووصـل الأسـاقفة إلـى قيصرية. كان يعالج بحمامات ماء ساخن، ولكن فائدتها كانت ضئيلة. وأخيراً لم يعد العقل الجبار، ولا الحماس الملتهب نحو الواجب قادراً على تحريك طاقات ذلك الهيكل الضعيف. وأحاطت الجموع بالمكان الذي كان يرقد فيه، لتصلي بحماسة لكي يبقى معهـم. وكـانوا مستعدين أن يعطوا حياتهم لأجله.

وفي يوم أول يناير سنة ٣٧٩ سمع يخاطب الله قائلاً: " بين يديك استودع روحي ". وللحال انطلق الروح العظيم ... وكانت جنازته مشهداً لمشاعر القلوب الجياشة والوقـار الذي يذهل العقل. شغلت الجموع كل فسحة، وكل دهليز، وكل نافذة، واشترك الوثنيـون واليهود مع المسيحيين في تشييعه وغطت أصوات البكاء والعويل موسيقى التراتيل الدينية. ودفن القديس في قيصرية، وانضم إلى آبائه.

صفاته :

❖ من أبرز صفات القديس باسيليوس " **المحبة** "، المحبة في شتى صـورها للـه والكنيسة وللآخرين ... كتب مرة إلى أسقف صديق يقول: " إننا نشعر بجوع متزايد نحو الحب ... إننا في حاجة إلى إخوة أكثر مما تحتاج يد إلى أخرى " وكان استلامه رسـالة من صديق بمثابة " الماء الجواد السباق المتعب " كما عبر هو عن ذلك. ويقول في إحدى رسائله " إن الشخص الذي يفكر في نبذ صديق، عليه أن يفكر طويلاً، وبمضي الليالي قلقاً بدون نوم، يطلب إلى الله بدموع أن يرشده إلى الحق " (Ep. 223).

وعلى ضوء هذه المحبة، يمكننا أن ندرك مقدار الحزن الذي سببته حالة الكنيسة في أيامه إلى روحه المملوءة حباً وتقوى. وقد كان قصده - بالإضافة إلى رد الكنيسة إلى المعتقد القويم - أن يسود عليها روح المحبة نتيجة لوحدتها. وقد أثر مسلك الكثيرين الخاطئ على صحته.

❖ أما **عطفه على الفقراء والمرضى** فكان عظيماً. لقد عاش فقيراً باختياره متشبهاً بسيده، ومن ثم أحب الفقراء وكان يشكو المرض معظم وقته، ولـذا أحـب المرضـى، وعطف عليهم، وليس أدل على ذلك من مستشفاه العظيم الذي أسسه بجـوار قيـصرية، والذي عرف باسم باسيلياد وكانت تبذل فيها عناية خاصة بالمجزومين الذين حرموا مـن العناية في كل تلك الأصقاع، والذين لم يأنف من تقبيلهم أحياناً إظهاراً لحنانه عليهم.

❖ أما عن " **زهده وتقشفه** " فعلى الرغم من مرضه الطويل ومن عمله المـضني، لم يكن يتناول غير وجبة واحدة في اليوم من الخضراوات والخبز والماء.

❖ ولعل من أبرز صفاته أيضاً " **شجاعته** " النادرة، وقد عرضنا فيما سبق لوقفاته المشرفة أمام الإمبراطور الأريوسي فالنز وحاشيته، وسبقتها وقفات أيضاً ضد الإمبراطور يوليانوس المرتد وكيف كرس وقته في وحدته لتصنيف الكتب ضده. عرف الناس فيه هذه الصفة، فلجأوا إليه واحتموا به من الحكام.

❖ وهناك ناحية متميزة في طبيعته الفكرية وهى: **حرصه على إتمام كـل شـيء**. كان عدواً بطبيعته لأي شيء غير مكمل. وهذا الحب الشديد للكمال هو السر فيما خلف لنا من تصانيف.

❖ وقد تميز أيضاً **بالفصاحة** سواء كخطيب منبري أو كاتب بليغ. كان يتابع الفكرة بكل قوة العاطفة السامية، وسحر البيان، واقتناع المختبر، وفي يسر هائل. وحين كان يعظ كانت كلماته ذات تأثير عجيب. وقد أقر بفصاحته محكمون أكفاء، ورفعوا منزلته أكثر من خطباء اليونان المشهورين.

باسيليوس والكتاب المقدس :

على الرغم من أنه تأثر بالعلامة أوريجانوس أكثر من أي معلم آخر، إلا أنـه لـم يتبع الطريقة الرمزية في التفسير، تلك التي كان أوريجانوس أستاذاً لها. أما طريقته فكانت الفهم الحرفي للكلمات. والمواضع التي استخدم فيها التفسير الرمزي نادرة مـن أمثلتهـا **(مز ٢٩ ، ٦)**، حيث فسر " وحيد القرن " بأنه يرمز إلى الرب يسوع المسيح الوحيد في طبيعته والواحد مع أبيه. وكان القديس باسيليوس يمضي أوقاتاً طويلة في دراسة الأسفار المقدسة ويدعو المسيحيين إلى الإكثار من قراءة الكتاب المقدس وخاصة العهد الجديد.

نشاطه الرعوي :

كان تحت رئاسته خمسون أسقفاً [١٣]. وعلى الرغم من صحته المعتلة، ومـشاغله الكثيرة وكفاحه المتواصل، وتصانيفه العديدة، كان دائب النشاط فـي افتقـاد إيبارشـيته وتوابعها. وقد كشفت زياراته الافتقادية عدداً من المخالفات الكنـسية والأوضـاع غيـر القانونية. وحتى ما يعالج هذه المشاكل من أساسها، جعل ذاته – بقدر إمكانه – المـسيطر على الانتخابات الأسقفية، ورفض بحزم أن يسيم أي شخص غير جـدير بهـذه الرتبـة

---

(13) Schaff: vol. 3. p . 900.

السامية. فطارت شهرة معاونيه حتى أن الأساقفة الآخرين أرسلوا يطلبـون منـه رعـاة ليكونوا مساعدين لهم (Ep. 81). وقد حافظ على الاتصال المـستمر بكـل مرؤسـيه ومعاونيه وأصدقائه الخصوصيين عن طريق الرسائل، وكان هؤلاء على أتم استعداد لتنفيذ كل تعليماته. وقد مد نشاطه الرعوي إلى حدود أرمينيا. أما نشاطه في الوعظ فكان عظيماً جداً، ليس في قيصرية والمدن الكبيرة فحسب، بل حتى في قرى الأقاليم.

باسيليوس في نظر معاصريه :

كان القديس باسيليوس - باستثناء البابا أثناسيوس الرسولي – أقـوى مـن أي مـن معاصريه الذين شغلوا مناصب في الكنيسة. وقد طارت شهرته إلى ما بين النهرين حيث كان مار افرآم السرياني فاشتاق ذاك أن يراه. وفيما هو كذلك رأى يوماً عاموداً من نور وسمع صوتاً يقول: " هذا هو باسيليوس الكبادوكي ". فازداد شوقه إلى رؤيتـه والتبـرك منه، فقام وذهب إلى قيصرية ودخل الكنيسة يوم الأحد، وكان القديس باسـيليوس يقـوم بخدمة القداس الإلهي. وفي أثناء العظة شاهد كلمات القديس خارجة من فمه وكأنها ألسنة نارية صغيرة تستقر في قلوب السامعين. وفي أثناء القداس رأى فمه كأنه ملتهب ناراً، كما أبصر حمامة جالسة على منكبه اليمين. أما القديس باسـيليوس فعلـم بـالروح بوجـود مار افرآم في الكنيسة فأرسل إليه شماساً واستدعاه وتبارك كل من الآخر.

وقد مدحه آباء كثيرون، منهم ثيئودوريت الذي قال عنه أنه " القديس العالم، نـور العالم وليس كبادوكيا وحدها، وصفرونيوس الذي وصفه بأنه مجد الكنيسة وتكلـم عنـه إيسيذوروس الفرمي كإنسان موحى إليه من الله. أما صـديقه غريغوريـوس النزينـزي (الثيئولوغوس) فقد أفرد له مديحاً طويلاً جاء فيه " ... لقد ناظر بطرس فـي غيرتـه، وقوة بولس وإيمانه والنطق السامي الذي لابني زيدي، واعتدال وبساطة جميـع الرسـل. ولذا فقد أؤتمن أيضاً على مفاتيح الملكوت ... وهو لم يدع – لكنه أصبح – ابـن الرعـد، وإذ اتكأ في حضن يسوع، جذب من هناك قوة كلمته وعمق أفكاره. وفي فضائله المتعددة الجوانب فاق كل رجال عصرنا ... ".

كتابات باسيليوس :

أولاً : العقيدية :

أ - ضد يونوميدس : وهى خمس كتب مدحها القديسان جيروم وغريغوريوس النزينزي.

ب - عن الروح القدس : في ٣٠ فصلاً مرسلة إلى امفلوخيوس حسب طلبه.

ثانياً : التفسيرية :

أ - الاكسيماروس Hexameron : وهو من أشهر كتبه، ويشمل ٩ مقالات كانت عبارة عن عظات عن ستة أيام الخليقة.

ب - ١٧ مقالة عن المزامير: الأول عن المزامير عامة ترجمها روفينوس إلى اللاتينية، والباقية التي وصلت إلينا عن المزامير: ١، ٧ ، ١٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ١١٤.

ج - تفسير الـ ١٦ إصحاحاً الأولى من سفر إشعياء.

ثالثاً : المقالات :

وتشمل ٢٤ مقالة في موضوعات عقيدية، وأدبية ومديح.

رابعاً : الرسائل :

وتشمل حوالي ٤٠٠ رسالة في موضوعات تاريخية، عقيدية، أدبية، تعليمية، تفسيرية، قانونية، ورسائل للتعزية، وأخرى عادية.

خامساً : الليتورجية (صلاة القداس) :

توجد ٣ ليتورجيات تحمل اسم القديس باسيليوس، أحدها هى الليتورجية المستعملة في كنيستنا.

سادساً : النسكيات :

نكتفي بما ورد عنها في مقدمة النسكيات في الصفحات المقبلة.

فاضي

الجزء الأول
من
نسكيات القديس
باسيليوس

مقدمـة

أسس باسيليوس أديرة، ووضع لها أنظمة، وكتب كثيراً في النسكيات. وأصح مـا ثبتت نسبته إليه هو الكتب الآتية:

أ - القوانين الطوال والقصار (أو الشائعة والمختصرة) وتنشر أحياناً في كتـابين. وهى أساس هذين الكتابين من نسكياته. أما الترقيم الموضوع في الكتابين اللذين ننشرهما الآن فهو من عندنا، وضعناه لتسهيل القراءة. ولكن لا يوجد في المخطوطات التي أخـذنا عنها ترقيم على الإطلاق وهناك ترقيم مغاير في المجموعات التي ترجمها الأجانب عـن اليونانية أو اللاتينية.

ب – مقالتان عن دينونة الله، والإيمان. وقد نشرناهما أيضاً في مـستهل الكتـاب الثاني حسب ترتيب وجودهما في المخطوطات العربية.

ج – كتابه المسمى Moralia (الأدبيات أو الأخلاق). ويشمل ٨٠ قاعدة للحيـاة، تكاد تكون عناوين فقط معينة تتبعها شواهد آيات كثيرة. ويرجح أنه كتبها سنة ٣٦١م في الأيام المبكرة للبدعة الأنومية

وهذا الجزء من نسكياته لم ينشر في هذا الكتاب لأنه لم يوجد في المخطوطات التي قمنا بنشرها

وقد اعتمدنا في هذا العمل على مخطوطات بـأديرة الـسريان والأنبـا بيـشوي والبرموس، مع المقارنة أحياناً بما ورد في الترجمات الأجنبية وخاصة:

Clarke: The Ascetic Works of St. Basil.

ولاحظنا أن مخطوطتنا تطابق في كثير من المواضع الترجمة الأجنبية، وفي بعض

المواضع تكون مختصرة عنها قليلاً، ولكن الروح واحد والمعنى واحد.

حيـاة التـأمـل

****

من مقدمة الخطاب :

... وإن كنا لا نستطيع أن نقول كلاماً فيه كفاية الموضوع لنا، لكن لـئلا نـسكت فنصير بإخفاء ما قد صار إلى مسكنتنا بمنزلة من يخبئ شيئاً في الأرض، وخوفـاً مـن أن نقع في الحكم الذي وقع فيه صاحب الوزنة نقول مستعينين باللـه جـل وعـز أظـن يا حبيبي ...

الهرب من الزواج[١٤] :

أظن يا حبيبي إن أكثر الاهتمام الذي يكون للناس في الشهوات العالمية ولذات هذا الدهر يكون من الزواج. لأنك لا تجد شهوة في العالم ثابتة في طبيعة الإنسان مثل شـهوة المرأة للرجل والرجل للمرأة. وقد جعل الله هذا في طبيعة الحيوان للتناسل، لأن التناسـل ضروري في سيرة العالم وموافق لها جداً.

وإذ هذه الشهوات هى الغالبة على شهوات هذا العالم، فالاهتمام لها يكـون أكثـر وأقوى من الاهتمام لغيرها، ولهذا قال الرسول إن الذي لـه زوجـة يهـتم بمـا للعـالم (١كو ٧ : ٣٢ ، ٣٣). أما الذي هو وحده فاهتمامه [٥١] يسير، لأنه يهتم بخاصية جـسده

---

[١٤] هذا الكلام ليس موجهاً للشخص العادي، وإنما لمن يريد أن يكرس ذاته لخدمة الله. فالزواج رغماً عن أنه مبارك ومقدس إلا أنه يعطل الذين يريدون التفرغ للخدمة كما قال بولس الرسول.

[١٥] يقصد ما يكون مهموماً أو مهتماً به أي ما يشغله أو يعطله عن العبادة.

وحده، وربما أحتقر هذا الاهتمام الآخر لأجل وحدته. وأما الذي يهتم بزوجته وأولاده فأنه لا يقدر أن يملك ذاته دفعة أخرى كإرادته ورأيه، إذ يلزمه الاهتمام بجميع ما تريده المرأة والأولاد، وهذا متسع.

حياة التأمل ...

فالذي يؤثر أن يكون معتوقاً من رباط هذا العالم، فليهرب من الزيجة مثـل مـن يهرب من الأسر والقيود الثقيلة. وعندما يهرب يدفع نفسه لله، ويصير كمحرم لله، حتـى لا يمكنه فيما بعد أن يرجع في ما قرره ويعود إلى العالم؛ بل يصعد ذاته بكل نـوع فـي مجاهدة الخطية. وعندما يصير هكذا محباً لله، مؤثراً بقدر قوتـه أن يتمـسك بالطهـارة الروحانية والهدوء والدعة، ويشتهي أن يذوق السرور الذي ينتج من هذه الأمور، ويجتهد أن يفصل أفكاره ويبعدها عن كل ما يخبط النفس، ويفتش في الأعمال المملوءة مجداً التي لله بعينين نفسانيتين نقيتين من الضلال، فحينئذ يأكل بغير شبع من ذلك المجد.

وعندما يجاهد الإنسان لكي تكون نفسه في هذه الرتبة، فهو يكون متـشبهاً باللـه وملتصقاً به حسب الإمكان في طبيعة الإنسان، ويصير محبوباً من الله، حتى أنه يدفع ذاته في جهاد عسر كمن قد فرق بين خواطره وأفكار الجسد وعتق ذاته مـن الآلام وخلطـة العالم، حتى ينظر الله بعين نفسه النقية، ويصير كمن يتكلم معه في التاؤريا.

فيجب على الإنسان أن يجاهد حتى يـستوجب أن يـصعد إلـى علـو الفـضيلة، ولا ينسرق دفعة أخرى وينحدر إلى الحركات الجسدية والأوجاع العالمية، ولا يقبل الدخان الذي يصعد من آلام الجسد، لئلا يسقط من النظر الروحاني الذي هو الامتزاج بأمور الله وأعماله المملوءة مجداً.

في التشبه بالرب يسوع :

كل الأعمال يا حبيبي، وكل الأقوال التي لربنا يسوع المسيح هى قـوانين للعبـادة والفضيلة. فلهذا [٦١] صار الله إنساناً لكي بذاته يضع لنا صورة العبادة والفضيلة، ويعلمنا ذلك بالفعل وبالقول. فيتشبه به كل واحد منا حسب الاستطاعة البشرية.

فإذا سمعت يا حبيبي كلمة قالها ربنا أو عملاً عمله، فافحص جيداً، وكن مـشاركاً للأعمال.

أيهما تختار : عمل مريم أم مرثا ؟

تأمل ما أقول: مرثا قبلت الرب، ومريم جلست عند قدميه تسمع كلامه. فنـشاطهما كلاهما جيد. لكن ينبغي أن نميز عمل الواحدة عن عمل الأخرى ونفهم ما قيل فيه. مرثـا خدمت بنشاط حاجة الجسد لنضع أمام الرب، وأما مريم فجلست عند قدميه تسمع كلامـه ... سألته مرثا أن يترك أختها تساعدها في خدمتها وتعبها، فقال لها الرب: مرثـا إنـكِ مهتمة من أجل كثير، والذي الحاجة إليه يسير، ومريم اختارت لها نصيباً صالحاً لا ينزع منها **(لو ١٠ : ٤١ ، ٤٢)**، فكأنه قال لها لم آتِ لكي انيح البطن، بل أتيت لأغذيكم بكلام الحق. فمدح عزم مريم، ولم يمنع مرثا من خدمتها. فعمل مرثا ليس بمطروح ولكن عمل مريم أفضل منه لأنها رفعت عقلها إلى الأمر الأفضل.

فافهم هذا المعنى روحياً يا حبيبي: فإن كنت تريد أن تخدم الناس من أجل المـسيح فاصنع هذا فهو جيد مقبول عند الله لأنه قد قـال بفمـه: **" الحقَّ أقولُ لكُم: بما أنَّكُم فَعَلْتُموهُ بأحَدِ إخوتِي هؤلاءِ الأصاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ " (مت ٢٥ : ٤٠)**. وإن كنت تريـد أن تغير على عمل مريم [٧١] التي تركت خدمة الجسد وصـعدت بفكرهـا إلـى التعلـيم الروحاني فامش كاستحقاق العمل، واظهر قريحة مستقيمة في الله، واترك الأمور الظاهرة

---

[١٦] المقصود أن هذا هو أحد أسباب التجسد، أما السبب الأساسي فهو الفداء بلا شك.

[١٧] أي إذا ملكتك الغيرة نحو هذا العمل.

المختصة بجسدك وبالعالم من نياح المآكل وغير ذلك، واجلس عند قدمي الـرب واسـمع كلامه، لتكون مشاركاً لسرائر اللاهوت. فإن النظر في تعليم الرب عظيم هو، أرفع مـن كل خدمة الجسد. وإن قدرت أن تغير على العملين فأنت تقتني أجرهما والطـوبى التـي لهما. وإلا فاختار الأفضل وهو الروحاني الذي قال عنه إنه النصيب الصالح.

كيـف نصلي ...

✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤

كيف تقف أمام اللَّه؟ ماذا تقول؟

ما الذي تطلبه؟ كيف تتدرج في الطلبة؟

ماذا تفعل إذا لم تنل ما تطلبه؟ أو إذا سألت دفعات كثيرة ولم تأخذ شيئاً؟

طياشة الأفكار في الصلاة: ما هو علاجها؟ وما مدى المسئولية فيها؟

هل تعترف بأنك خاطئ إذا كانت سريرتك لا تبكتك على شيء؟

ما الحاجة إلى الصلاة واللَّه يعرف ما تحتاج إليه؟

كل هذه أسئلة يجيب عنها القديس باسيليوس الكبير كما يورد لنا أمثلة للصلاة المقبولة الصحيحة ...

✠

وإذا ما أتيت لتُصلي فانظر لئلا تطلب أموراً بدلا من أمور فتغضب الرب. فتحرز من أن تؤثر غنى أو رئاسة أو مجداً عند الناس. وبالجملة **لا تطلب شيئاً زائلاً**. لكن اطلب ملكوت الله، وهو يعطيك حاجة الجسد حينئذ من غير طلب كما قال، فإن هذا هو المطلوب الثابت الذي لا ينزع ممن يختاره.

✠ ✠ ✠

وينبغي أن نبتدئ أولاً بتمجيد الله، وبتسابيح وهذيذ. وفي الثاني نسأل مـا نريـده كمرضاة الله. **ولا تفتتح الصلاة بالطلب لئلا يظهر أن الحاجة هى التـي ألجأتـك إلـى الصلاة ولولاها لما صليت.**

✣ ✣ ✣

وعندما تبتدئ بالصلاة **اترك ذكر كل ما على الأرض،** وارفع عقلك إلـى الـسماء. اترك كل الخليقة ما يرى منها وما لا يرى، إذ تبتدئ أن تمجد وتخاطب خالق كل شيء.

✣ ✣ ✣

وأخيراً القول اللائق بالكتب المقدسة، وقل هكذا:

أباركك أيها الرب الرحوم الطويل الروح، لأنك تأنيت علي وأنا أخطئ كل يـوم، وأعطيتنا جميعنا سلطاناً أن نتوب. من أجل هذا احتملتنا يارب، لكي نباركـك ونمجـدك يا مدبر خلاص جنس البشر بما تصنعه لهم. فلذلك دفعات تجلـب الأحـزان والأتعـاب والمخاوف، ودفعات بتعاليمك المحيية تعلمنا، ودفعات تبكتنا من جهة الأنبياء، وفي الآخر افتقدتنا بظهور ابنك الوحيد ربنا يسوع المسيح. أنت الذي خلقتنا. أنت إلهنا وأبونا.

✣ ✣ ✣

فإذا مجدته بتسابيح من الكتب كما تقدر فحينئذ تبتدئ بتواضع قائلاً:

" أنا لا استحق يارب أن أفتح فمي أمامك لأني خاطئ جداً " قُـل هكـذا **ولـو أن سريرتك لا تبكتك على شيء من الشر.** لأن ليس من هو بلا خطية إلا الله. ولأننا نخطئ دفعات كثيرة وتنساها قلوبنا. ولهذا قال الرسول: " إني لا أعرف شيئاً صنعته ولكن ولا أنا أبرر بهذا ". يعني " إني أُخطئ ولا أعلم " ولذلك قال أيضاً " من الذي يفهم الزلات؟ ".

فإذن لست تكذب إذا ما أقررت بأنك خاطئ. ولكن عندما تقول إني لـست خاطئـاً تكون قد أخطأت. لأنه قال: " بالتواضع ارفعوا بعضكم بعضاً ". وقال في موضع آخـر: **" مَتَى فَعَلْتُم كل ما أُمِرتُم بهِ فقولوا: إنَّنا عبيد بَطَّالون "** (لو ١٧ : ١٠).

✣ ✣ ✣

وإذا ما قلت كلاماً فقله بتواضع هكذا :

" أشكرك يارب لأنك طولت روحك على خطاياي، وأمهلتني بغير عقوبة إلى الآن وأنا مستحق كل عذاب عوضاً عن خطاياي. ومن أجل تأنيك أشكرك أيها الرب الرحوم. وإن كنت أنا الحقير لا أقدر على الشكر المستوجب لعظمة احتمالك، فاقبل طلبتي الحقيرة بعظم محبتك التي لا حد لها.

فإذا أكملت نوعي الصلاة، أعني تمجيد الله والاعتراف له بفكر متضع، حينئذ اسأل **ما ينبغي أن تسأله**: لا مجداً أرضياً، ولا عافية جسدك، فإنه عارف بما ينفع كل واحـد، إما أن يبقى صحيحاً وإما أن يبقى مريضاً، بل أطلب ملكوته فقط كما أمرك. لأنه عظـيم جداً فلا تطلب منه أشياء حقيرة فتغضبه.

وإذا ما سألت منه ما يليق بجلاله **فلا تبتعد حتى تناله** لأنه هكـذا عملنـا بمثـال الصديق الذي قال في آخره " أقول لكم إنه إن لم يقم ويعطهِ من أجل الصداقة، فمن أجـل اللجاجة يقوم ويعطيه. فرمز لنا أن نكون أقوياء في الإيمان، وصابرين ملازمين الطلـب منه، حتى ننال حاجتنا.

✣ ✣ ✣

فإذا لم تنل طلبك عاجلاً فلا تضجر. ولا تبتعد حتى تنال حاجتك أخيراً. ولا تقـل إني خاطئ فتيأس من أن يعطيك طلبك إذا آمنت وثبت في سؤاله. فلذلك قـال: إن كـان لا يعطيه من أجل الصداقة لكن من أجل اللجاجة يقوم ويعطيه حاجته.

ولو جاز شهر يا حبيب ولم تنل حاجتك، أو جازت سنة أو سنتان أو ثلاث أو أربع أو أكثر فلا تبعد نفسك حتى تنال طلبك.

✣ ✣ ✣

لكن اطلب بإيمان واعمل الخير كل حين ... فإن الإنسان إذا أسلم نفسه للشهوات بانحلاله، ودفع ذاته وحده لأعدائه الشياطين، فلا يعينه الله ولا يسمع منه. والذي يريـد أن يعان من الله فلا يدفع ذاته وحده لأعدائه. فيجب علينا ألا ندع سريرتنا تلومنا في شيء من الأمور.

✣ ✣ ✣

ومع هذا نصرخ نحو معونة الله باجتهاد وثبات عقل. **لأن الذي عقله طائش ههنا وههنا ليس أنه ما يأخذ مسألته فقط، بل ويجاب عليه غضب الله.** لأنه إذا كان أحد قائماً قدام سلطان يخاطبه فإنه يقف بخوف ولا يدع عقله طائشاً ههنا وههنا، وأيضاً عيني جسده لا يدعهما تنظران إلى جهة أُخرى، بل يقف ناظراً إليه ببصره وبصيرته، باحتراس وخوف. فكم بالأفضل يجب لنا أن نقف قدام الله بخوف ورعدة، ونضبط عقلنا في النظر إليه دائماً. لأن الله ما ينظر إلى الإنسان البراني مثلما ينظر إلى الإنسان الجواني. بل يفحص القلوب والكلى كما هو مكتوب.

وإذا وقفت قدام الله هكذا كما ينبغي، عاملاً جميع ما ينبغي باجتهاد، فلا تبعد حتى تنال طلبك.

✣ ✣ ✣

احذر أن تقف قدام الله وسريرتك تبكتك على أنك قد فكرت في ما لا ينبغي، ولم تجتهد بقدر طاقتك على ضبط فكرك وأنت تقدر. فاجتهد لئلا تصير صلاتك خطية.

وإن كنت بسريرتك لا تقدر أن تصلي بغير طياشة عقل، فاغصب نفسك حسب طاقتك في أن تجمع عقلك في الصلاة. والله يغفر لك من أجل أنك لم تتوان بتهاون واحتقار، بل من أجل ضعفك لم تقدر أن تقف قدام الله كما ينبغي.

✣ ✣ ✣

وإذا ما غصبت ذاتك هكذا حسب قدرتك واجتهادك فلا تمل حتى تنال طلبك. لأنه قد قال: " منْ يقرع يفتح له ". وطلبك منه أيها الحبيب فليكن خلاصك فقط.

وتأمل طول روح القديسين :

إبراهيم أبونا دعاه الله وهو صبي ونقله من أرض السريان إلى فلسطين ووعده قائلاً: " إني أُعطيك هذه الأرض ولزرعك من بعدك، وأجعل زرعك مثل نجوم السماء التي ليس لها عدد " ... وطول الله روحه حتى عبرت أزمنة كثيرة، وشاخ إبراهيم، وصارت طبيعته كالميتة، وقربت أيام موته. ولم يقل: يارب وعدتني بالأولاد، وإنني

أصير أباً لأمم كثيرة، وهوذا قد شخت وماتت حركات الطبيعة مني ومن زوجتي من جهة الكبر. ولا فكر ذلك الصديق في هذا. لكنه ثبت غير متزعزع في الإيمان. فقـوة الجـسد ضعفت، ورجاء الوعد لم يضعف. لأن الذي وعد هو رب الطبيعة وهو الذي لا يمكن أن يكون شيء خلافاً لقوله، وهو الذي يقدر على الأمور التي لا تستطاع.

فخذ لك يا حبيب مثال أبينا إبراهيم. فأما نحن المساكين فإذا صلينا سنة واحدة مـن أجل شيء نمل بعد ذلك ونكف! وإن صمنا سنتين من أجل تقويم العفة أو غير ذلك فإننـا نسترخي بعدهما ونرجع إلى خلف! فلا نمل يا أحبائي، بل لنثبت في الإيمـان والـسؤال والخير بغاية الاجتهاد، إلى أن تنال الوعد. فإن الذي وعد أبانا إبراهيم في ذلـك الزمـان وعدنا نحن أيضاً من قبل الأمثال الواردة في الإنجيل المقدس أنه يعطينا مسألتنا إذا نحـن سألناه بصبر. وقد قال. تعالوا إلي يا جميع التعبين الثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. فها هـو يدعونا حتى نقبل إليه فيريحنا من ثقل الخطية.

✣ ✣ ✣

ونحن **نقول إننا مصدقون أنه يعطينا مسألتنا، ونيتنا تبكتنا بأننا غير مصدقين**، إذ نحن نتوانى في أن نحمل نيره الحلو الخفيف وفي أن ندخل من الباب الضيق إلى ملكوت السموات، وهكذا نختار أن نحمل أحمال الخطية الثقيلة ونمشي فـي الطريـق الواسـع، بالشهوات واللذات المؤدية إلى الهلاك.

✣ ✣ ✣

ولعلك تقول: **قد سألتُ دفعات كثيرة ولم آخذ شيئاً**. فأقول: حقاً قد سألت. لكن قـد تكون إنما سألت بيأس السؤال، أو سألت بغير أمانة، أو كانت أفكارك طائشة ههنا وههنا، أو يكون الذي سألته غير نافع لك، أو لم تدم في المسألة كما ينبغي وقد كُتب: **" بصَبرِكُم اقْتَنُوا أنفُسكُم "** (لو ٢١ : ١٩)، وأيضاً " منْ يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص ". فـاعلم أيها الأخ أن الله ينظر إلى كيفية قلوب الذين يصلون له.

✣ ✣ ✣

ولعلك تقول: هل الله محتاج إلى صلاتنا، أم هو لا يعرف ما نحتاج إليـه؟! وإن

كان هو يعرف فما الحاجة إلى المسألة؟!

فأقول إن الله يعرف جميع ما نحتاجه، وهو يعطينا جميع الخيرات الجسدانية، ومن أجل صلاحه ومحبته للبشر يطيل روحه على الصديقين والخطاة معاً، ويشرق شمسه على الصالحين والطالحين جميعاً قبل أن نسأله.

أما الإيمان واستقامة الفضيلة وملكوت السموات فلا ينالها الإنسان إلا بالطلبة والمشقة والصبر، لأنه يجب على الإنسان أن يحب الخير، فإذا ما أحبه يطلبه بحق وأمانة وصبر، ويعمل جميع الأمور التي يليق عملها باجتهاد، ولا يدع سريرته تبكته في شيء، وحينئذ ينال طلبته في الوقت الذي يريده الرب. لأنه يعرف خيرنا أكثر منا. ولعل الرب من أجل هذا يعمل بحكمته آخر الأمر لربحنا.

✣ ✣ ✣

لكن يجب أن نكون ملازمين للطلبة منه، **لكي نعلم من جهة الأتعاب التي نحتملها قدر موهبة الله التي أنعم به علينا**، ونحفظها بخوف واجتهاد. فإن الذي يقتنيه الإنسان بتعب كثير يجتهد في حفظه.

فلا يصغر قلبك أيها الأخ إذا لم تنل مسألتك، فإن ربنا الصالح لو علم أنك لا تفسد النعمة إذا أعطاها لك سريعاً بدون تعب ولا طلب، لأعطاك قبل أن تسأله. فهو يصنع هذا مهتماً بك كما ينبغي.

✣ ✣ ✣

وإذا كان الذي أخذ الوزنة وحفظها سالمة كما أخذها ألقي إلى الحكم لأنه لم يعمل بها ويربح، فالذي يفسد النعمة التي تعطى له أي حكم يستحق أن يطرح فيه؟!

وإذ قد عرفنا هذا يا حبيب، فإن أخذنا مسألتنا سريعاً فلنحفظ النعمة ونشكر عليها. فإن تأخر علينا الأمر، فلنلبث شاكرين الرب وقلبنا طيب عالمين أن جميع ما يصنعه هو من أجل خلاصنا بتدبيره الذي لا ندركه. فلا تصغر قلوبنا ولا تنحل وتمل من الطلبة. ومن أجل هذا وضع لنا مثل الأرملة المجتهدة في السؤال. **وبهذا تظهر قوة عزمنا وأمانتنا في الله، إذا لم ننل مسألتنا بسرعة وثبتنا شاكرين**. فلنشكر ربنا كل حين

لنستحق خيراته الدائمة، له المجد إلى أبد الآبدين. آمين.

في حراسة الأفكار

✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤

ما هى العلاقة بين النفس والعقل؟ وبين النفس والجسد؟

الدرجات الروحية العالية التي يصل إليها الإنسان إذا صار العقل والجسد في الوضع الطبيعي.

كيف ينشأ الانحراف؟

القوتان اللتان للنفس، وعمل وطبيعة كل منهما، ولمنْ تكون القيادة للسير في النهج القويم ..

ليس الجسد هو علة الشر كما يعتقد قوم ...

كيف تروض النفس حركات الجسد.

كل هذا يشرحه القديس باسيليوس الكبير في هذا الباب، عاملاً على تبسيطه بعرض مثال مفهوم.

✝

قبل كل شيء ينبغي لنا أن نضبط الأفكار بكل وسيلة، ونتيقظ ونحترس ونتأمل قلوبنا بكل ثبات، لئلا نسمح لنفوسنا فلا نلجمها عن الميلان إلى آلام الجسد بحركات غير جيدة.

النفس والعقل :

نور الجسد هو العين، وبصيرة النفس هى العقل المخلوق فيها بالطبع ولست أقـول أن العقل هو غير النفس كأنهما منفصلان أحدهما عن الآخر. كلا، بـل أن الـنفس هـى والعقل مرتبطان باتحاد. لأن العقل هو قوة طبيعية للنفس. وهو أحشاؤها: خُلـق معهـا، وليس هو غريباً عليها، ولا دخَل إليها بعد زمان.

الوضع الطبيعي الصالح :

فإذا ما تحركت النفس إلى معقولها الذي هو العقل (هذا الذي جعله الثالوث المقدس خالق كل شيءٍ مغروساً فيها منذ جبلها)، وفكر العقل فيما ينبغي ويليق بالله، حينئذ تصير النفس مخلصة، وتهرب من جميع استعمالات الآلام.

وعندما تسبق النفس فتنظر حركات الجسد وتضبطها، حينئذ تكون فـي هـدوء وورع يليقان بها. فإذا ما صارت في المناظر الفاضلة - كطبيعتها – فإنها تبقى متفكرة في جميع أعمال الله ومجده بخوف وهدوء، من غير قلق. بل دفعات تجدها داهشة، نـاظرة قدامها إلى الثالوث، تتفكر في مجد اللاهوت الذي لا يدرك من أجل عظمة نوره. وتبقـى متفكرة في ذلك النور الطوباني والحكمة التي ليس انتهاء وعدم الاضطراب.

فإذا ما حفظت النفس عقلها متيقظاً – كطبعها –، وتفكرت فيما ينبغي فلابد للعقـل أن يكون في تأوريه الأعمال الممجدة وكل ما هو للسلام.

مصدر الأوجاع :

فإذا مات النفس، ولم تفكر في ما ينبغي، ولم تنظر بنظر نقي، فحينئذ تقوم عليها آلام الجسد كالكلاب، وتهر على الذي هو لها وتبتدئ أن تشقه، وكـل واحـد مـن هـذه الأوجاع يجتذب النفس إلى ما يريد.

القوتان اللتان للنفسي :

لأني أقول - كما أظن - إن قُوى النفس اثنتان، وإن كانت الـنفس واحـدة: إحـدى القوتين متصلة بالجسد حتى يعيش بها (يقصد الحياة التـي تعطيهـا الـنفس للجـسد) والأُخرى هى التي تنظر جميع الأشياء، هذه التي تُدعى النطقية (يقصد القوة العاقلـة أو العقل)، وهى التي تفكر في الأمور الممجدة.

لكن إحدى القوتين، وهى التي منها يعيش الجسد (أي الحياة) لا تعطيهـا الـنفس للجسد بهمتها (أي باختيارها)، بل هى فيه كطبيعة منذ خلقه. لأن الله منذ البداية صـير الإنسان واحداً من النفس والجسد معاً. فكما أن الشمس لا يمكن أبداً أن لا تُـضيء علـى الموضع الذي تشرق عليه، كذلك لا يمكن أن لا تعطـي الـنفس الحيـاة للجـسد الـذي تسكن فيه.

والقوة الثانية التي للنفس (أي القوة العاقلة) هى التي خلقها الله فيها لتنظر وتفكر كل حين من ذاتها في الأعمال المملوءة مجداً. وجعل لها حركة في ذاتها من جهة سلطان الهمة (أي أن هذا لها بالاختيار وليس بالطبيعة) [١٨].

لمن تكون القيادة؟

فإذا ما حفظَت النفس الجزء الناظر المفكر الحارس كل حين، حينئـذ تجعـل آلام الجسد تهتدي عن طريقين: الأول بأن تتفرغ النفس إلى طلب المناظر الفاضلة المنـسوبة (أو المناسبة) لطبعها، والآخر بأن تميز قلق الجسد، وترده إلى ما هو أفضل.

فإذا ما كسلت النفس، وتركت الجزء الناظر (أي العقل) غير متحرك بفكره إلـى ما يليق بطبعه، فإن آلام الجسد تجد جزء النفس الآخر الذي قلت أن الجسد يعيش به فارغاً بطالاً، فتقسمه عليها كخبثها، إذ ليس من يترأس عليها ويمنع حركتها، أعني الجزء الناطق

---

[١٨] هذه الحاشية موجودة في الأصل وليست مزيدة بواسطتنا للتوضيح كباقي الحواشي.

عندما تهمله النفس [١٩]. وهكذا تجذب آلام الجسد النفس إلى عمق الشر.

ليس الجسد علة الشر ...

لكن **هذه الآلام تخضع إذا كان الجزء الفكري متيقظاً، حارساً لهـا كمـا ينبغـي، متفكراً دائماً في ما يليق بالله**، لا يعطي الآلام فرغة حتى لا تجد وقتاً ترفع فيه رؤوسها. فلا يلُم إنسان الجسد، فليس هو علة الشر عند المدبرين له باستقامة كما يظـن الهراطقـة الأردياء.

الجسد للنفس العاقلة، كالحصان لراكبه :

وانظر الآن يا حبيب إلى ما أقول:

اعلم أنه كما أن الحصان إنما يكون جيداً من جهة إسراعه في الخدمة المحددة له، لكنه يحتاج إلى مروض يركبه ويثنيه إلى الموضع الذي يريـده، لأن البهيمـة وحـدها لا تعرف ما ينبغي فعله. وكما أنه إذا ركب الحصان فلابد أن يستعمل الأمور الطبيعية له أعني أن يثب ويقفز، فإذا دبر راكبه أسباب حركاته جيداً زال الضرر وحصل الانتفـاع. وكما أن الراكب ليس يكفيه أن يدبر الحصان فقط بل وأن يقتني أيضاً معرفـة واعتيـاداً للثبوت عليه وحينئذ تكتمل بذلك الحاجة والسلامة للراكب والمركوب. فأما إذا لم يـدبره جيداً، ولم يكن عارفاً ومعتاداً الثبوت عليه، فإن الحصان دفعات كثيرة يحيد عن الطريـق المستقيمة ... ويخرج إلى طرق شاهقة وعرة فيتعثر ويسقط معه راكبه ويصيران كلاهما في شدة. وسبب ذلك جميعه غفلة راكبه، إما لكونه لم يكن عارفاً برياضـته، ولا معتـاداً

---

[١٩] هنا يشرح القديس باسيليوس كيف أن الجسد لا يجد فرصة للانحراف عن الخير إلا في غفلة من القوة العاقلة الخيرة بطبيعتها، إذا ما أهملت النفس استخدام هذه القوة العاقلة في توجيه الجسد الذي هـو أيـضاً خير بطبيعته. وهكذا يضل الجسد الخير إذ لا يجد من يقوده فتجرفه الآلام ... ولا يكتفي بـضلاله وحـده وإنما يشرك النفس معه لأن فيها عنصر الحياة التي يعيش بها الجسد ويحس...

الثبوت عليه، وإما لأنه أهمل سياسته وتدبيره ورده إلى الطريق المستقيمة.

كذلك أيضاً بهذا المثال خلق الله الإنسان، وجعل فيه عقلاً يعقل به إكراماً للـنفس التي خلقها مع الجسد. فإذا ما تدبرت النفس جيداً، وترأست كما ينبغي، وألجمت حركـات الجسد، فإنها تنجو وتخلص الجسد من السقوط في الشدة أما إذا توانت، ولم تدبر حركات الجسد كما يجب، وتغافلت وكسلت وأطلقت لجام الجسد، فهو من أجل أنه لا فكر له يخرج إلى الطرق الوعرة وتسقط النفس معه في هذه الشرور. **وليس هذا من أجـل شـر فـي الجسد - معاذ الله - بل من أجل أن النفس لم تدبره كما يجب.**

النفس إذاً هى الملومة:

لو كانت النفس لا استطاعة لها أن تزلل آلام الجسد وتروض حركاته، لكان لهـم (أي الهراطقة) حجة في لوم الجسد. إلا أن **الأبطال المجاهدين قد قهروا أوجاع الجسد، وراضوا حركاته، واستخدموه في المنافع،** والنفس هى التي يلزمها اللوم لأنها توانت مع أن لها السلطان على الجسد.

والنفس أيضاً ليس فيها شر بطبعها – معاذ الله – إنما وجد فيها الشر من جهة أنها لم تعمل الخير الذي أُعطيت لها القدرة عليه والاختيار فيه. فإن الشر في الإنسان ليس هو إلا انعدام الفضيلة. وحيث لا فضيلة فهناك الشر حقاً.

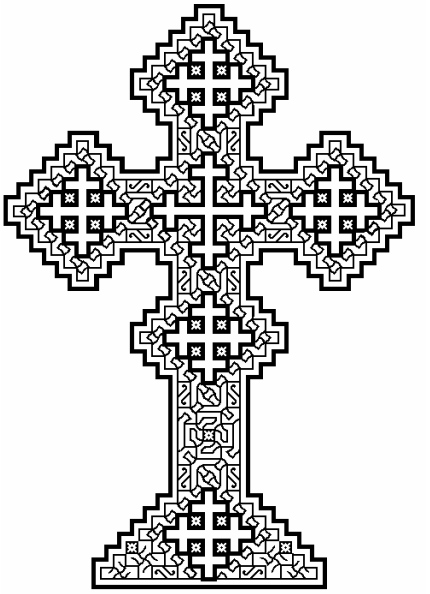

في البعـد عن النسـاء

+++++++++++++++++++++++

يجب ألا نجتهد في تدبير أفكارنا فقط، بل بالأكثر يجب أن نبتعد عن كـل حـديث ليس فيه ربح بقدر ما نستطيع، وأن نهرب من الأشياء التي يجذب التقرب منها إلى أفكار الأوجاع ويقيم الحروب في أنفسنا.

+ + +

لأن الحروب التي تدخل إلينا ضرورة بغير إرادتنا، يلزمنا أن نحتملهـا ونجاهـد ضدها بصرامة. أما أن نجاب علينا وحدنا حرباً بإرادتنا، فإن هذه شقوة.

لأن الذي يغلب في القتال الذي يأتي عليه بغير مشيئته، لعله يجد عـذراً وعفـواً، مع أن مجاهدي المسيح لا يغلبون إذا جاهدوا بكل قدرتهم في هذا القتال الـوارد علـيهم بغير مشيئتهم. أما الذي يغلب في قتال هو جلبه علـى ذاتـه، فهـو يـصير أضـحوكة لكثيرين ...

+ + +

فيجب يا أحبائي أن نهرب بالأكثر من الاختلاط بالنـساء والحـديث معهـن. وإن حدثت ضرورة أكيدة لذلك، فلنحذر مثل ما نحذر من الاحتراق بالنار. لنحذر من أن نبطئ معهن في الجلوس، ولنسرع باجتهاد فنفصل الأمر الذي قد اضطررنا لعمله، ونفـارقهن سريعاً.

+ + +

وتأملوا ما قالته حكمة الله من أجل هذا: فإنهـا قالـت: **" أوَ يَمْشِي إنسانٌ على الجَمْـــر**

ولا تكتوي رجْلاهُ؟ " (أم ٦ : ٢٨).

وإذا قال أحد إني ما أتأذى إذا اجتمعت بالنساء، فلعل هذا ... مثل الذين قيل عنهم إنهم ولدوا خصيان من بطون أُمهاتهم ... وإلا إن لم يكن كالخصي، بل هو مثـل بـاقي الذكور، فهو غارق في آلام الجسد ولا يحس في ذاته بهلاكه. مثله مثل الـسكران التائـه القلب، الذي يأتي عليه ألم كثير وهو لا يحس، ظاناً أنه لم يلحقه شر. وإني أقول إنه ليس من إنسان إلا ويتحرك فيه هذا الألم.

✣ ✣ ✣

وبعد هذا أقول: وإن كان الرجل لا يتدنس فـي فكـره إذا اجتمـع مـع امـرأة، لكن من أين يعرف هو فكر المرأة وأنها لم تتأذَ من جهة الاجتمـاع معـه مـع زيـادة ضعفها؟!

✣ ✣ ✣

فالأصلح أن لا نجلس مع امرأة بالجملة إن أمكن هذا. وإلا فينبغي أن نعتفي مـن الجلوس معهن دفعات كثيرة. وإذا اجتمعنا لضرورة عظيمة، فلا نطل الجلـوس عنـدهن والحديث معهن.

وليس هذا كله لأننا نبغض النساء، أو ننكر اشتراكنا معهن في النـسبة الواحـدة، أعني البشرية، كلا، بل أنه جيد أن نعطيهن ربحاً وتحفظاً، لا سيما اللائـى قـد اختـرن أن يحملن جهاد الطهارة ويجاهدن معنا في الأتعاب عينها. وإنما نتحفظ مـن الاجتمـاع بهن والحديث معهن، لئلا نتذكر دفعة أُخرى الألم الذي اعتفينـا منـه فـي هـذا العـالم ورذلناه.

في المجـد الباطـل

يجب علينا يا أحبائي أن نهرب بالأكثر من المجد الباطل: هذا الذي لا يحسدنا قبل أن نتعب في الفضيلة ونتألم في النسك، ولكنه مـن بعـد تعبنـا يريـد أن يـسرق منـا إكليلنا.

هذا الذي يعسر أن يمسك.

هذا الذي يمكر بخلاصنا، ويجاهد بحيله أن يحدر الفضيلة مـن الـسماء، بعـد أن يرفعها هو إلى السماء.

هذا الذي يجتذب تواضع القلب الذي هو أساس الفضيلة، ويخسر صـاحبه جميـع أتعابه، ويطيب قلبه بأن يطلب أجرة تعبه من الناس، أعني إكرامهم وشكرهم لـه، تلـك الأمور التي لا ربح فيها.

✣ ✣ ✣

فينبغي ألا يكون هذا البتة. بل يجب أن ننظر إلى الله وحده، ونعمل الفضائل مـن أجله، ونتركها تجتمع لنا عنده لننال منه وحده الأجر كاستحقاقنا

وإن كنا قد اخترنا أن نصنع الخير من أجل مجد الناس، ورضينا بأخذ الأجر منهم وهو إكرامهم الباطل، فالأولى والأفضل جداً أن نصنع ذلك من أجل اللـه عـز وجـل، ونبتغي ثوابه الدائم. فإنه له المجد قد قال في الإنجيل عن الذين يصنعون الخير من أجـل الناس " الحق أقول لكم إنهم قد أخذوا أجرهم ".

✣ ✣ ✣

فلنهرب من هذا الصياد المحارب لأنفسنا بحلاوة، الذي يضع العسل على فم مكره، ويمد كأسه المهلك إلى قلوب الناس، ليجده المتأدبين حلواً، فيسقيهم من أوجاعه بغير شبع.

وليست خسارة المجد الباطل تقف عند حد تضييع أجرة تعب الفضيلة، لكنه يحرق صاحبه ويميله من الفضيلة إلى الرذيلة. وهذا عندما يتركه يطلب المجد من أُناس أردياء أو جهلة يمدحون المرء ويكرمونه من أجل أمور ردية.

✣ ✣ ✣

فلنهرب من هذا. وإن مدحنا قوم لسعينا في الطريق الفاضلة، فلا نلتفت إلى كرامتهم كأنها لنا أمر عظيم، بل لننظر إلى معطي الكرامات الحقيقية. نعم ينبغي أن نفرح لهؤلاء إذ قد عرفوا الصواب ومدحوا الفضيلة.

وإن كان قوم يرذلوننا ويسلبونا لأجل الفضيلة فلا نبال، ولا نعبس وننحل. لكن ينبغي أن نحزن عليهم، إذ لم يشتركوا في الرأي المستقيم، لأن قلبهم مظلم ولذلك يشتموننا.

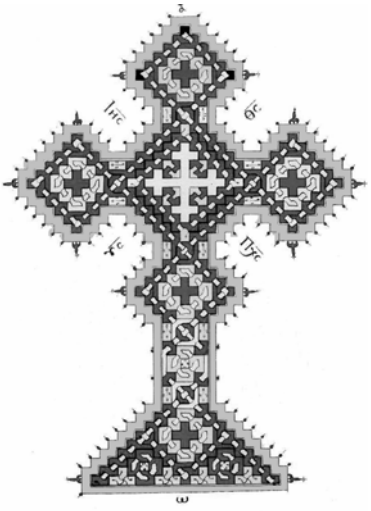

في أدب الكـلام

جيد أن نميز الوقت الذي نتكلم فيه.

والذي نقوله، نقوله من أجل المنفعة. والمنفعة هى في أن نتكلم عن الفضيلة في الوقت الذي يجب، أو إذا دعت الحاجة ووجب الكلام لنرد واحداً من ضلالة، أو نتكلم من أجل ربح وبنيان السامعين. وما سوى ذلك ينبغي أن نرفضه، إذ ليس فيه ربح، وهو خارج عن الحاجة.

ينبغي للناسك ألا يتأمل أو يميل قلبه إلى كلام الهـزء :

فالذين تُهرق نفوسهم بالمزاح والضحك يحيدون عن كلام الحق المستقيم، وينحلون من الفكر الثابت العالي، ويسقطون في الكلام القبيح، ثم في حفرة الشر. لأن النفس لا يمكن أن تكون متيقظة في ما لله ومهرقة في كلام الهزء.

✣ ✣ ✣

فأما إذا دعت الحاجة دفعة إلى أن نقول كلام عزاء بلطف، لكي نحل قليلاً من عبوسة وحزن الذي نخاطبه، ليخف ألم قلبه، فليكن كلامنا حينئذ مملوء نعمة روحانية، متبلاً بالملح لكي يظهر الكلام الذي نقوله رائحة بخور تدبيرنا الداخلي المملوء حكمة، ويبهج قلب الذي نخاطبه من جهتين: من جهة راحة قلبه بما يجده من تخفيف لحزنه، ومن جهة نعمة معاني الكلام الذي نقوله له.

في الوداعـة والفهـم والتواضـع

في الوداعة :

ينبغي للناسك أن يكون مملوء من الوداعة ... مثل الروح القدس الوديع البسيط.

وإذا دعت الحاجة أن ننتهر من يتوانى عن وصايا الله، وخاصة إن كان تحت سلطاننا أو كنا موكلين به، فينبغي أن نتحفظ بالمقدار الواجب، ونقرن الانتهار بالفكر الذي يرضي الله. فإن القتلة يستعملون السكاكين في قطع أعضاء الناس، والأطباء هم أيضاً يستعملونها في ذلك. لكن القتلة يمسكونها بغضب وقلة رحمة ليعملوا بها أعمالاً مرذولة، وأما الأطباء فيمسكونها بخوف وشفقة، ويستعملونها بفكر صالح ليعملوا بها أعمالاً نافعة. وكذلك الذين يعرفون الانتهار بفكر حسن، ومقدار حقيقي يرضي الله، فإنهم ينفعون الذين ينتهرونهم، ويخلصونهم من توانيهم، وإنما المضبوطون بألم الغضب لا يفعلون من هذا شيئاً يرضي الله.

✣ ✣ ✣

فينبغي للذين يريدون أن يقيموا الوداعة أن ينتهروا بمقدار، في الوقت الذي ينبغي إذا دعت الحاجة إليه. فإن موسى الذي يشهد عنه أنه كان وديعاً أكثر من جميع الناس الساكنين على الأرض، لما دعت الحاجة انتهر وانزعج حتى أنه أمر بقتل إخوته بني إسرائيل بغير شفقة (**خر ٣٢ : ١٩ - ٢٩**)، وذلك في الوقت الذي صنعوا فيه العجل وسجدوا له ...

✣ ✣ ✣

أما أن يكون الإنسان وقت الانتهار غير متحرك بالجملة، فإن هذه ليست وداعة بل هى رخاوة في الطبيعة.

الوداعة هى أم احتمال الشرور. والوداعة التامة تكون مختلطة بحلاوة. وباجتماع الوداعة مع الحلاوة تكمل فضيلة المحبة المختارة.

في فهم القلب :

ينبغي للإنسان أن يجعل الفهم هاديه، ورئيساً على كافة ما يعمله. حتى أن الخير الذي يعمله بغير فهم قد يعود إلى شر: إذ يجوز أن يعمله في غير وقته، أو بخلاف مقداره.

أما إذا كانت المشورة الصالحة والفهم يفرزان الوقت والمقدار كما ينبغي، فإن الأعمال تصير صالحة نافعة من جهة المستشير والمستشار.

في الإيمان والرجاء :

في كل الأمور يا أحبائي فليكن الإيمان بالله رئيساً علينا وقائداً لنا، وليكن الرجاء الصالح تابعاً للإيمان، فنرجو الخير هناك فقط. لكي من جهة الإيمان تقوى نفوسنا، وبالرجاء تنبسط الأعمال الصالحة.

وإذ أن الأعمال الصالحة لا تكمل بدون معونة الله، والمواهب الصالحة لا تحصل بدون اجتهاد، فيجب على الإنسان أن يجتهد بقدر قوته، وأن يكون له إيمان ثابت ورجاء صالح، ليقتني معونة الله ويقوى على كمال الفضيلة.

في التواضع :

في كل ما تقومه من الفضائل، **فلنقل أنفسنا الشكر**، معترفة بأن الغلبة هى لله، وبأنه هو الذي قواها حتى قومت الفضائل. فإن التواضع هو الكنز الذي يحفظ جميع الفضائل.

خاتمة :

هذه الأمور قلتها لمحبتك يا حبيب. وقد صرت كمن أعطاك بذار حقل الفضيلة. وأنت قد قبلت ذاك، فاجتهد أن تعمل في هذا الحقل، وتجمع لك ثماراً كثيرة، ليكمل فينا كلام الحكيم القائل: أعطِ سبباً للحكيم فيزداد حكمة.

أنـواع الأفكـار الرديـئـة

****

كيف نفرق بين نـوعى الأفكـار الرديئـة: التـي تـأتي مـن تـهـاون الـنفس والتـي تـأتي من محاربة الشيطان لنا؟

ما سبب كل منـهما وما علاجه؟

من أي نوع الأفكار التي تطيش في الصلاة؟

ما موقفنا حيالها؟ وعلى الأخص إذا استمرت؟

هذا ما سيجيب عنه القديس باسيليوس الكبير ...

✠

تكلمنا في دفعة سابقة عن الأفكار، ولكننا لم نميز بأي نوع تدخل الأفكار الرديئـة إلى القلب، وتضادّ أفكار الخير. فينبغي أن نتكلم في هذا أيضاً لتكمل المعرفـة بحركـات الأفكار.

✣ ✣ ✣

الأفكار الرديئة التي تعوق الأفكار الجيدة تأتي **بطريقين**:

أ - إما عندما تتوانى نفس الإنسان، وتبقى طائشة ههنا وههنا فـي مـا لا ينبغـي، وتفتش في الخيالات الخبيثة أو البطالة.

ب – وإما عندما يتخابث الشيطان، ويلقي إلى قلوبنا أفكار الأعمال الرديئة، ليجتذب نفوسنا من التفكر في الأعمال الكريمة.

✣ ✣ ✣

أما **النـوع الأول**: فلغفلة نفوسنا وكسلها تنقطع منها الحرارة والاحتـراس فتنحـل وتفكر في أفكار باطلة، فيتنازل العقل ويطيش في ما تفكر فيه. وحينئذ ينتقل من ضـلال إلى ضلال، ومن أباطيل إلى شرور، ويسقط في أعمال رديئة.

فينبغي أن ننهض نفوسنا من هذا الانحطاط والتواني، ونميز قلبنا حتى يعود إلينـا، فنقيمه حتى يكون حارساً متيقظاً ناظراً في أعمال الله الصالحة التي أمامه.

✣ ✣ ✣

أما أفكار **النوع الثاني**: فتأتي عندما يبتدئ الشيطان بمكره أن يلقي في نفوسنا أفكاراً رديئة، هذه التي تشبه سهاماً متوقدة، ويسكنها مع النفس التي تقبلها حتى يعسر خروجها.

فحينئذ ينبغي للإنسان أن يتيقظ، ويتأمل ذاته، ويجتذبها من هذه القتالات الخبيثة، ويجاهد كمجاهد نجا من يد مقاتله وعاد بشجاعة يحاربه، ويحترس، ويدرب جسده أن يعود بسرعة. ثم يسلم الإنسان نفسه للصلاة بالدوام، ويصرخ نحو معونة الله من السماء

ليعطيه غلبة في الحرب التي ثارت عليه وينزع منه سهام الخبث.

(هذه هى الوسيلة) التي ذكرها بولس الرسول قائلاً: **" حامِلِينَ فوقَ الكُلِّ تُرْسَ الإيمان، الذي بهِ تَقْدِرونَ أنْ تُطْفِئوا جميعَ سِهام الشِّرِّير المُلْتَهِبَةِ "** (أف ٦ : ١٦).

✣ ✣ ✣

حتى يا أحبائي **لو ألقى علينا خيالاته وأفكاره الخبيثة في الصلاة أيضاً**، فلا ندع نفوسنا تنحل من الصلاة، ولا ندعها تفكر أن تلك الأفكار والخيالات الخبيثة هى لها من ذاتها. بل تعلم أنها من العدو الذي هو معلم كل شر بكل نوع، لتزداد الطلبة، كإنسان يستغيث على خصمه، ليس على ذاته وإنما على آخر غيره.

✣ ✣ ✣

وهكذا تطرح النفس ذاتها قدام الله، وتسأله أن يبعد عنها عسكر الخبيث المحيط بها. **فإذا امتد عقلنا مرتفعاً نحو الله، فليس شيء من أفكار العدو يستطيع أن يغلب صلاتنا أو يمنعها**.

✣ ✣ ✣

فإن ثبت العدو في محاربتنا وقت الصلاة أيضاً، فينبغي ألا نقطع جهادنا ... حتى ينظر الله إلى جهادنا فيشرف علينا بنعمة روح قدسه، ويطرد عدونا، ويعطينا سبباً لهدوء أفكارنا، لنعبده بفرح دائم.

والمجد للآب والابن والروح القدس إلى الأبد. آمين.

النسـك في المجمـع
أو بعض قوانين في حياة الشركة الرهبانية

- التجرد من الهيوليات والقنية، ومن آلام الشرور.
- ينبغي لأعضاء المجمع أن تكون لهم نفس واحدة ورأي واحد.
- لا يملك أحد شيئاً، بل يُعطي الشيء لمن يحتاجه.
- المرشد: وجوب الخضوع له، وفلسفة إطاعته.
- المحبة للجميع بمساواة. والكرامة لمن له الكرامة.
- ماذا عمن يحب قريبه ـ ولو كان أباه ـ أكثر من باقي الناس؟
- ما هى شروط الكلام؟ ما هو الحكم على الغمز والمساررة؟
- قوانين لأديرة العذارى.

✠

سيرة النساك قصدها واحد وهو خلاص النفس. فكل شيء يقيم نشاطها للخـلاص ينبغي أن يحفظوه كوصية الله. فوصية الله لا تنظر إلا إلى خلاص سامعيها.

✠ ✠ ✠

وكما أن الذين يدخلون الحمام يتعرون من كل لباس عليهم، فكذلك الذين يتقـدمون إلى عيشة العبادة **يجب أن يتعروا من هيولي هذا العالم أولاً**؛ ثم يـدخلون إلـى الـسيرة المملوءة فلسفة. وينبغي لجميع المسيحيين أن يتعروا من جميع آلام الشرور المختلفة التي تتنجس بها النفس، ومن بعد هذا ينبغي للإنسان أن ينظر إلى السيرة العالية ويزهـد فـي جميع قناياه ...

✠ ✠ ✠

فإذا آثر كثيرون صورة الخلاص، وارتضوا أن يعيشوا مع بعضهم البعض، **فيجب قبل كل شيء أن يكون لهم قلب واحد، وإرادة واحدة، وشهوة واحدة** ... وأن يكونوا متفقين مع بعضهم البعض وإن كانوا أعضاء مختلفة.

✠ ✠ ✠

ولا يمكن أن يقام هذا الناموس في الإخوة المجتمعين إلا بأن لا يدعى شيء من اللباس والأواني والآلات وبالجملة جميع أصناف الحاجات باسم واحد مخصوص من الإخوة، أي أنه له وحده خاص به، حتى **يكون جميع ما في المجمع برسم حاجة جميع من فيه**، ولا يبقى شيء لصاحبه الذي أتى به إلى المجمع خاصاً به دون باقي الإخوة.

وكما أن الثوب القصير لا يصلح أن يلبسه الجسد الطويل والعكس بالعكس، بل الذي يصلح هو أن يلبس كل جسد كمقداره حسب ما يوافقه وينفعه، كذلك يجب أن نصنع

في جميع الأمور التي للشركة كالأسرة والمناطق والأحذية وغيرها: فيكون **كل واحد منها لمُحتاجه بالحقيقية لا لصاحبه** الذي أتى به.

وكما أن المريض يستعمل الدواء، وليس الهين والسهل، كذلك أيضاً في جميع الأمور التي توافق راحة الجسد، تكون للذي يحتاج إلى الراحة ويتنيح بها وليس السهل منها فقط، فإن قلوب الناس مختلفة.

✣ ✣ ✣

لكن ليس لكل واحد أن يشير بما ينفع لئلا يصير سجس لمن يتعبد بإرادته وحده، بل يجب (على هذا) أن **يدفع نفسه للذي شُهد لهُ من الكل بالسيرة الحسنة والفضيلة المختارة**. وهذا ينبغي له أن يكون مهدياً للباقين، ليكون الخير الذي فيه لهم جميعهم عندما يتشبهون به، كما أن المصورين إذا صوروا مثال وجه واحد فإن الصور تكون متشابهة.

✣ ✣ ✣

وعندما يختارون واحداً هكذا ويقيمونه، فلتكن جميع إرادات الذين يتبعونه تابعة لإرادته، كقول الرسول: **" لِتَخْضَع كلُّ نَفْسٍ للسَّلاطين الفائقة ... والمُقاومونَ سَيَأخُذون لأنفُسِهم دينونة "** (رو ١٣ : ١ ، ٢).

والخضوع الحقيقي الكامل للذين يتتلمذون على مهديهم ويظهرون هذا، **ليس بأن يبتعدوا من الشر كما يأمرهم فقط، بل والخير لا يعلمونه دون مشورته وتعليمه**. لأن النسك، إن كان جميعه نافعاً، إلا أنه إذا عمله واحد بإرادته وحده دون أن يطيع مقدمه الذي يعلمه، فإن خطيته تكون أعظم، لأن الذي يقاوم السلطان يقاوم حدود الله، **وأجر الطاعة أعظم من إقامة النسك**.

✣ ✣ ✣

ويجب أن تكون محبتهم لبعضهم البعض بمساواة، كما يحب الإنسان جميع أعضائه بمساواة بالطبع. لأن ألم عضو أياً كان يجلب التعب لجميع الجسد.

هذا في المحبة. **أما في الكرامة فعضو أكرم من عضو**. لأن اصبع الرجل ليس هو مساوياً للعين، وإن كان الجسد يتألم بألم كل واحد منهما. وهكذا ينبغي أن تكون المحبة متساوية لكل من في الشركة، وأن تُعطى الكرامة بالأكثر للنافعين بالأكثر، لكل واحد كما يليق به.

✣ ✣ ✣

وظُلْم هو أن يوجد قوم في المجمع ربابع مرتبطين وحدهم. لأن **الذي يحب واحد أكثر من الباقين، فهو يظهر أن المحبة الكاملة في الكل ليست فيه**. وكما يجب أن يخرج من المجمع كل خصام غير نافع، كذلك يجب أن تخرج منه هذه المحبة حتى لا يحب قوم أفضل من قوم. لأنه كما تكون العداوة من الخصام، كذلك الحسد والمخالفات من الذين احتقروا تكون من هذه المحبة. ومن أجل هذا أوصانا الرب أن نتشبه بصلاح الذي يشرق شمسه على الصالحين والطالحين. فالموضع الذي تكون فيه المحبة الناقصة، البغضة تدخل إليه. وإذا كان الله هو المحبة كما قال يوحنا الثيئولوجوس [٢٠]، فإبليس هو البغضة. وكما أن الذي فيه محبة الله له، كذلك الذي له بغضة، قد اقتنى إبليس ساكناً فيه.

✣ ✣ ✣

وإن كانت المحبة ثابتة هكذا (بمساواة بين جميع الناس) فإنه **لا تظهر محبة القريب بالجسد** ولو كان القريب أباً أو ابناً أو أخاً. والذي يغلبه الطبع في هذا الأمر فهو يجلب على نفسه لوماً لأنه لم يكن حريصاً من أمور الطبيعة بالكمال، بل هى بعد متملكة عليه بالأفكار الجسدانية.

✣ ✣ ✣

وليكن مرذولاً عندنا كل كلام ليست فيه منفعة، والاهتمام الذي في غير وقته هذا

---

[٢٠] هو يوحنا اللاهوتي أو الإنجيلي أو الحبيب أُنظر (١يو ٤ : ٨).

الذي يكون من حديث بعضنا مع بعض.

أما الذي يجب أن نتحدث فيه فهو الكلام الذي ينفعنا ويبني أنفسنا: وهذا فليكن بترتيب، وفي الوقت الواجب، ومن قوم مؤتمنين على الكلام ومن كان ناقصاً فليصبر حتى يتعلم ممن أهو أكبر منه.

✣ ✣ ✣

والغمز والمساورة في الأذان فلنرذلهما. **لأن كل الغمزات لها نوع النميمة،** وتحريك العينين نميمة مخفية. وهذه الأنواع هى مبدأ البغضة والشك، وينبغي ألا يكون في المجمع شك.

فإذا دعت الضرورة إلى كلام، فليكن مقدار الصوت كالحاجة، ولا يصيح الواحد للبعيد عنه بزيادة عما تدعو الحاجة إليه.

ولا يخرج أحد من منسكه أو قلايته إلا لضرورة. ومهما رسم له يعمله.

قوانين لأديرة العذارى :

ولأن المجامع يمكن أن تكون للرجال وللعذارى أيضاً، فالذي قلناه ليكن للقسمين كليهما. ويجب أن يعرفن سيرتهن مرسومة بالحشمة، والوحدة، ومحبة الأخوات، والثبات. ويجب ألا يلتقين بالرجال. وسيرتهن مستوجبة الإقامة باجتهاد كثير.

✣ ✣ ✣

وأما التي أُؤتمنت على أن تهتم بتربيتهن، فلا تطلب ما هو حلو عندهن، ولا تجتهد في أن ترضيهن في كل ما يرونه. بل ليكن الهدوء والخوف والحياء طلبتها دائماً. وكل واحدة منهن لا تطلب مرضاة قلبها من الرئيسة بل يجب أن تطلب خلاص نفسها وما ينفعها. ولا تجاوب الرئيسة (بقصد لا تلاججها وتراجعها في الكلام) لئلا يكون هذا سبب للمقاومة، لكن كما قبلنا الوصايا من ربنا بغير فحص عارفين أن جميع الكتب التي هى أنفاس الله نافعة، كذلك فلتكن الأخوات: يقبلن أوامر الرئيسة عليهن بغير فحص، كاملات

في كل ما يتعلمنه بغير حزن لكن برغبة قلب، لتكن لهن أُجرة الطاعة الكاملة. وليست تُطاع فقط في ما يوجب السيرة الفاضلة حسب ما يظهر لهن، بل وإذا جعلت الرئيسة لواحدة منهن أن تصوم أو أمرتها بأمر آخر مما يوجب للجسد راحة لتقوى من ضعفها، فلتطع أمرها طيبة القلب أن ما يقال لها من جهة الرئيسة هو ناموس.

✣ ✣ ✣

وإذا دعت ضرورة أن يقلن كلاماً من أجل منفعة فليقلنه على لسان أُمهن ومعها أُخرى أو اثنتان من الأخوات المتعديات أزمنة الصبا، اللائى لا ضيق عليهن من لقاء الرجال والحديث معهم في أمر سيرتهن الحسنة.

وإذا كان لواحدة فكر في ذاتها وترى ما ينفعها، فلتقل ذلك للأُم ولتطع ما تقوله لها.

محبـة اللـه

++++++++++++++

❖ محبة اللَّه أمر كائن في طبعنا منذ خلقنا اللَّه. كمحبة الابن الطبيعية لأبيه.

❖ تأتي محبة اللَّه بحفظ وصاياه. وحفظ وصايا اللَّه يأتي باستخدام القوى التي جعلها فينا حسب الغرض الذي وُضعت من أجله. وهذه هى الفضيلة. والرذيلة عكسها.

❖ نحن بطبعنا نحب الخير والجمال والصلاح وكلها في اللَّه.

❖ إحسانات اللَّه إلينا ـ وهى لا تُحصى ـ تدعونا إلى محبته.

❖ إبليس يجلب علينا الغفلة بالشهوات العالمية كي لا نذكر إحسان اللَّه إلينا بل نفتخر بقلة طاعتنا.

سألوه قائلين :

قد تكلمت معنا من أجل محبة الله [٢١] فنريد أن نعلم كيف ينبغي أن نبلغ إلى هذا ...

فأجاب :

محبة الله لا تحتاج أن نتعلمها من الناس، لأنها مغروسة فينا منذ خُلقنا. فكما أننا لا نتعلم من آخرين أن نبتهج بالنور ونحب الحياة أو نحب الذين ولدونا أو الذين ربونا، كذلك بالأكثر الشوق الذي فينا لله: ليس هو خارجاً عنا، بل أنه من بداية خلق الإنسان قد جعل الله مع البذار الناطقة سبب محبة الخير. وهذه البذار إذا ما قبلت بذار تعليم الوصايا

---

[٢١] في الأصل: المحبة في الله.

فأنها تفلح وحدها وتأتي بذاتها إلى الكمال بنعمة الله.

✣ ✣ ✣

ومن أجل أن الله قد أعطانا سبباً، وأنكم تساعدوننا بصلواتكم، فنحن نجتهد بقوة الروح المخفية فينا أن نوقظ نشاط محبة الله المخفية فيكم.

قال الرب: **" مَنْ يحبني يحفظ وصاياي "** (يو ١٤ : ١٥ ، ٢٣)، وأيضاً **" بهاتين الوصيَّتين يَتَعلَّقُ النَّاموسُ كُلُّهُ والأنبياءُ "** (مت ٢٢ : ٤٠)، ولئلا يفنى الزمان سوف لا نورد جميع الأقوال المذكورة لهذه الوصية الواحدة. لكننا نكتفي بما تقدره لنا الحاجة ويوافق المقصود.

✣ ✣ ✣

ونحن نذكركم من أجل المحبة. لأنه دين علينا أن نعطيها لله. إذ قد عرفناكم من قبل أن جميع الوصايا التي أعطاها الله لنا، قد جعل قوتها وبذارها فينا من بداية خلقنا: لكي لا يكون الأمر [٢٢] عسر القبول عندنا إذ هى (أي وصايا الله) ليست غريبة عن طبعنا، ولئلا نفتخر نحن بأننا نعطي الله شيئاً فاضلاً لم يعطه لنا أولاً.

✣ ✣ ✣

فنقول إن القوى التي ركبها الله فينا: إذا ما استعملناها جيداً حسب الغرض الذي وضعت من أجله فإننا نُكمل سيرة فضيلة العبادة. أما إذا كسلنا وأفسدنا أعمالها، فحينئذ نسقط في الرذيلة.

فحد الرذيلة إذن هو استعمال قوانا في خلاف ما وضعت له، وهذا هو العمل بخلاف وصية الله، والفضيلة بالعكس (أي أنها تكون باستعمال قوانا فيما وُضعت له).

✣ ✣ ✣

---

[٢٢] أي أمر إطاعة هذه الوصايا وتنفيذها.

فكل واحد يعرف محبة الله من ذاته. فنحن نرى أننا نشتهي الخيرات بطبعنا، ونحب خواصنا والذين هم من جنسنا، ونؤثر عمل الخير مع من يعمل الخير معنا من غير أن نتعلم شيئاً من ذلك من غيرنا.

وأي جمال يستوجب الشوق إليه والمحبة له مثل جمال الله الكامل الدائم؟! وأي أفضال مثل أفضاله علينا الفائضة الشاملة؟! فأي حب يكون مثل الحب لله من النفس النقية من جميع الشرور، هذه التي تستطيع أن تقول بقلب طاهر إنني مجروحة بالمحبة (**نش ٢ : ٥**).

✣ ✣ ✣

فشعاعات مجد الله لا يُدركها قول بشري ولا تسمعها أُذن. وإذا وصفت نور الشمس والقمر والكواكب جميعاً، فاعلم أنه كلا شيء بالنسبة إلى ذلك البهاء العظيم، وأنه بعيد جداً عن ذلك النور الحقيقي أكثر من بعد ظلمة الليل المدلهمة عن النور النقي الذي يكون في وسط النهار. وهذا الحسن الذي بهذا المقدار، لا يمكن أن يُبصر بعيني الجسد، ولكن النفس تُدركه بالعقل فقط.

وإذا استحق واحد من القديسين أن يرى هذا النور هكذا، فأنه يكون في الشوق العظيم والمحبة الفاضلة التي لله، هذه التي لا يشبع منها ولا يمل. حتى أنه يمل من حياة هذا العالم فيقول: **" الويل لي فإن غربتي قد طالت "** (مز ١١٩ : ٤)، **" متى آتي وأظهر قدام إلهي "** (مز ٤١ : ٢)، وأيضاً **" أن أنحل وأن أكون مع المسيح أفضل كثيراً "** (في ١ : ٢٣)، وأيضاً **" أن نفسي عطشت إلى اللَّه الحي القوي "** (مز ٤١ : ١)، وأيضاً **" الآن تُطلِقُ عبدكَ يا سيِّدُ حَسَبَ قولِكَ بسلامٍ "** (لو ٢ : ٢٩).

✣ ✣ ✣

فها الإنسان مؤثر الخير بطبعه، والخير الحقيقي المحبوب هو الصلاح، والصلاح هو الله.

وكل الناس يشتهون الخير. والذي يتغرب بشره من هذا الخير، فهو كعين تغربت من نورها. وأنت تجد محبة طبيعية كائنة في المولودين وهم أطفال لأمهاتهم. وليس هذا في أشخاص الناس فقط، بل وفي البهائم والوحوش والطيور أيضاً. فلا نكن أنقص من الأطفال محبة وأشد وحشية من الوحوش، إذ لا نظهر محبتنا الطبيعية الكائنة فينا لله، الذي هو أبونا السماوي، وسبب وجودنا الأصلي، ومدبر حياتنا بجوده وحكمته.

✣ ✣ ✣

وإذا كان الأطفال يتعلقون بأُمهاتهم، والبهائم تتبع من يعمل معها الخير، لأنه قال: **" الثورُ يَعرفُ قانِيَهُ والحمارُ معْلَفَ صَاحِبِهِ "** (إش ١ : ٣)، فكم بالأكثر يجب علينا أن نتعلق بمن نحن من جهته، ونتبع من جوده علينا دائم العموم! لئلا تتم علينا بقية هذا المكتوب وهو أن **" أمَّا إسرائيلُ فلا يَعرفُ شَعْبي لا يَفهمُ "** (إش ١ : ٣).

✣ ✣ ✣

وإن كان الذين يصنعون معنا الخير نؤثر أن نحتمل من أجلهم أتعاباً كثيرة ونُحب أن نُعوضهم أضعافاً عن الخير الذي صنعوه معنا، فلسنا نقدر أن نحب الله كقدر استحقاق جوده. وكيف ونحن لا نقدر أن نصف جميع أفضاله علينا وخيراته لدينا. هذه التي قد قيل عنها أنها أكثر من العدد، وهى عظيمة إلى درجة أن واحدة منها كافية لأن تطيب قلوبنا من أجلها بشكر الله دائماً.

ينبغي أن نذكر صلاح الله وخيره، إلا أننا نعجز عن شرح ذلك. ولنترك ذكر خيراته الأخرى التي وإن كانت كثيرة جداً في عددها عظيمة في مقاديرها إلا أنها

- كالنجوم عند الشمس والقمر - ناقصة عند الأخر العظيمة بالأكثر. فلهذا سوف لا نشرح أمر إشراق الشمس، ودوران القمر، ولطف الهواء، وسيلان الماء، وقطر الأمطار، وامتلاء البحار، وسعة الأرض، وكثرة أصناف نباتها، والأسماك والبهائم والطيور وباقي المخلوقات التي رسمها الله لخدمة حياة الإنسان.

✣ ✣ ✣

أما النعمة التي إذا تجاوزنا هذه كلها، لا يمكننا أن نتجاوز ذكرها فهي كون الله تعالى خلق الإنسان على شبهه وصورته، وجعله مستحقاً لمعرفته، وأكرمه وميزه على الحيوانات، وزينه بالعقل الذي هو النطق، وتركه يتمتع بالبهجة والجمال الذي في الفردوس، وأقامه رئيساً على كل ما في الأرض.

وبعد هذا لما أطغاه الثعبان وسقط إلى الموت، لم ينسه الخالق، بل أعطاه الناموس معونة، وأقام الملائكة لحفظه والاهتمام به أرسل الأنبياء لتوبيخ الشر وتعليم الفضيلة، ونزع أسباب الشر بتخويفاته، وأقام نشاط الخير بمواعيده، وسبق فكتب لنا في الكتب أجرة الذين يعملون الخير، وأجرة الذين يعملون الشر، وأظهر ذلك لنا برموز كثيرة ليتأدب باقي الناس.

✣ ✣ ✣

ومع أننا دمنا في عصيانه رغماً عن كل ذلك، إلا أنه بصلاحه لم ينسنا .. بل أقامنا من الموت، وأحيانا بربنا يسوع المسيح، فأخذ شكل العبد، وحمل أمراضنا، واشترانا من لعنة الخطية إذ صار عنا لعنة، واحتمل الموت المهان ليردنا إلى الحياة دفعة أخرى، وأنعم علينا بشرف اللاهوت، وهيأ لنا مواضع النياح الأبدية، هذه التي تعلو على فكر الإنسان أن يصف عظم بهجتها.

✣ ✣ ✣

فما الذي نجازي به الرب عوضاً عما صنعه بنا؟! وهو لم يرد منا مجازاة، بل من

أجل عظم محبته لنا أراد منا أن نحبه. فأما إبليس فيجلب علينا الغفلة بالشهوات العالمية كي لا نذكر إحسان الله إلينا، ويريدنا أن نفتخر بقلة طاعتنا. ونحن بإهمالنا لوصايا ربنا نعطي العدو سبباً للترفع عليه. ومن أجل هذا يقوى علينا.

فلتكن يا أحبائي محبة الله كائنة فينا كل حين عاملة في نفوسنا.

محبـة القريـب

✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣

- **محبة القريب طبيعة فينا، تقويها وتنميها وصايا اللَّه.**
- **محبة اللَّه ومحبة القريب مرتبطتان ببعضهما البعض، تقوي كل منهما الأخرى.**
- **موسى وبولس كأمثلة عليا في محبة القريب.**

... قد **أُمرنا أن نحب قريبنا مثلنا (لا ١٩ : ١٨ ، مت ٢٢ : ٣٩)**. ونقدم القول بأن نقول: إن هذه **المحبة قد زرعت منذ الابتداء في طبيعتنا، وإن الناموس يربي الزرع الطبيعي**. ومنْ هو الذي لا يعرف أن الإنسان وحده دون جميع الحيوانات أنيس بطبعه، مشارك

(لغيره)، غير وحشي.

✣ ✣ ✣

فهذه الزروع التي غرسها الله فينا، **هو يطلب منا ثمارها**. لأنه قال إن علامة المحبة التي لنا منه هى أن نحب بعضنا بعضاً **(يو ١٣ : ٣٥)**.

ولم يطلب من تلاميذه ما أعطاهم أخيراً من فعل الآيات، لكنه طلب منهم ما غرسه في البداية في طبيعتهم المشتركة فقال: " بهذا يعرف كل أحد أنكم تلاميذي إذا ما أحب

بعضكم بعضاً ".

✣ ✣ ✣

وهكذا في كل موضع طلب **هاتين الوصيتين مرتبطتين أحدهما بالأخرى** حتى أن الخير الذي نصنعه برفيقنا من أجل الله يقبله الله إليه كأننا قد صنعناه به، قال: **" جُعْتُ فأطعَمْتُمونِي..** إلى آخر قوله: **بما أنَّكُم فَعَلتُموهُ بأحد إخوتي هؤلاء الأصَاغِر: فَبي فَعَلتُم "** (مت ٢٥ : ٣٥ - ٤٠).

فمن جهة الوصية الأولى نقدر أن نقيم الثانية. ومن أجل الثانية نقدر أن نعود إلى الأولى.

والذي يحب الله هو يحب قريبه حقاً. لأن الرب يقول: **" مَنْ يحبني يحفظ وصاياي "** (يو ١٤ : ٢٣)، وقال: **" هذه هيَ وَصِيَّتِي أنْ تُحِبُّوا بعضُكُم بعضاً كَمَا أحْبَبتُكُمْ "** (يو ١٥ : ١٢).

✣ ✣ ✣

ومن أجل ذلك فإن عبد الله الأمين **موسى** أظهر محبته لإخوته إلى الغاية العظمى، إذ رضى أن يمحى اسمه من سفر الحياة الذي كُتب فيه إذا لم يغفر الله خطايا الشعب (خر ٣٢ : ٣٢).

وبولس المغبوط تعالى إلى أن جسر وطلب أن يكون مفروزاً من المسيح بالجسد عن إخوته الإسرائيليين (رو ٩ : ٣)، وأسلم نفسه عن خلاصهم متشبهاً بالله. وعرف أنه لا يمكن أن يكون الإنسان غريباً من الله إذا ما غفل عن نفسه ولذتها وعما أعطاه الله إياه ليقيم وصية الله العظيمة. ولم ينس أنه سيأخذ من الرب عوضاً عما صنعه أضعافاً كثيرة.

ويكفينا هذا أن نعلم منه أن **القديسين** إنما بلغوا إلى مقدار رتبتهم بمقدار محبتهم للقريب.

✣ ✣ ✣

أما الذين دخلوا الآن إلى عبادة الله وهم غرس جديد، فيكفيهم أن يتعلموا مخافة الله وهى تنفعهم، لأن رأس الحكمة مخافة الله كما قال الحكيم سليمان.

وأما أنتم الذين تجاوزتم الطفولية بالمسيح، ولم تعودوا محتاجين إلى اللبن، ولكم قوة على أن تكملوا الإنسان الجواني بالطعام القوي، فيجب لكم أن تجتهدوا في الوصايا العظيمة التي هى رؤوس وبها تقام محبة المسيح الحقيقية.

فلنتحفظ يا أحبائي بخوف ورعدة، لئلا كثرة عطايا الله تصير لنا دينونة صعبة. فإنه قد كتب إن من استودع كثيراً يطالب بكثير (لو ١٢ : ٤٨). فلنشكر كرامات الله الكثيرة التي أنعم بها علينا ونمجده دائماً.

عدم الاشتغال بالأرضيات

من أجل أن يجب للنفس ألا تشتغل بالأرضيات

++

- **النسك كأي عمل آخر يحتاج إلى تفرغ.**
- **فوائد الانفصال عن العالم، ومداومة ذكر اللَّه، وحفظ وصاياه.**
- **الأضرار التي تسببها الخلطة، وإمكان تنقية النفس في الوحدة.**
- **لماذا لا نستطيع أن نسير بالكمال مع الاختلاط بغير المتحفظين.**

التفرغ لخدمة واحدة يؤدي إلى إتقانها:

وهذا ينبغي أن نعمله ونعمل به، لئلا نكون غير حافظين لشيء من الوصايا، ولا لمحبة الله ولا لمحبة القريب، وتنقسم (أي تتوزع) أفكارنا في الأمور الأرضية، ونهتم هنا وهناك.

ولا يقدر أحد أن يتعلم صناعة (أي حرفة) إذا دام منتقلاً من صناعة إلى صناعة ومشتغلاً بأمور أُخرى. ولا يمكن لإنسان أن يُحكم (أي يتقن) صناعته إلا بعد أن يعرف الأمور التي تكمل بها، لأن أعمال الإنسان تابعة لتصوره. فلا يمكن أن يعمل الحدادة بأعمال القرموصية، ولا يمكن أن يقيم تاجات العتالات وهو مجتهد في صناعة الزمر. وكل صناعة إنما يطلب فيها الأمور اللائقة بها.

فالنسك والجهاد الذي يرضي الله كإنجيل المسيح كيف نقدر أن نقيمهما إذا كنا نتعلم اهتمامات هذا العالم، ولا نبتعد عن الاشتغال فيه؟!

الزواج:

من أجل هذا كتب الرسول عن المهتمين بالزيجة أنهم صاروا عثرة للطالبين الكمال كالإله [٢٣]، مع أن الله هو الذي أعطى الزيجة وباركها. لكن الرسول عرفنا أن الكائن فيما لله لا يستطيع أن يختلط بما للعالم، لأنه قال إن الذي لم يتزوج هو يهتم بما للرب كيف يرضي الرب، والمتزوج هو يهتم برضى زوجته وهو مقسوم. **(١كو ٧ : ٣٢ ، ٣٣).**

العالم الذي لم يعرف اللَّه :

والرب هكذا شهد على طهارة قلوب تلاميذه من دنس الاشتغال بأمور هذا العالم قائلاً: **" لأنَّكُم لستُم مِنَ العالَم " (يو ١٥ : ١٩).** ولهذا المعنى أيضاً شهد أن

---

[٢٣] أي أن الذين يريدون أن يتفرغوا لأعمال العبادة التي تقودهم إلى الكمال متشبهين بالله الكامل، هؤلاء تعوقهم مطالب الزواج بالرغم من أن الزواج مبارك.

لا يستطيع أن يعرف الله، ولا يستطيع أن يقبل الروح القدس، لأنـه قـال: **" أيُّها الآبُ البـارُّ إنَّ العـالَم لَـمْ يَعرفكَ "** (يو ١٧ : ٢٥) وقـال: **" رُوحُ الحَقِّ الذي لا يستطيعُ العالَمُ أنْ يَقبَلَهُ "**.

(يو ١٤ : ١٧)

كيف ننحَلّ من العالم:

فينبغي للإنسان أن يتبع الله بالحقيقة، ليحله من رباط هذا العالم، ولا يدع قلبه مرتبطاً بشيء منه. وهذا نقدر أن ندركه إذا ما ابتعدنا بالكمال من عوائدنا الأولى ونسيناها. وهذا لا يتم لنا إذا لم ننفصل من أقربائنا بالجسد ونكن كمن انتقل إلى عالم آخر بقلوبنا. كما قال الرسول: " إن مدينتنا نحن في السموات " **(في ٣ : ٢٠)**، وربنا يقول: كل واحد منكم، إن لم يرفض كل ما له لا يقدر أن يكون لي تلميذاً.

ذكر اللّه وحفظ وصاياه:

وهذا إذا عملناه يجب علينا حينئذ أن نحفظ قلوبنا بكل نوع لئلا نسقط من ذكر الله أو نتدنس بالخيالات. بل ليكن ذكر الله دائماً في نفوسنا كالرسم الذي لا ينفك ختمه أبداً. فبهذا نقدر أن نقتني المحبة لله بالكمال، ونحفظ وصاياه بالدوام.

وهكذا علمنا الرب. فدفعات قال: **" إنْ كُنتُم تُحِبُّونَنِي فاحْفظوا وصَايَايَ "** **(يو ١٤ : ١٥)**. ومرات يقول: **" إنْ حَفِظتُم وصاياي تَثبُتونَ في مَحَبَّتِي "** **(يو ١٥ : ١٠)**.

ولم يكتف بالقول فقط في تعليمنا هذا، بل وأرانا ذاته صورة نقتفي مثالها. فمن أجل هذا قال: **" لأنِّي قد نَزَلْتُ مِنَ السَّماءِ، ليس لأعْمَلَ مَشِيئتِي، بل مشيئة الذي أرسَلَنِي "** **(يو ٦ : ٣٨)**. فعلمنا أن تكون مشيئتنا كمشيئته، وأن يكون عملنا مثـل عملـه، كمعلمـي صناعات هذا العالم.

✣ ✣ ✣

وكما أن الحداد إذا ما أعطاه إنسان آلة ووصاه كيف يعملها له، فـإن الحـداد إذا دام ذاكراً لذاك الإنسان ولم ينس ما أوصاه به، فإنه يعمل له طلبه، أما إن نـسي ذلـك: فإما ألا يعمل شيئاً غير المطلوب، كذلك المسيحي: إذا دام ذاكراً الله فهو يعمل إرادته كما أمره ويتمم المكتوب: **" تقدمت فرأيت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني كي لا أتزعــزع "** **(مز ١٥ : ٨)**. ثم قوله: **" فإذا كُنتُم تأكُلونَ أو تشربونَ أو تَفعلونَ شيئاً، فافعلوا كلَّ شــيءٍ لِمَجْــدِ اللَّهِ " (١كو ١٠ : ٣١)**.

نتذكر أن اللَّه ناظر إلينا:

فلنذكر صوت الذي قال: **" أمَا أمْلأُ أنا السَّمواتِ والأرضَ، يقولُ الرَّبُّ؟ "** (إر ٢٣ : ٢٤). و" أنا إله قريب وليس بعيداً "، و **" لأنَّهُ حيثما اجتمعَ اثنان أو ثلاثةٌ باسْمِي فهُناكَ أكونُ في وسْطِهِم " (مت ١٨ : ٢٠)**. فينبغي لنا أن نكمل كل شيء حتى إلى جميع أفكارنا، كأن الله يتطلع إلينا، ونكون كما هو مكتوب نبغض الظلم والفرية والكبرياء وجميع الطرق الردية، وتصير محبته كاملة فينا، ونكمل إرادة الرب.

غرضنا إرضاء اللَّه لا الناس:

وأنا أرى أن هذا الأمر يستقيم بكلمة واحدة وهى ألا نصنع وصايا الرب لمرضاة الناس. فلا يجوز لنا أن نميل إلى النواقص والأفضل أمامنا. كما أنه إذا ما عمل واحد عملاً مرضياً لا نساوي ذي مجد: فإذا ما إنسان آخر ناقص لم يعجبه ذلك العمل فإن عامل العمل يحتقر الناقص ولا يلتفت إلى غرضه، إذ هو ينظر إلى مجد وغرض الإنسان المرتفع، فإن كان هذا هكذا بين إنسان وإنسان فكم بالأفضل ينبغي أن يكون بين الإنسان والله عز وجل.

✠ ✠ ✠

فالنفس المتيقظة الصحيحة بالحقيقة، التي تيقنت أن الله ينظر إليها، وجعلت طلبها ما يرضيه، (هذه) لا تكسل عن وصايا الرب، ولا تتعبد لوصايا الناس، ولا يمسكها شيء من أعمال هذه الدنيا، ولا تطغيها كرامة هذا الزمان، كالذي قال: **" تكلم معي مخالفوا الناموس بكلام هذيان، لكن ليس كناموسك يارب "** (مز ١١٨ : ٦٤)، وأيضاً **" وأتكلَّمُ بشَهَادَاتِكَ قُدَّامَ مُلوكٍ ولا أخْزَى "** (مز ١١٩ : ٤٦).

من فوائد عدم الخلطة بالمخطئين:

ونافع لنا جداً في ما نحن بسبيله تفرغ النفس وانعكافها، وأن نعتكف في مساكننا لكي لا نختلط بالذين لا يحفظون الوصايا جيداً، كما قال سليمان الحكيم: **" لا تَسْتَصْحِبْ غضوباً، ومع رجلٍ سَاخِطٍ لا تَجِيءْ، لِئلاَّ تألَفَ طُرُقَهُ، وتأخُذْ شَرَكاً إلى نَفْسِكَ "** (أم ٢٢ : ٢٤ ، ٢٥). ولكي لا تجد سبباً للخطية: لا بالعينين، ولا بالأذنين (وحتى لا) تنغرس فينا عادة الموت الردية ونحن لا نعرف، ويبقى مثال ما نراه ونسمعه قائماً في أنفسنا، ويصير لها هلاكاً، ولا نقدر على مداومة الصلاة.

تنقية النفس في الوحدة:

فلذلك وجب افتراقنا في السكن، لنقدر أن نقهر العوائد الرديئة التي لسيرتنا الأولى التي كنا فيها ونحن غرباء عن وصايا الله. فليس جهاداً يسيراً (ذلك الذي) ينبغي أن يكون لمن قد قويت فيه عادات من زمان كبير وأخذت قوة من الطبيعة.

وبالصلوات المتعبة والقراءة الدائمة في كتب الله يمكننا أن نستأصل منا أدناس الخطية، وليس هذا بإمكاننا ما دمنا مشتغلين بأمور هذا العالم. لأن الكائن في هموم العالم كيف يقدر أن يكمل المكتوب أن من يأت إلي فليرفض نفسه **(مت ١٦ : ٢٤)**.

وحمل الصليب:

فينبغي أن نرفض نفوسنا، ونحمل صليبنا، ونتبع المسيح ربنا. ورفضنا نفوسنا هو بأن ننسى جميع عوائدنا الأولى، ونبتعد من أهويتنا. وحملنا صليبنا واتباعنا الرب هو أن نكون مستعدين أن نموت مع المسيح، ونميت أعضائنا الأرضية، ونكون محتملين بنشاط كل ضيق يأتي علينا من أجل المسيح، ونقتلع قلوبنا من أمور هذا العالم.

لماذا لا نستطيع ذلك بين الناس ؟

وهذه الأمور لا يمكن إقامتها مع الاختلاط بغير المتحفظين. لأن النفس إذا رأت كثرة الجموع المنحلين:

فأولاً: لا تحس بخطاياها فلا تتوب.

وثانياً: أنها تقارن حالها بالنسبة إلى حالهم، فتظن أنها سالكة في الفضيلة.

وثالثاً: أنها من كثرة الجلبة التي في هذا العالم لا تتفرغ لله دائماً فتخسر الفرح والابتهاج بالله، ولا تقدر أن تقول: **" إن كلماتك حلوة في حنجرتي أفضل من العسل والشهد في فمي "** (مز ١١٨)، وكذلك فإنها تفضل عن أحكام الله وهذا أشد عليها.

الذي يتوحد دون أن يبدأ بقضاء فترة في المجمع، أو الذي يتوحد بدون أب روحي يرشده، أو الذي يتوحد ويغلق نفسه على أخطائه قبل أن تعالج، أو الذي يتوحد توحداً مطلقاً منفصلاً عن الناس غير محب لهم مخفياً لمواهب اللّه التي يمنحها له، أو المتوحد بغير إفراز، هذا هو الذي نرى أن القديس يقصده بهذا الشرح. فلا نظن القديس يهاجم التوحد على الإطلاق وإنما التوحد الخاطئ ...

سألوه :

فعرفنا إذاً، هل الذي يفترق من القوم الرافضين لوصايا الله، يجب له أن يبقى وحده، أم يقيم مع إخوة آخرين بقلب واحد في عبادة الله؟

أجاب :

أنا أرى إن سكنى جماعة بعضهم مع بعض جيد ونافع بأنواع كثيرة:

فأولاً: إن المنفرد وحده لا يقدر أن يكفي ذاته في حاجة الجسد، لأن بعضنا يحتاج إلى البعض في الحوائج الضرورية، كاحتياج بعض الجسد إلى بعض. لأن الله رسمنا هكذا منذ البدء محتاجين بعضنا إلى بعض، لنكون مرتبطين بعضنا ببعض.

✣ ✣ ✣

وأيضاً فإن عمل المحبة في المسيح يأمرنا بألا يطلب كل واحد منا ما ينفعه وحده،

بل وما ينفع رفيقه. وقد قال الرسول أيضاً إن المحبة لا تطلب الذي لها **(١كو ١٣ : ٥)**. والساكن وحده إنما يصنع ما يرضيه وحده، ويتداوى بما يوافق جسده وهذا أيضاً ضد [٤٢] ناموس المحبة التي كملها الرسول ولم يطلب ما ينفع نفسه وحده بـل منفعـة الكثيـرين وأن يخلصوا.

✢ ✢ ✢

ثم أن المتوحد لا يعرف نقصه بسهولة إذ ليس من يبكته ويؤدبه بشفقة لكي يستقيم [٥٢] ويكمل عليه المكتوب **" وويلٌ لِمَنْ هو وحدَهُ إنْ وَقَعَ، إذْ ليسَ ثانٍ لِيُقِيمَهُ " (جا ٤ : ١٠)**. بـ--------------------------------------ـل قد نجد أيضاً أن تبكيت العدو يصير سبباً لشفاء خلاصه.

✢ ✢ ✢

والسكان بعضهم مع بعض يكملون أكثر الوصايا بسهولة، فأما المتوحد فلا. لأنـه عندما يتفرغ ليكمل وصية تفوته أخرى. فمثلاً إذا افتقد مريضاً فاته أن يقبل الغريـب إذا أتاه في غيبته. وإذا مضى لخدمة مشاركة حاجة العاجزين، لا سيما إن كان المكان بعيداً، فإن اجتهاد عمل يده وبقية أشغاله تبطل، فلا يقدر أن يكمل الوصـية العظيمـة، أعنـي لا يقدر أن يطعم الجائع أو يسقي العطشان. ومن هو الذي يختار المقام الذي ليست فيـه

---

[٤٢] في الأصل دد، وفي نسخة أُخرى دذ.

[٥٢] ولذلك ففي الأديرة الآن لا يتوحد الراهب عند دخوله الدير وإنما يقضي مدة في المجمع قد تطول وقد تقصر، ومن ضمن فوائدها أن يكتشف أخطاءه ويعالجها. وحتى عندما يتوحد يكـون تحـت إشـراف أب روحي.

ثمرة على الذي يكمل به كل شيء كوصية الرب [٢٦].

✣ ✣ ✣

وإذا كنا نحن المدعوين من الرب إلى الأمانة جسداً واحداً ولنا رأس واحـد هـو المسيح، وكل واحد منا عضو من أعضاء هذا الجسد، فكيف لا نصير بالاتفاق متـصلين بروح القدس بل يختار كل واحد منا أن يقيم وحده ولا يريد أن يتعبد لجميع الإخوة كمـا يرضي الله [٢٧]. وإذا انفصل بعضاً عن بعض، فكيف يكمل المثال المستوجب للرأس [٢٧]. إنه إذا تمجد عضو فإن جميع الأعضاء تفرح معه. وإذا مـرض عـضو فـإن جميعهـا تمرض معه.

✣ ✣ ✣

وكيف يمكن للواحد أن يقبل مواهب الروح، وهى بالأكثر توهب للواحد لا ليتركها لنفسه وحده لكن ليخدم بها صاحبه، وهذا يتم في المجمع: لأن النعمة التي تعطى للواحـد المشترك فيها يتمتع بها كل الكائنين في الشركة. لأنه قال إن واحداً يعطى له كلام حكمة، وآخر كلام معرفة، وآخر أمانة وآخر نبوة، وآخر مواهب شفاء. وتتمة الكلام: فبالضرورة أن المتوحد إن نال موهبة فإنه يخفيها في ذاته، ولا يقدر أن ينفع بهـا غيـره [٢٨] وهـذا

---

[٢٦] لغير الناضجين روحياً يكون التوحد مقاماً بغير ثمرة بل قد يتلف حيـاتهم. أمـا الناضـجون فـإنهم يرتفعون بالتوحد درجات كثيرة في عالم الروح ويكون لهم ثمر كثير يناسب طقسهم. وهؤلاء لا تكون لهم الخدمة الجسدية التي يقوم بها أعضاء المجمع وإنما تصبح خدمتهم روحية تشبه خدمة الملائكة.

[٢٧] يبدو من هاتين العبارتين أن القديس باسيليوس يقصد حالة معينة لتوحد غير ناضج ولـيس التوحـد على الإطلاق وفي الأديرة حالياً يكون المتوحد عضواً في دير في نفس الوقت وتابعاً له، غيـر منفـصل عنه.

[٢٨] هذا أيضاً مثال لتوحد غير ناضج يعالجه القديس. فالمتوحد الصالح إذا أعطاه الله مثلاً موهبة شـفاء

خطر. أما في المجمع فإنه ينفع بها الجماعة.

بل المتوحد إنما ينتفع بموهبة واحدة أعني التي يُمنحها. فأما كل واحد من المجمع، فإنه ينتفع بما أنعم به عليه، وما أنعم به على غيره جميعاً.

✣ ✣ ✣

وفوائد الاجتماع الصالح كثيرة: ومنها أنه إذا كان واحد من الإخوة في وقت ينعس وينام النوم المستوجب للموت، هذا الذي علمنا داود أن نصلي لئلا يصيبنا قائلاً: **" أنر عيني لئلاً أنام في الموت "** (مز ١٢ : ٤)، فإن المنفعة تصير له (أي لهذا الذي ينعس) باستيقاظ الإخوة المحترسين. لأن الذي يبكت من كثيرين فإنه يبتعد عن توانيه سريعاً [٢٩]، ويكمل عليه قول الرسول: " يكفي هذا ... الانتهار الذي صار له من كثيرين ".

✣ ✣ ✣

وأيضاً فإن الذي يقيم بالفضيلة في المجمع فإن عزاء كثيراً وثباتاً كثيراً ونمواً ظاهراً يكون له من جهة مدح أكثر الإخوة لفضيلته عندما يمتحنون عمله. لأن الرب قال: من فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل كلمة. فأما الذي لا يجد من يمتحن عمله [٢٩]، فهو يظن أنه قد وصل إلى كمال الفضيلة وإن كان ناقصاً، وهو لا يعرف مقدار نقصه ولا مقدار نموه.

وكيف يقدر أن يكمل التواضع والحنو، وهو لا يجد من يتضع له ولا من يتحنن عليه؟! وكيف يكون طويل الروح وليس عنده إنسان يضاد مشيئته؟! فإن قال إن الكتب تكفيه في أن تعلمه إقامة الفضيلة فليعلم أنه يشبه إنساناً يعلم النجارة ولم يباشر عملها قط

فإنه يسمح له في نفس الوقت أن يستخدمها لنفع الآخرين.

[٢٩] المتوحد الصالح الذي تحت إرشاد أب روحي ينال هذه المنفعة بواسطة أبيه.

بالفعل [٣٠] وحسناً قال الرسول عن مثل هذا: **" لأنْ ليسَ الذينَ يَسمعونَ النَّاموسَ هم أبْرَارٌ عندَ اللَّهِ، بل الذينَ يَعملونَ بالنَّاموس هم يُبَرَّرونَ "** (رو ٢ : ١٣).

وربنا لمحبته للبشر لم يقنعه أن يعلمنا التواضع بالقول فقط، بل وبتكميله ذلك بالفعل، فاشتد بمنديل وغسل أرجل تلاميذه. وأنت: تغسل أرجل من؟ أو تصير خيراً لمن؟ أو أحقر ممن؟ إذا كنت متوحداً؟! وبكيف يكمل عليك المكتوب: " ها ما أحسن وما أحلا الإخوة كائنين معاً " هؤلاء الذين شبههم روح القدس " بالطيب الكائن على رأس هارون " رئيس الكهنة (مز ١٣٢).

✣ ✣ ✣

فميدان جهاد، ومسلك رفيع إلى العلو وتدريب دائم في وصايا الله، مساكنة الإخوة بعضهم مع بعض. والله يتمجد من قبلهم، ويكمل فيهم قول ربنا: **" فليُضِئْ نوركُم هكذا قُدَّام النَّاس، لكي يَرَوا أعمالَكُمُ الحسنة، ويُمجِّدوا أباكُم الذي في السَّموات "** (مت ٥ : ١٦). وهم يشبهون الذين كتب عنهم في قصص الرسل: **" وجميعُ الذينَ آمنوا كانوا معاً، وكان عِندَهُم كلُّ شيءٍ مُشتركاً "** وأيضاً **" وكانَ لِجُمهور الذين آمنوا قلبٌ واحِدٌ ونَفْسٌ واحدةٌ، ولَمْ يكُن أحدٌ يقولُ إنَّ شيئا مِنْ أمْوَالِهِ لهُ، بل كان عِنْدَهُم كلُّ شيءٍ مُشترَكاً "** (أع ٢ : ٤٤ ، ٤ : ٣٢).

---

[٣٠] الذي يبدأ بالتوحد يقع في هذا الخطأ. ولكن التوحد الصحيح يأتي بعد قضاء فترة في المجمع يكتسب فيها الشخص كل هذا.

رفض الإنسان لكل ما له

(أ)

من أجل أنه يجب أن يرفض الإنسان كل ما له، وبعد هذا يتقدم إلى الفضيلة.

إن ربنا يسوع المسيح من بعد ما أظهر هذا الأمر بأنواع كثيرة من جهة أعماله ومن جهة تعاليمه قال نحو الكل إذا لم يرفض الواحد منكم كل ماله لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً.

✣ ✣ ✣

وقبل كل شيء يجب علينا نحن الذين تركنا عنا خفايا الفضائح، أن نرفض إبليس وكل أعماله، وبعد هذا نرفض الجسد وآلامه، والأقرباء بالجسد، ومصادقة الناس، وعادة

السيرة التي تضاد بشارة الخلاص.

والأمر الضروري بالأكثر أن يرفض الإنسان ذاته: أعني يتعرى (من) الإنسان العتيق وأعماله، هذا الذي يهلك كشهوات الغواية، **ويرفض أمور هذا العالم** التي تغير صورة العبادة.

✣ ✣ ✣

وهذا فليظن أن الذين ولدوه بالمسيح يسوع من جهة الإنجيل هم **آباؤه بالحقيقة**، والذين اشتركوا معه في أخذ الروح الواحد هم **إخوته بالحقيقة**، وأن أموال هذا العالم قد تغربت عنه. وعلى الجملة فأن الذي قد صُلب للعالم من أجل المسيح والعالم قد صُلب له كيف يقدر مرة أُخرى أن يتعبد لشيء من اهتمام هذا العالم؟!

وربنا قد أمضى تعليمه لنا قائلاً: **" إنْ أرَادَ أحدٌ أنْ يـأتِي ورائـي، فلْيُنكِر نفْسهُ ويَحمِل صَلِيبَهُ "** (لو ٩ : ٢٣)، قال " وحينئذ يتبعني " وقال أيضاً **" إنْ كـانَ أحدٌ يـأتِي إلـيَّ ولا يُبغِضُ أبَـاهُ وأمَّـهُ وامْرَأتَـهُ وأولادَهُ وإخْوتَـهُ وأخَوَاتِـهِ، حتَّـى نَفْسَهُ أيضاً، فلا يَقْدِرُ أنْ يكونَ لِي تِلميذاً "** (لو ١٤ : ٢٦).

✣ ✣ ✣

فإذاً كمال الزهد هو ألا نترك لنا شيئاً مما يختص بهذا العالم **بل نحتقر الحياة أيضاً ونجعل الموت قدامنا**، حتى نقول: نحن أيضاً لسنا متكلين على أنفسنا. **وبعد أن نرفض كل ما لنا نرفض المجد الباطل** وعادة سيرة العالم ولذة الجسد، ونحتقر ما لا ربح فيه كما صنع تلاميذ الرب: يعقوب ويوحنا تركا أباهما والسفينة فتركا مبدأ حياتهم العالمية وما كان به قوامها. متى ترك تعشيره وقام وتبع الرب، فليس أنه ترك ربحه فقط، بل واحتقر ما يلحقه من المعاطب لتهاونه بالسلطنة، إذ لم يكمل جباية وحساب التعشير. وبولس صلب العالم له.

✣ ✣ ✣

فالذي يشتهي بالحقيقة أن يتبع المسيح لا يعد دفعة أخرى إلى الخلف وينظر شيئاً مما لهذا العالم، ولا يتطلع إلى محبة آبائه إذا ما أرادوا أن يعثروه في تكميل أوامر الرب، وهذا هو وقت البغض لهم. ولا ينظر إلى خوف الناس لئلا يعمل ما لا ينبغي من أجلهم. فإن القديسين عملوا وقالوا هكذا: إن الواجب **" يَنْبَغِي أنْ يُطاعَ اللَّهُ أكثر مِنَ النَّاس "** (أع ٥ : ٢٩). وعندما كانوا يصنعون خيراً ويضحك عليهم الجهلة، لم يلتفتوا إلى هذا، ولا غلبوا من استهزاء الناس.

وإذا كان الرسول قد عد بعض وصايا الناس خسارة كالختان وحفظ السبت لأنها صارت له عثرة عند معرفة المسيح، فماذا يقول الإنسان المضبوط من الناس كعادة سيرة العالم؟!

✣ ✣ ✣

وما الحاجة إلى أن نقول كلاماً من جهتنا أو شهادة من القديسين وربنا قد أمضى الحكم قائلاً: كل واحد منكم وتتمته [٣١] وقال أيضاً لذلك الشاب **" قبل كل شيء امض وبع كل ما لك وأعطه للمساكين "** قال: **" وحينئذ تأتي وتتبعني "** (مت ١٩ : ٢١).

ثم ضرب لهذا المعنى المطلوب مثلاً فقال: **" أيضاً يُشبهُ ملكوتُ السَّمواتِ إنساناً تاجراً يَطْلُبُ لآلئَ حسنةً، فلَمَّا وَجَدَ لؤلؤةً واحِدَةً كثيرة الثَّمَن، مَضَى وبَاعَ كلَّ ما كان لهُ واشْتَرَاها "** (مت ١٣ : ٤٥ ، ٤٦). فالدرة هى ملكوت السموات. وقد أظهر لنا الرب أنه غير ممكن أن ننالها إذا لم نترك كل شيء ونعطه عوضاً.

والذي لنا في هذا العالم هو: إما غنى، وإما مجد عالمي، أو فخر جنسي، وبقية الأشياء الكريمة عند الناس أهل هذا العالم. وقد عرفنا ربنا إننا لا يمكن أن ننال ملكوت

---

[٣١] كل واحد منكم لا يرفض كل ما له، لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً.

السموات وقلبنا مقسوم: لها ولغيرها، وذلك بقوله: **" لا يَقْدِرُ أحدٌ أنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْن، ... لا تَقْدِرونَ أنْ تَخْدِمُوا اللَّهَ والمَالَ "** (مت ٦ : ٢٤).

✣ ✣ ✣

فلنختر الكنز الصالح السماوي ونجعل قلبنا فيه، لأنه قال: **" لأنَّهُ حيثُ يكونُ كَنْزُكُم هناكَ يكونُ قَلْبُكُمْ أيضاً "** (لو ١٢ : ٣٤) وإن كنا قد خلفنا لنا ههنا قنية أرضية، فسوف تبقى نفوسنا في هم من أجلها، ولا نعاين الله، ولا نصير في شهوة الأمور السمائية الممجدة التي وعدنا بها. هذه التي لا يمكن أن نقتنيها إلا بأن يكون في ذواتنا شوق عظيم (لها). وهذا الشوق العظيم لا يجتمع في النفس مع شيء من تلك الاهتمامات، وهو الذي يقودنا إلى أن نسأل الله أن يعطينا تلك الخيرات، ويصير التعب أمامنا خفيفاً من قبل الرجاء.

✣ ✣ ✣

وعلى الجملة ينبغي لنا أن ننعتق من عوائد الناس التي يظنون حسب رأيهم أنها واجبة، وأن تنقلب قلوبنا عن هذا العالم الأرضي إلى فضيلة السمائيين، ليمكننا أن نقول إن مدينتنا في السموات. وأعظم من هذا **تشبهنا بالله الذي تمسكن من أجلنا وهو الغني**.

فإذا لم نصل إلى ذلك لا نقدر أن نسير بسيرة الإنجيل. لأنه كيف تكون قلوبنا منسحقة، وكيف نفلت من الغضب والحزن والاهتمامات وجميع الآلام المهلكة للنفس ما دمنا كائنين في الغنى وهموم الدنيا والعوائد الأولى؟!

✣ ✣ ✣

فالذي لم يسمح له أن يهتم ولا بالأمور الضرورية، أعني الطعام واللباس فكيف يُسمح له أن يشتبك في الأشواك الخبيثة التي هى الغنى والشهوات والهموم التي تخنق الزرع الصالح الذي غرسه الله منذ البدء فينا وتمنعه من أن يثمر؟! لأن ربنا يسوع المسيح قال: هؤلاء الذين سقطوا على الشوك هم المهتمون بما لهذا الدهر وغوايات الغنى

وذات العمر، فيختنقون ولا يعطون ثمرة **(مت ١٣ : ٢٢)**.

(ب)
هل يُترك المال المرفوض للأقرباء بالجسد؟

سـألوه قائلين :

الساكن مع إخوة قد اسلموا ذاتهم للرب: هل يجوز له أن يترك كل ما له لأقربائه بالجسد ويرفضه، أم يوصيهم أن يعملوا كإرادة الله؟

فأجـاب :

لقد قال ربنا: **" اذهب وبع أمْلاكَكَ وأعطِ الفقراءَ، فيكونَ لكَ كنزٌ في السَّماء، وتَعالَ اتْبَعْنِي "** (مت ١٩ : ٢١).

وأنا أرى أن الذي يخرج من عند أهله، ويدخل إلى عبادة الله، ينبغي له ألا يرفض أمواله على هذه الصورة (بتركها لهم)، لأنها قد صارت محرمة لله (أي مخصصة لله وحده وليس لغيره).

✠ ✠ ✠

بل يدبرها كإرادة الله، وبحرص وتحرر: إما من يده إن كان عارفاً مجرباً وإما على أيدي قوم مختارين قد ظهر من أعمالهم أنهم مدبرون أمناء حكماء عارفاً **أنه خطر أن يتركها لأقربائه بالجسد** وأن يجعل من ليس هو كما وصفنا يتولى تدبيرها.

فإن المال الذي لملك أرضي: إذا تولى إنسان تدبيره ولم يسرق منه شيئاً لكنه سلمه لمن هو غير أمين ولا مدبر، لا ينجو من العقوبة، فكيف بمال قد صار مخصصاً للملك الأعلى إذا لم يُحترس في أمره، ولا سيما وقد كتب: **" مَلْعونٌ مَنْ يَعمَلُ عَمَلَ الرَّبِّ بتوانٍ "**

(إر ٤٨ : ١٠) فلنتحفظ من كل جهة كي لا نوجد - من قبل توانينا - مخالفين لوصية بسبب تكميل وصية أخرى.

✣ ✣ ✣

ولهذا أيضاً **ينبغي لنا ألا نخاصم الذين يظلموننا ويمنعوننا شيئاً من مالنا** لأن عبد الرب ينبغي له ألا يخاصم كما قال الرسول، بل ينبغي له أن يتعزى بقول الرب: **" ليسَ أحدٌ تَرَكَ بَيْتاً ... أو حُقولاً، لأجْلِي ... إلاَّ ويَأخُذُ مِئةَ ضِعْفٍ الآنَ فِي هذا الزَّمَان ... وفي الدَّهْر الآتِي الحياة الأبَدِيَّةَ "** (مر ١٠ : ٢٩ - ٣٠) [٣٢].

وينبغي أن يشهد للذي ظلمه ومنعه ماله بخطية " سارق الهيكل " لأن الرب قال: " إذا أخطأ إليك أخوك امض وبكته ... " (**لو ١٧ : ٣ ، مت ١٨ : ١٥**).

وأما المحاكمة في مجلس القضاء الذي للبرانيين، فالكتب المقدس قد منعتنا من هذا، لأنه قد كتب أن: **" ومَنْ أرادَ أنْ يُخاصِمَكَ ويَأخُذَ ثوبكَ فاترُكْ لهُ الرِّدَاءَ أيضاً "** (مت ٥ : ٤٠). والرسول يقول: **" أيَتَجَاسَرُ مِنكُم أحدٌ لهُ دَعْوَى على آخَر أنْ يُحَاكَم عِندَ الظَّالِمِينَ، وليسَ عِندَ القِدِّيسِينَ؟ "** (١كو ٦ : ١).

✣ ✣ ✣

وإذ قد عرفنا أن الذين يأخذون مالنا ظلماً هم مطالبون به، فينبغي أن نطلب لهم عند القديسين، لأنه يجب علينا أن نهتم بخلاص نفوسنا وبخلاص إخوتنا. لأن ربنا عندما قال: **" ... إنْ سَمِعَ مِنْكَ ... "** لم يقُل " قد ربحت مالك " بل قال: **" قد رَبِحْتَ أخَاكَ "**

(مت ١٨ : ١٥).

---

[٣٢] في الأصل: ليس أحد يترك بيتاً أو حقلاً من أجلي وتتمته.

وأما إن كان الذي ظلمنا هو الذي يسوقنا إلى من يسمع كلامه مع كلامنا، فينبغي أن نتبعه لتحقيق الأمر، لا لنشفي ألم الغضب ولا محبة في المال.

وبالجملة فلنجتهد في ألا نخرج عما أمرنا به في جهة من الجهات.

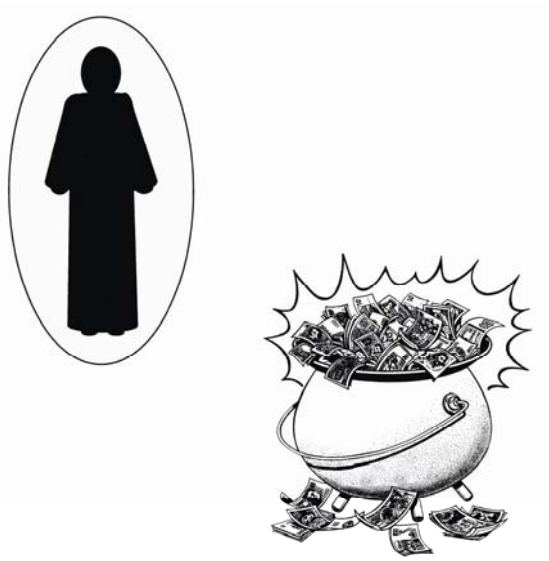

قبـول الراهـب الجديـد

****

سـألوه :

هل ينبغي لنا أن نقبل إلينا من يأتي ليصير راهباً؟ وهل نقـبلهم عنـدما يـأتون أم نمتحنهم أولاً؟ وكيف يكون امتحانهم؟

فأجـاب :

إن الله محب البشر مخلصنا يسوع المسيح قد قال: **" تعَالَوْا إليَّ يا جَمِيعَ المُتْعَبينَ والثَّقِيلِي الأحْمَال، وأنا أريحُكُمْ "** (مت ١١ : ٢٨). فليس هو خطراً يسيراً أن نرد - من جهتنا - الذين يتقدمون إلى ربنا ويريدون أن يحملوا نيره الحلو ووصاياه

الخفيفة، هذه التي ترفعنا بخفة إلى السموات.

✣ ✣ ✣

ويجب أيضاً ألا نتركهم يدخلون إلى هذه التلمذة قبل أن يغسلوا أرجلهم كتعليم ربنا، لأنه سأل الشاب عن سيرته الأولى، فلما ذكر أنه قومها، أمره أن يكمل ما يعوزه للكمال، وبعد ذلك يتبعه **(مت ١٩ : ٢١)**.

فلذلك ينبغي لنا عند تقدمهم إلينا أن **نستقصي بثبات عن سيرتهم الأولى** فالذي قد قوموه تقويماً ما، نساعدهم بالتعليم إلى ما هو أعظم.

أما **الذين قد اقبلوا إلينا راجعين من سيرة خبيثة وعادات منحلة، فينبغي أن يفحصوا زماناً لئلا يكونوا غير ثابتين،** ومنقلبين إلى اللذة. لأن هؤلاء قريبٌ الانقلاب، (وبانقلابهم) ليس أنهم ما يستفيدون فحسب، بل ويصيرون سبباً لخسارة آخرين، إذ يطرحون على عملنا هواناً مملوءاً كذباً.

✣ ✣ ✣

ولكن ينبغي ألا نقطع رجائنا منهم للوقت، بل ندخلهم إلى امتحان يليق بهم، **فنخرجهم زماناً في جهادات تعبة،** لنعرف همة قلوبهم. وبعد هذا إن وجدنا فيهم عملاً ثابتاً فلندخل بهم إلى المجمع. وإلا فلنرسلهم قبل دخولهم، كي لا يخسر بسببهم الإخوة أو غيرهم.

✣ ✣ ✣

ومن جملة امتحانهم، **ننظر هل هم يقرون من غير حياء بخفايا فضائحهم،** ويثلبون نفوسهم، **ويبتعدون عن الذين كانوا يشاركونهم في ذلك** ويفرون حتى أنهم يقولون كما كتب: **" ابْعُدُوا عَنِّي يا جميع فاعِلِي الإثم "** (مز ٦ : ٨)، وهؤلاء قبل كل شيء يجب أن يتحفظوا من السقوط مرة أخرى في مثل ما كانوا واقعين فيه.

✣ ✣ ✣

والامتحان اللائق بكل الذين يدخلون إلى هذه السيرة هو أن يُنظر **هل هم مستعدون لكل اتضاع بغير حياء حتى أنهم يقبلون الصنائع الحقيرة**. فمن خرج من سيرة عالية من العالم، واختار أن يتشبه باتضاع ربنا يسوع المسيح، يجب أن نميز له الأمور المحتقرة عند البرانيين والتي كان يرذلها. ونجعل بالنا منه إن كان هو راضي القلب أن يقيم ذاته مثل فاعل لا يخزى.

والذين يمتحنونهم ينبغي أن يكونوا قوماً مجربين. ومن وجد مستعداً لكل عمل صالح فليحسب مع الذين أسلموا ذاتهم للرب.

✣ ✣ ✣

وأما الذين هربوا إلى الإخوة من تحت نير العبودية، فيجب أن نعلمهم ليربحوا (أي لتنتفع نفوسهم)، ثم نرسلهم بعد هذا إلى سادتهم تشبهاً بالمغبوط بولس. فإنه لما اقتنى أنسيمس بالبشرى أرسله إلى فيليمون دفعة أخرى. وطيب قلب فيليمون وسأله أن يصفح عنه من الغضب ذاكراً لقول الرب: " إذا ما غفرتم للناس خطاياهم فأبوكم السماوي يغفر لكم خطاياكم وأن يترك له الذي عليه بطيبة قلب. وكتب إليه قائلاً: لعله قد افترق منك زماناً لتقبله إلى الأبد (**فل ١٥**)، وليس كعبد بل أفضل من العبد، مثل أخ حبيب.

وأما إذا كان سيد العبد شريراً يأمره بأعمال غير مرضية، ويكلفه أن يخالف وصايا ربنا يسوع المسيح، فينبغي أن نجتهد كي لا يفترى على اسم المسيح من أجل العبد عندما يعمل شيئاً غير مرضي لله. ثم نعلم العبد ألا يخطئ، وأن يحتمل كل تعب يأتي عليه، ولنقبله ونحتمل كل تجربة تأتي علينا من أجله لأنه قد أطاع الله أكثر من الناس كما كُتب.

✣ ✣ ✣

والذين يتقدمون إلى السيرة المقدسة وهم مرتبطون بالزيجة، ينبغي أن نتحقق منهم هل صنعوا هذا باتفاق مع نسائهم. لأن الرسول يقول إن الرجل ليس له سلطان على جسده (١كو ٧ : ٤)، وبعد الشهادات لهم نقبلهم.

وإن عاد واحد من هؤلاء ولم يهتم بما يرضي الله فليذكر قول الرسول إن الله دعانا للصلح، وليكمل حينئذ قول الرب: " إن من يأتي إلي ولا يبغض أباه وأمه وزوجته وبنيه لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً ".

✣ ✣ ✣

وجيد هو للذين يدخلون **أن يكونوا تحت تجربة السكوت والانفراد**، وأن يُعلموا من المعلمين كيف ينبغي أن يسألوا وأن يجيبوا، ومقدار الصوت، ووقت الكلام، وصفته على نحو ما يليق بمحبي الله. وهذا لا يمكن إلا بترك عادة السيرة الأولى، وبالسكوت ينسى الأعمال الأولى، وفي الخلوة يتعلم الأعمال الصالحة.

والساكت يدوم في السكوت إذا لم تكن الحاجة داعية لاهتمام النفس وضرورة عمل اليدين، فإذا سأله واحد فليجبه، وليرتل دائماً للرب.

وإذا خرج واحد من الإخوة من بعد دخوله إلى المجمع وخالف اعترافه فليكن قدامنا من ذلك الوقت كمن قد أخطأ إلى الله فيما تعهد به وقرره قدامه. فقد قيل إذا أخطأ الإنسان فمن الذي يصلي عليه (١صم ٢ : ٢٥)، وهذا قد صار سارقاً للهيكل، وسرق من الله ما حرمه له ونسبه إليه وصار هو لنفسه سارقاً.

وهؤلاء ينبغي ألا نفتح لهم ليدخلوا عندنا دفعة أخرى لئلا يدخلوا إلى الإخوة بالخيالات التي قد اقتنوها من خارج. وقد أمر الرسل أن يبتعد من كل أخ يمشي بغير أدب، وأن لا يُختلط معه لكي يستحي (٢تس ٣ : ١٤).

رهبنـة الصبـيـان

✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦

- **السيد المسيح قد أمر بقبول الأطفال ...**
- **قبول الأيتام وغير الأيتام. وتربيتهم في خوف اللَّه.**
- **الأسباب الكثيرة التي توجب أن تكون لهم مساكن خاصة غير مساكن الرجال.**
- **اجتماعهم مع الكبار في الصلوات النهارية، وفائدة هذا للفريقين.**
- **مَن الذي يشرف عليهم، وكيف يربيهم ويعلمهم؟**
- **متى يُقبل نذرهم للبتولية؟ وكيف يكون ذلك؟**
- **تسريح الذين يقدرون على حياة البتولية.**

سـألوه قائلين :

من أي مقدار في القامة ينبغي أن ننذر نفوسنا للرب؟ ومن أي زمان (يقصد من أي سن) يأتي إقرار البتولية؟

فأجـاب :

إن ربنا يسوع المسيح يقول: **" دعوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم "** (مت ١٩ : ١٤) والرسول يمدح الذي يتعلم الكتب المقدسة منذ صباه (٢تي ٣ : ١٥)، وأن يربي الأباء أولادهم بالأدب وخوف الله. **فإذاً في كل زمان (أي في كل سن) ينبغي أن نقبـل الـذين يأتون إلينا.**

✣ ✣ ✣

الأيتام من الأب والأم نقبلهم وحدنا، وإن لم يسلمهم لنا أحد، لنصير متشبهين بالطوباني أيوب [1].

---

[1] كان البار أيوب أباً لليتامى (أي ٢٨ : ٧).

والذين لهم آباء نقبلهم إذا ما أتوا بهم إلينا على أيدي شهود كثيرين، لنقطع افتراء الأشرار من هذا الوجه.

وينبغي ألا نقبلهم للوقت في جملة رباط الإخوة: لئلا يكون لهم خسارة ويستهان بسيرة العبادة. لكن يجب أن نربيهم بمحبة كأولاد الإخوة.

✣ ✣ ✣

ونميز مساكن الصبيان وأكلهم ونومهم وباقي عيشتهم: لكي لا تكون لهم دالة مع الرجال، (بل) يكونون إذا اجتمعوا بهم يستحون منهم.

وكي لا يروا واحد - لا سيما إن كان عظيماً - ينتهر بسبب غلطة،

وكي لا يرونا نصنع مع الشيوخ ما ينبغي أن نصنع معهم، فيريدون هم أيضاً أن نصنع معهم كذلك قبل الوقت،

وكي لا يكون قلق في بيت الناسك لأجل قراءة الأطفال في تعليمهم لأن قراءتهم تكون بصوت عال.

✣ ✣ ✣

أما الصلوات المفروضة بالنهار، فليكن الصبيان مع الكبار مجتمعين فيها: لتعتادها الصبيان، وتتأدب فيها من الكبار، ولتكون للكبار معونة من جهة الصغار.

✣ ✣ ✣

ويرسم لهم إنسان يكون قد تقدم في العمر، فاضلاً، مجرباً، طويل الروح أكثر من الباقين. لكي يحنو يليق بالأباء مع الأبناء وبكلام مرتب يصلح خطأ من يخطئ منهم: فإذا وجد واحداً قد أخطأ مع أخيه يكلفه بخدمته كمقدار خسارة غضبه، لأن عادة التواضع تقطع الغضب من النفس وتنزعه بالتكرار، بينما الكبرياء تقيم الغضب.

وإذا أكل أحدهم قبل الوقت، يكلف ألا يذوق شيء حتى يعبر الوقت المتعارف عليه. والذي يأكل بقلق وبشره، يكلف وقت الأكل ألا يأكل بل يتطلع للذين يأكلون بأدب، ليتأدب

بعذاب ترك الأكل والنظر إلى المتأدبين.

وإذا قال واحد منهم كلمة بطالة أو قبيحة أو كذباً، يؤدب بإمساك البطن واللسان.

والذين يتعلمون الكتابة ينبغي أن يكتب لهم من الكتب المقدسة عوضاً عن خرافات الحكمة البرانية. وليعلم كل واحد الصناعة التي تليق به عندما يقتدر أن يتعلم.

ويقيمون في النهار عند معلمهم، وفي الليل يعودون إلى حيث رفقتهم، لينالوا طعاماً ويرقدون.

✣ ✣ ✣

وليعلموا من صغرهم ألا يشغلوا أفكارهم في اللذات بل يرفعوها ويتدربوا بالسيرة المستقيمة. والمرتبون عليهم يتقصون منهم عن أفكارهم. فإنهم يظهرون ضمائرهم، لأنهم بسذاجة صبوتهم وقلة مكرهم لا يتعمقون في الحيل والكذب.

ويسهل عليهم أيضاً مفارقتهم للرديء، لأنهم يخافون الفضيحة التي تلحقهم من المعلمين، ولأن الشر لم يتمكن ثبوته بعد في نفوسهم للين طباعهم كالنقش في الشمع. وهذا ييسر أيضاً انطباع الأشياء في ذواتهم. فينبغي أن يعلموا - ماداموا أطفالاً - لأنواع الأعمال الصالحة، ليجروا في جهاد الفضيلة دائماً وتنموا فيهم بنموهم بدون كبير مشقة.

✣ ✣ ✣

ومن بعد معرفة قلوبهم يكون قبول اعتراف بتوليتهم. وينبغي أن يكون الآباء الوقوف على الكنيسة شهوداً على إقرارهم أن يحفظوا أجسادهم بالطهارة، ويسلموا أنفسهم لله كمثل المحارم، لئلا تبقى حجة لمن يخالف منهم فيما بعد ما أقره به قدام الله والناس الشهود.

والذي لا يقدر أن يقبل سيرة البتولية، أعني لا يقدر أن يهتم بما للرب فليسرح سبيله.

✣ ✣ ✣

والذي يعترف ينبغي أيضاً ألا يدخل به للوقت، لكن نتركه يمتحن نفسه أياماً أُخرى

كي لا يظن إننا اختطفناه. وبعد هذا جميعه نقبله، ونعده مع جماعة الإخوة ليسكن معهم ويعيش عيشتهم.

هل النسك ضروري؟

****

سألوه قائلين :

هل النسك ضروري لمن يريد أن يعيش في العبادة؟

فأجاب :

عمل النسك ضروري. وهذا ظاهر، فإن الرسول عد النسك ثمرة للروح، وبعد ذلك عدد طهارة خدمته والفضائل التي أقامها بالنسك. فقال: " بالأتعاب، بسهر الليل، بصوم، بطهارة " وفي مواضع أُخر قال: **" في تعب وكدٍّ. في أسهار مراراً كثيرةً. في جوع وعطش. في أصوام مراراً كثيرةً "** (٢كو ٦ : ٥ ، ١١ : ٢٧) وأيضاً **" أقمعُ جسدي وأستعبدُهُ ".**

(١كو ٩ : ٢٧)

✣ ✣ ✣

فالفضيلة لا تُقام إلا بالنسك لأنه يمنع غليان الشبوبية وحركات اللذة العسرة الإمساك. فإن الطعام لا ينفع الجاهل كما قال الحكيم سليمان. وقد قال الرسول: " لا تهتموا لأجسادكم بشهوات " وأيضاً **" إن الأرملة التي تلهو قد ماتت وهى حية "** (١تي ٥ : ٩).

ومثّل الغني يعرفنا أن النسك ضروري لئلا نسمع ما سمعه: **" اذكر أنك اسْتوفَيْتَ خيراتكَ في حياتك "** (لو ١٦ : ٢٥).

وقد عرفنا الرسول مقدار قلة الإمساك عندما حسبه مع الأعمال المنسوبة للعدو فقال إن في آخر الأيام تكون أزمنة صعبة ويكون الناس محبين لشهواتهم. ولما ذكر كثيراً من الأفعال الشريرة قال: " أبالسة غير متمسكين " وعيسو إنما رذل بسبب قلة إمساكه إذ باع بكوريته بأكلة واحدة. وأول معصية كانت للإنسان هى من عدم الإمساك.

وجميع القديسين الذين عاشوا في النسك صاروا له شاهدين.

فموسى بكثرة صبره على الصوم والصلاة بلا فتور أخذ الناموس وسمع كلام الله كما يتكلم الإنسان مع صاحبه. ودانيال صار في الرؤيا من بعد ما صام واحداً وعشرين يوماً. والثلاثة الفتية أطفأوا قوة النار بالنسك. ويوحنا المعمدان أقام سيرته بالنسك. وربنا يسوع المسيح أظهر النسك.

✣ ✣ ✣

ولست أعني بالنسك ترك الطعام بالكلية. لأن ذلك ينفصل من هذه الحياة، وإنما أعني ترك المآكل التي تجلب لنا اللذة، لكي بهذا نهدم أفكار الجسد بصورة عبادة الله. والقانون في هذا هو الخبز والماء، وبالجملة ما لا يقوم الجسد بدونه. فأما ما هو للشهوة واللذة فالنسك بالضرورة يبعده.

✣ ✣ ✣

والناسك بالحقيقة لا يمسك البطن فقط ويدع المجد البطال يتسلط عليه ولا يقهر الشهوات القبيحة ويترك محبة المال تملكه. وبالجملة لا يسمح - لأجل الضعف - أن يخضع لشيء من الآلام مثل الغضب والبغضة والحسد والكبرياء والشره والرياء وباقي الشرور لأن الوصايا مرتبطة بعضها بالبعض الآخر. فمن يتنسك عن المجد البطال معروف أنه متضع. ومن يتنسك عن محبة المال فقد أقام الزهد بالكامل. والذي يتنسك عن الغضب هو وديع.

والكامل في النسك يجعل على فمه ميزاناً وعلى عينيه وأُذنيه رسوماً كي لا يقبل كلاماً باطلاً.

✣ ✣ ✣

والضحك الذي يحتقر به الناس ينبغي لمن يتنسك أن يتحفظ منه كثيراً، لأنه علامة انحلال النفس ولا يقلع إلا بخوف الله. وخوف الله يجعل الإنسان يظهر نشاط نفسه عندما يتبسم بوداعة، فيظهر المكتوب إنه إذا فرح القلب ابتهج الوجه (أم ١٥ : ١٣).

فأما من يقهقه بالضحك فليس هو ضابطاً لذاته وليست نفسه هادئة. فهو جاهل كما قال يشوع بن شيراخ: إن الجاهل يرفع صوته بالضحك والحكيم بالحري يبتسم (سي ٢١ : ٢٣). ولكون يخرج النفس من هدوئها أبعده الكنائسي (الجامعة) فقال: قلت للضحك انتقل خارجاً (جا ٢ : ٢) وقال أيضاً مثل صوت أخشاب السنط الموقدة تحت الحلقين كذلك الضحك للجاهل (جا ٧ : ٦).

والسيد المسيح قد أظهر ضروريات الجسد، وشهد بها عنه كتعب الجسد والرحمة والرأفة على المتضايقين والحزن والتدمع. أما الضحك فلم يكتب عنه في الإنجيل أنه قبله، بل أعطى الويل للضاحكين (لو ٦ : ٢٥).

ومن عادة الكتب أن تسمي ابتهاج النفس بالخيرات ضحكاً لأنه كتب عن سارة أنها قالت: **" قد صنع إليَّ اللَّه ضحكاً "** (تك ٢١ : ٦)، وكتب في الإنجيل: **" طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون "** (لو ٦ : ٢١). وفي أيوب كتب أنه يملأ أفواه الرجال الصديقين ضحكاً (أي ٨ : ٢١). فهذا كله عن إظهار النفس فرحها وطربها بخيراتها لا عن هذا الضحك الجسماني. فالمتنسك بالحقيقة هو الذي لا يقبل شيئاً من آلام شهوات الجسد ولذاته، لكنه يتنسك بالدوام عن كل ما يتأذى منه.

✣ ✣ ✣

وفي دفعات كثيرة قد تكون أعمال أُخر ليست فيها خطية ومسموح بها لأجل حياتنا. ومع ذلك يجب أن نتنسك عنها إذا كان في ذلك ربح لإخوتنا كما قال الرسول: **" إن كان طعامٌ يُعثرُ أخي فلن آكل لحماً إلى الأبد "** (١كو ٨ : ١٣)، وأيضاً إن له سلطاناً أن يعيش من التبشير ولم يستعمل هذا السلطان لئلا يعثر بشارة المسيح بشيء (١كو ٩ : ١٢).

✣ ✣ ✣

والمتنسك بالحقيقة يتغرب من كل الآلام الجسدانية حتى الطبيعية. والنسك هو رأس الحياة الروحانية، وهو يقلع شهوة اللذة. واللذة هى خديعة الشر وكأنها صنارة الصياد، وبها نسقط في الخطية، وننساق إلى الموت.

والذي قهر جميع آلامه إلا واحدة، ليس هو بعد صحيحاً. والذي ساد علـى الكـل إلا واحدة فما هو بعد معتوقاً.

✣ ✣ ✣

وفضائل الناسك التي يعملها خفية لا تظهر للناس. ومع ذلك فكما يعرف الشجاع من قوة جسده وبهجة لونه، كذلك يعرف الناسك من قمعه لجسده. ولو أن نسكه اللائق به يظهر بذلك شجاعته في تكميل وصايا المسيح وقهره لعدوه وضعف جسده. كما كتب: **" حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي "** (٢كو ١٢ : ١٠).

ولظهور فضيلة الناسك عليه، يكون لناظره ربح عظيم. لأنه في أكله لا يقلق بل بهدوء يمد يده إلى الحاجة الطبيعية. وهو كمن يكمل خدمة ثقيلة، ويستصعب أن يبطئ قليلاً في الأكل. ويقوم عن المائدة مسرعاً إلى أعماله. وليس شيء يبلغ إلى نفس الذي لا يمسك بطنه مثل الاجتماع بالناسك. وحينئذ يتم المكتوب: **" فإذا كنتم تأكلون أو تشربون**

أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد اللَّه " (١كو ١٠ : ٣١). وحينئذ تكون الأعمال الصالحة تنير على المائدة، فنمجد أبانا الذي في السموات.

✣ ✣ ✣

ولكي لا نُعد مع أعداء الله الذين نيتهم محترقة فيهم كما قال الرسول ومن أجل هذا يبعدون ذواتهم من الأطعمة التي خلقها الله لينال المؤمنون منها بشكر، فمن أجل هذا ينبغي أن نذوق من المأكولات واحداً واحداً في أزمنتها دفعة واحدة، بمقدار ما نظهر للناظرين إلينا أن كل شيء طاهر للأطهار (تي ١ : ١٥) وأن كل ما خلقه الله هو حسن وأن ليس شيء نجساً في ذاته إذا أُخذ بشكر، لأن كل الأشياء تطهر بكلمة الله والطلبة، ولأن الرسول يقول: **" لماذا يُحْكَمُ في حرِّيَّتي من ضمير آخر "** (١كو ١٠ : ٢٩). ولكن مع هذا نحفظ صورة النسك.

✣ ✣ ✣

وحتى الأشياء الحقيرة التي قنعنا بها، والتي هى ضرورية لحياة جسدنا، فلنهرب من امتلاء البطن منها.

فالذي مات مع المسيح هو الناسك بالحقيقة الذي قد قتل أعضاءه التي على الأرض. والنسك هو أم الفلاح. ويساعدنا على إعطاء الثمرات الصالحة، ويقلع الأشواك المعوقة لها كما قال الرب.

والنسك تخافه الشياطين وتهرب منه كما علمنا ربنا عندما قال: إن هذا الجنس لا يخرج إلا بصوم وصلاة (مت ١٧ : ٢١).

الاختلاط بالراهبات ❖

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

سألوه قائلين :

كيف يجب للإخوة أن يجتمعوا بالراهبات؟

فأجاب :

هذا يكون بخوف الله **إذا دعت حاجة ضرورية**، من أجل الاجتهاد الواجب على كل منا لصاحبه، كوصية الرب. وليس كما يريد الإنسان لكن كما يريد الله ...

ويجب ألا نصنع هذا في كل الأوقات، ولا في كل المواضع، بل إذا اهتممنا كأمر الرسول أن نكون بغير عثرة لليهود ولليونانيين ولبيعة الله.

✣ ✣ ✣

وإذا دعت الحاجة فليمتحن الرجال المجربون الأمر، ويفصحوا عن **سبب الحاجة**، وعن **الوقت** الذي ينبغي، وعن **الموضع** المختار، وعن **الذين يسيرون معهن** إما من أجل

❖ انظر الموضوع رقم (٤).

الحوائج الجسدية، وإما من أجل الاهتمامات النفسية. لكي يكونوا ممن قد اشتهروا عند الأكثرين بالهدوء والعفاف، مكملين المكتوب إنه يدبر كلامه بالحكم.

✣ ✣ ✣

ولا يكون الرجال أقل من اثنين، وكذا النساء. لأن الواحد يـسهل التقـول عليـه بالرديء، ولا يقدر أن يحتج، لأنه قد كتب بشهادة رجلـين أو ثلاثـة تقـوم كـل كلمـة **(تث ١٩ : ١٥)**. لكي بهذا أيضاً نقطع كل شك. **ولا يكونوا أيضاً أكثر من ثلاثة** كـي لا يبطل اجتهاد عمل اليد.

وليكن الشيوخ والعجائز المرسومون لهذا الأمر وسطاء للباقين في الكلام الضروري الذي يريد أن يقوله البعض للبعض الآخر. وليرسم لرجال آخرين أن يخدموهن في حوائج الجسد بعد أن يمتحنوا. وليكونوا متقدمين في العمر فقد قيل لماذا تدان نيتي من آخرين.

من أجل الدياقونيين

أي الذين على الدياقونية، والذين يخدمون الإخوة ويعطون لكل واحد حسب طقسه

✣✣

فليكونوا مثل الذين كتب عنهم في الإبركسيس أنهم كانوا **يعطون لكل** واحد حاجته **(أع ٢ : ٤٦ ، ٤ : ٣٥) وليكونوا رحومين، طويلي الروح** على كل أحد، قاطعين لأسباب الشك فيهم بأنهم يأخذون بالوجوه أو يميلون إلى قوم بمحبة جسدانية، لأن الرسول علمنا **ألا نأخذ بالوجوه (يع ٢ : ١ ، ٩)**.

وليكونوا **بعيدين من الحران** (أي المخاصمة أو النزاع)، لأن الرسول يقول: **" إن كان أحدٌ يُظهر أنه يحب الخصام فليس لنا نحن عادةٌ مثل هذه ولا لكنائس اللّه " (١كو ١١ : ١٦)**. وهذا وذاك لكي لا يعطون الذين يحارنونهم حاجتهم بالكمال، وهذه

بغضة. ولئلا يعطون الذين يميلون إليهم بأخذ الوجوه زيادة عما يحتاجون إليه. وهذا ألم ومحبة جسمانية. وبهذين الأمرين يقع الافتراق في قلوب الإخوة بعضهم من بعض، ويصير شك ومقاومة، وتبطل من الإخوة الأعمال الصالحة التي كانت لهم وهم قلب واحد.

✣ ✣ ✣

فينبغي أن يخدموا الإخوة بمحبة عظيمة، حتى لا يتركوا نيتهم تلومهم في شيء قد اضجعوا فيه (أي تهاونوا فيه) بل (عليهم أن) يظهروا كل اجتهادهم **كأنهم يخدمون الرب لا الناس**، هذا الذي بكثرة صلاحه يقبل الاجتهاد الذي يعمل مع عبيده كأنه قد عمل معه. وقد وعد على هذا بالملكوت وقال: **" الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم "** (مت ٢٥ : ٤٠).

وليتذكروا قول الرب: **" ملعونٌ مَن يعمل عمل الرب برخاءٍ "** (إر ٤٨ : ١٠)، فلا يكسلون في اجتهادهم فالذين لا يخدمون باجتهاد لم يخرجهم الرب من ملكوته فحسب بل أرسلهم أيضاً إلى النار الأبدية.

وإذا كان هذا مقدار ربح أو خسارة الذين يخدمون إخوة الرب أو الذين يضجون في هذه الوصية، فأي مقدار من الجهاد يحتاجه المخدومون من خدام الرب حتى يكون هؤلاء الخدام عاملين إرادة الرب وحتى يستحقوا أن يدعوا إخوته؟ لأنه قال في تعليمه: **" لأن مَن يصنع مشيئة اللَّه هو أخي وأختي وأمي "** (مر ٣ : ٣٥).

✣ ✣ ✣

فينبغي للخادمين والمخدومين، وبالجملة لنا جميع المسيحيين، أن نضع أمام أعيننا إرادة الله مثل صورة، ونصور مثلها جميع العمر. فإن كنا معافين متمكنين، أظهرنا عمل المحبة بنشاط، وإن كنا مرضى أظهرنا طول الروح بفرح. ولنتذكر القول الرسولي: **" لا تقبلوا نعمة اللَّه باطلاً "** (٢كو ٦ : ١)، حتى يكون المدعوون لخدمة الإخوة لا

يهينون هذه النعمة ولا يكسلون عن هذه الرتبة العظيمة، طائعين لقول الرسول: إني أطلب إليكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كاستحقاق الدعوة التي دعيتم إليها.

كثرة مجامع الرهبان في مكان واحد

❖ **الإخوة المجتمعون معاً، كأعضاء الجسد الواحد في لزومها وتضامنها.**

❖ **مضار وجود مجامع كثيرة في مكان واحد، من حيث التنافس والتنازع، وأثر ذلك على الغرباء الذين يمضون إليهم، وعلى المتقدمين للرهبنة ...**

❖ **فوائد وحدة هذه المجامع من جهة تسهيل الأدوات والمعدات، وتقليل عدد النازلين إلى المدن لقضاء حاجيات الإخوة، وما يسببه ذلك من عثرة للعلمانيين ...**

❖ **إن كان كل مجمع يهتم بذاته، كيف يكمل المحبة من حيث الاهتمام بالآخرين؟**

❖ **أثر التفرق في عدم ثبات الإخوة وتنقلهم من مجمع لآخر.**

سألوه قائلين :

هل ينبغي أن تكون مجامع كثيرة حول مدينة واحدة ؟

فأجـاب :

المثال قد قلناه في أن الإخوة المجتمعين في موضع واحد وفيه أعضاء كثيرة. وهم محتاجون أن يكون أحدهم عيناً، وآخر لساناً، وآخر يداً، وآخر رجلاً. وهذا المثال ينطبق على أمور كثيرة، وهو يوافقنا أن نطبقه عما سألتم عنه.

✣ ✣ ✣

عسر ومتعب جداً أن يكتفي بواحد في موضع كثيرين. فالذي يصير رأساً، يطلب أن يكون محققاً في عمله، سابقاً في فهمه، مهتماً بما ينبغي أن يصنعه قبل أن يصنعه، متكلماً بمقدار الحاجة بغير نقص، متيقظ القلب، رؤوفاً طالباً أحكام الله بقلب ثابت.

فإذا لم يوجد واحد فيه هذه الأوصاف كلها وأمثالها، ويوجد اثنان أو ثلاثة تجتمع فيهم هذه الصفات، فجيد أن يشتركوا في هذا النشاط الواحد لاجتماع المطلوب من الرأس فيهم وليحمل بعضهم ثقل بعض. لكي إذا حدث ما يوجب انفصال الرئيس عن الإخوة: إما ليمضي إلى غربة، أو ليتفرغ لعمل آخر ضروري، أو غير ذلك، يوجد آخر عوضاً عنه.

✣ ✣ ✣

وليتأمل من قد أُهل للرئاسة على الإخوة لئلا يفكر في نفسه أن يمضي إلى مجمع آخر ليديره، ويكون هذا ألماً من محبة الرئاسة والمجد البطال. فإن أصحاب الصنائع الذين في العالم يحسد بعضهم بعضاً، وتقع بينهم محارنة، وقد لا يعرفون بها. وكذلك يحدث هذا دفعات كثيرة في هذه السيرة التي نحن فيها.

✣ ✣ ✣

إذا كانت المجامع قريبة بعضها من بعض، يبتدئ إخوة كل مجمع أن يجاهدوا ليكونوا أرفع من إخوة المجمع الآخر في الخير، وأن يفضلوا عليهم في محبة الغرباء، وأن

يكونوا أكثر في العدة من غيرهم. وعندما ينسرقون بهذه الأمور يوماً بعد يوم، يسقطون في حران ولا يعلمون. فتحزن قلوب الغرباء الذين يمضون إليهم عوضاً عن نياحها. إذ تنقسم أفكارهم في أي موضع ينزلون، وقد علموا أنهم إن نزلوا عند المجمع الواحد أحزنوا الآخر، ولا يمكن أن ينزلوا عند مجمعين معاً.

وأيضاً الذين يتقدمون ليترهبوا يتحيرون، إذ لا يعرفوا فـي أي مجمـع يقيمـون، ليهتموا بخلاصهم فيه. فإذا اختاروا هؤلاء صاروا كمن قد رذل أولئـك. فتـصير لهـم الخسارة في بدايتهم من هذه الجهة. وعوضاً عن أن يتتلمذوا للإخوة يصيرون ممتحنـين لهم.

✣ ✣ ✣

فلهذا وأمثاله علمنا أنه لا يصلح أن تكون مجامع كثيرة فـي موضـع واحـد لأن شروراً كثيرة تنتج من هذا الأمر. فإن كان ذلك قد كان، فينبغي أن يحترسوا من الأمـور التي تؤذيهم كالحران فإن الرسول قال: إن كان واحد يرى أن يحارن، فليس لنا نحن عادة هكذا ولا لكنائس الله.

✣ ✣ ✣

ولماذا لا يطيب قلب بعضهم أن يدخلوا تحت نير بعض لتتسهل حاجاتهم. إذ يمكن أن يكون هناك سراج واحد ومستوقد واحد وأشياء أُخر كثيرة كهذه.

والإخوة الذين نرسلهم ليأتوا إلينا بالحوائج من المواضع البرانية: إذا كانت المجامع كثيرة احتاجت إلى رسل كثيرين. أما إذا اجتمعوا في مجمع واحد استراح أكثرهم من الخروج من الدير إلى المواضع البرانية، مع أنه ليس كل أخ يوجد كفؤاً للغربة فإن هذا يسبب خسارة لأكثرهم. وليس لهم وحدهم بل قد يخسر العلمانيون بسببهم ... من جهة أنهم قد يظنون فيهم أموراً شريرة إذا لم يكونوا متصلين بعضهم ببعض، حتى أن هذا يصير

للأشرار عذراً عندما يؤنبون، إذ يعدونه قانوناً ومثالاً يقتفى. وكيف لا يصير هذا شكاً للناس وهم يسمعون قول الرسول المكتوب لأهل فيلباسيوس (فيلبي): **" فتمِّموا فرحي حتى تفتكروا فكراً واحداً ولكم محبةٌ واحدةٌ بنفس واحدةٍ مُفتكرين شيئاً واحداً لا شيئاً بتحزُّب أو بعجب بل بتواضع حاسبين بعضكُم البعض أفضل من أنفُسِهم. لا تنظروا كل واحدٍ إلى ما هو لنفسهِ بل كل واحدٍ إلى ما هو لآخرين أيضاً " (في ٢ : ٢ - ٤).**

فإذا كان كل مجمع يهتم بذاته، كيف يمكن أن يهتم بالباقين، ويقيموا وصية الرسول ألا يطلب الإنسان ما يخصه وحده بل وما يخص رفيقه؟! وكيف يمكن أن يتشبهوا بالقديسين المكتوب عنهم في الإبركسيس أنهم : كانوا قلباً واحداً ونفساً واحدة، وأيضاً إن الذين آمنوا: **" كان عندهم كل شيءٍ مشتركاً " (أع ٤ : ٣٢)** مع أن عدتهم كانت كثيرة نحو خمسة آلاف، وثلاثة آلاف.

فأي عذر لمن عددهم أقل من هذا أن يفترقوا فرقاً ولا يجتمعون إلى مجمع واحد باتفاق الروح ورباط السلامة، ويكون عليهم رؤساء يرأسونهم بحكمة.

✣ ✣ ✣

والذين قرروا عهداً أن يعيشوا بعضهم مع بعض في هذه الحياة التي للشركة، يجب لهم ألا ينتقلوا كيفما اتفق.

فالذي يقول إني أتنقل من أجل خسارة من السكان معه، فليظهر الأمر الذي يخسر منه كما علمنا الرب بقوله: **" إن أخطأ إليك أخوك فوبِّخهُ. وإن تاب فاغفر له " (لو ١٧ : ٣).** فإن كان الأمر حقاً ولا يريدون أن يداروا الأمر بل يدومون في الشر، فليشهد عليهم أناس عظماء، وحينئذ ينفصل منهم

فالذي يفترق من الدائمين في شرورهم، لا يفترق من إخوة بل من غرباء عن الرب مثل الوثنيين والعشارين كما قال الرب. ولا جناح له.

وإن لم يكن الأمر كذلك. بل السبب في طلبه الانتقال هو خفة قلبه وقلة ثباته، فليثبت في مكانه، ويداوي ضعفه. وإن لم يرد فلا تقبله بقية المجامع.

الفهـــرس

أولاً : ميامر مار إسحق السرياني (الجـزء الأول)

❖ **مقدمة**	.....	٧
❖ **سيرة**	**كاتب**	**الكتاب** ١
	.....	٣
الميمـــــر الأول :	في الإفراز الطبيعي	١
الميمـــر الثـــاني :	.....	٥
الميمـــر الثالـــث :	في سيرة السكون	٢
الميمـــر الرابـــع :	.....	١
الميمر الخـامس :	في الصلاة والهذيذ باللـه	٢
الميمر السادس :	.....	٦
الميمـــر الـسابع :	في مخافة اللـه والاحتراس	٣
الميمـــر الثـــامن :	.....	٠
الميمـــر التاســـع :	في السكون والانفراد	٤
الميمـــر العاشـــر :	.....	٠
الميمـــر الحـــادي	دلائل توضح أمور أمور	٤
عـــــــــشر :	.....	٦
الميمـــر الثـــاني	في معنى القتال الذي تصنعه الشياطين بالأفكار	٦
عـــــــــشر :	.....	٠
الميمـــر الثالـــث	كلام منفعة	٧
عـــــــــشر :	في تدبير سيرة السكون	٠
الميمـــر الرابـــع	.....	٨

عـــــــــشر :	عن ما بعد الخروج من العالم : عن الوحدة والسكون	٦
الميمــر الخــامس	.....	٩
عـــــــــشر :	عن ترتيب سيرة الوحدة والسكون	٤
الميمــر الــسادس	.....	١
عشر :	في ترتيب الرهبنة الحقانية وكيفية العمل بها	٠
الميمــر الــسابع	.....	٠
عشر :	عن فائدة الصلاة بالمزامير	١
	.....	٠
	ما هو المتوحد وما عمل سيرته	٦
	.....	١
	في معان سيرة السكون	٠
	.....	٩
	في ما هى الصلاة الطاهرة التي بلا طياشة	١
	.....	١
	منازل ومقادير السكون	٢
	.....	١
		١
		٤
		١
		١
		٨
		١
		٢
		١

ثانياً : نسكيات القديس باسيليوس (الجزء الأول)

- رهبنة باسيليوس ومؤلفاته ١
- ٢
- سيرة القديس باسيليوس الكبير ٦
- ١
- حياة التأمل ٣
- ١
- كيف نصلي ١
- ٥
- في حراسة الأفكار ٩
- ١
- في البعد عن النساء ٦
- ٢
- في المجد الباطل ١
- ٦
- في أدب الكلام ٨
- ١
- في الوداعة والفهم والتواضع ٧
- ٣
- أنواع الأفكار الرديئة ١
- ٧
- النسك في المجمع أو بعض قوانين في حياة الشركة الرهبانية ٥

- ١
محبة اللـه ٧
..... ٧
محبة القريب ١
..... ٧
عدم الاشتغال بالأرضيات ٨
..... ١
فوائد المجمع ٨
..... ٠
رفض الإنسان لكل ما له ١
..... ٨
هل يترك الراهب المال المرفوض للأقرباء بالجسد ٣
..... ١
قبول الراهب الجديد ٨
..... ٨
رهبنة الصبيان ١
..... ٩
هل النسك ضروري ٣
..... ١
الاختلاط بالراهبات ٩
..... ٥
كثرة مجامع الرهبان في مكان واحد ٢
..... ٠
٠

٢
٠
٥
٢
٠
٨
٢
١
١
٢
١
٥
٢
١
٨
٢
٢
٣
٢
٢
٦

من أقـوال مار إسـحق السـريـاني :

- **احذر أن تكون جالساً وتفكر في أخيك بالشر.**

- ولو يكون الإنسان مرحاً جداً وبشوشاً، إذا ما قام في الصلاة بحياء وحشمة، فإنه ينظر الله.
- محب المدح ليس هو الذي إذا مدِح يستريح بالمدح ويفرح، بل الذي يتحايل أسباب المديح.
- الذي يشتعل بالغضب لأجل تقويم آخرين، هذا ليس متواضعاً، لأن التواضع الحقيقي هو مبتعد من كل غضب.
- ليس كل هادئ متضع، بل كل متواضع هادئ، لأن المتواضع في كل وقت يكون هادئاً، لأنه لا يوجد شيء يحرك ويزعج ضميره.
- إن كنت تثق في مواعيد الله وحسن تدابيره أنها قادرة أن تحكمك إلى الخلاص، فلا تعد تستعمل التحايل البشري.
- لا تتكل على إنسان لئلا تخيب من النعمة.
- المتوحد (الراهب) ما له عيد على الأرض، لأن عيده هو النوح، وعوض الأعمال التي يفتخر بها آخرين بالانشراح مع بعضهم البعض، هذا شقاؤه في السكون.
- إن لم يتضع الإنسان ما تدنو منه المعونة الإلهية.
- من دون القراءة لا يمكن للذهن أن يدنو من الله لأن القراءة ترفع العقل وتقيمه عند الله كل وقت، ليس عمل يأتي به الإنسان إلى قدام مثل هذا .. إذا كانت قراءاته من أجل الحق.
- صدقني يا أخي أن الملل والضجر وثقل الأعضاء والتكدر وسجس العقل، وبقية المحزنات الحادثة على النساك في جلوس السكون .. هم عمل تام لله.
- الذي يريد أن يقيم كلمته ولو أنه على حق، مرض شيطاني قد مرض.
- أعطى ربنا الطوبى للطاعة، لأن الذي هو مطيع يتنعم أوله بالتطويب، الويل للمقاوم والمحارن لأنه يغتذي من مرارة نفسه.